جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

قسم الشريعة الإسلامية والعلوم الاسلامية

التفسير التحليلي دراسة في المناهج والآليات

سورة العلق (أنموذجاً)

رسالةٌ قدَّمتها الطالبة

(مريم هادي رضا الجعيفري)

إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية في جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات

نيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية والعلوم الإسلامية

إشراف

أ.م.د. ناهدة جليل عبد الحسن الغالبي

١٤٣٩ هـ ٢٠١٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا))

صَدَقَ اللهُ العَلي العَظيم

سورة الطلاق : الآية ٢

الإهـــــــداء

عَرَفْتُ النِّساءَ بناتٍ يكنَّ.....

عَرَفْتُ النِّساءَ زوجات يَكُنَّ.....

عَرَفْتُ النِّساءَ أمهاتٍ يكنَّ.....

و لَمْ.....

أعْرِفْ.....

يَوْماً.....

إمرأة.....

أماً.....

تَكْون.....

وبِنْتاً.....

تَكْون.....

غير.....

((فـــاطِمَـــــــة))

فهي

((أمٌّ أبـيها))

إليك عِصارة جهدي

راجيةً شَفاعَتَكِ

شكر وعرفان

بامتنان صادق لا حدود له، أضمه بين جوانحي ما حييت وهو بعض من الوفاء لأساتذتي الكرام الذين أنعموا عليّ منذ المرحلة الأولى من الدراسة حتى آخر شوط

من هذا البحث، بالغزير من الرأي السديد والتوجيه العلمي الرصين ، ولقد كان لهم الفضل الذي لا تحتويه كلمات الشكر ولا تحصيه سطور العرفان ، الذين أرحبوا لي صدورهم ، فوهبوني ما اختزنته عقولهم، وكان ذلك هو الدافع والحافز لنيل الطموح.

فإلى الأستاذ المساعد الدكتور ناهدة جليل الغالبي شكري وامتناني، لأنها لم تدّخر جهداً في اكمال هذا البحث على أتم وجه بتوجيهها وإرشادها ومتابعتها .

وكما أخص بالشكر الجزيل والثناء الجميل كل من الأستاذ المساعد الدكتور ضرغام الموسوي، والأستاذ الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، والأستاذ الدكتور حسين سامي شير علي، والأستاذ الدكتور محمد صبار، والأستاذ الدكتور صباح عباس عنوز، والأستاذ الدكتور بلاسم عزيز، والاستاذ المساعد الدكتور قاسم كتاب عطا الله، والدكتور حكيم السلطاني، والدكتورة مواهب الخطيب، والدكتورة نوال عائد، والزميل المخلص يوسف علي الفتلاوي لما قدّموه لي من العون والإرشاد السديدين

ولا أنسى تعاون أحبتي وزملائي معي فهم جميعاً كانوا خير داعم لي، و أشكر ملاك الدراسات العليا جميعاً لما أبدوه من العون والألفة لنا فلم يكلوا ولا يملّوا أبداً، وكذا أشكر ملاك المكتبات العلمية الرصينة كالمكتبة العلوية المقدسة ومكتبة كلية الفقه، ومكتبة جامعة الكوفة، ومكتبة الإمام الجواد (عليه السلام) لإسهامهم الفعال في توفير جميع متطلبات طلبة العلم.

وفي الختام أقدّم كل الشكر على طبق من ذهب المحبة، مرصّع بياقوت الإخلاص، معطّر بعطر الوفاء إلىوالِدَيَّ أدامها الله لي كهفاً وحصناً وإلىأسرتي الكريمة لما تحمّلوه من العناء، وأخص بالذكر زوجي الغالي ، وأولادي، ، وكذلك أخي الحبيب أبا علي، وأخواتي جميعهنْ، وكما أخص بالشكر أمي التي لم تلدني (أم نوار) التي غذتني بحب العلم والتعلم، ودفعتني نحوه شيئاً فشيئاً لها ة لأسرتها جميعاً مني دوام الشكر، وجزاهم الله عنّي خير الجزاء وأدامهم لي ذخراً وسنداً .

ت	المحتويات	رقم الصفحة
١	الآية .	
٢	الإهداء .	
٣	شكر وامتنان.	
٤	قائمة المحتوى.	
٥	المقدمة.	١-٨
٦	**الفصل الاول** **مفهوم التفسير التحليلي ونشأته**	١٠-٦١
٧	**المبحث الأول التعريف بمفردات العنوان**	١٠-١٢
٨	المطلب الاول: التفسير التحليلي.	١٠-١٢
٩	المقصد الاول: التفسير لغة واصطلاحا.	١٠-١٢
١٠	المقصد الثاني:التحليل لغة واصطلاحا.	١٢-١٤
١١	المقصد الثالث : التفسير التحليلي مركب	١٥
١٢	المطلب الثاني :الاليات لغة واصطلاحا	١٦-١٧
١٣	المقصد الاول : الاليات لغة	١٦
١٤	المقصد الثاني : الاليات اصطلاحا	١٧
١٥	المطلب الثالث :المنهج لغة واصطلاحا	١٨-١٩
١٦	المقصد الاول : المنهج لغة.	١٨
١٧	المقصد الثاني : المنهج اصطلاحا.	١٨
١٨	المطلب الرابع : بين يدي سورة الطلاق	١٩-٢٦
١٩	المقصد الاول: الطلاق لغة واصطلاحا	١٩-٢٩
٢٠	المقصد الثاني اسماء سورة الطلاق.	٢٠
٢١	المقصد الثالث: فضل سورة الطلاق.	٢١
٢٢	المقصد الرابع:عدد ايات سورة الطلاق.	٢١
٢٣	المقصد الخامس:مكان وسبب نزول سورة الطلاق	٢١
٢٤	المقصد السادس : محتوى سورة الطلاق.	٢٤
٢٥	المقصد السابع : الوحدة الموضوعية في سورة الطلاق	٢٦
٢٦	**المبحث الثاني: نشاة التفسير التحليلي وعلاقته بالمناهج التفسيرية**	٣٠-٦١
٢٧	المطلب الاول : الحاجة إلى التفسير .	٣١-٣٣
٢٨	المطلب الثاني: نشاة التفسير.	٣٣-٤٦
٢٩	المطلب الثالث: علاقة التفسير بالمناهج التفسيرية.	٤٦
٣٠	المقصد الاول : المنهج القراني.	٤٦
٣١	المقصد الثاني: المنهج الاثري.	٤٨
٣٢	المقصد الثالث : المنهج البياني.	٤٩
٣٣	المقصد الرابع : منهج الراي.	٥٠
٣٤	المقصد الخامس : المنهج اللغوي.	٥٢
٣٥	المقصد السادس : المنهج العلمي.	٥٣
٣٦	المقصد السابع : المنهج الاشاري.	٥٦

٣٧	**الفصل الثاني** **التفسير التحليلي و علاقته في القراءات المعاصرة للتلقي والتأويل**	٦٢-١١١
٣٨	**المبحث الاول: التفسير التحليلي وعلاقته في القراءة المعاصرة للتلقي**	٦٣-٩١
٣٩	المطلب الاول:مفهوم التلقي في اللغة والاصطلاح	٦٤
٤٠	المقصد الاول : التلقي لغة	٦٤
٤١	المقصد الثاني : التلقي اصطلاحا	٦٤
٤٢	المطلب الثاني : التلقي في القران الكريم	٦٨
٤٣	المطلب الثالث: اقسام المتلقين للنص القراني وا تهم بالتفسير التحليلي.	٧٤
٤٤	المقصد الاول: المؤمنون بالنص القراني.	٧٥
٤٥	اولا : التلقي عند المعصوم.	٧٦
٤٦	ثانيا التلقي لغير المعصوم.	٨٢
٤٧	المقصد الثاني : غير المؤمنون بالنص القراني.	٨٧
٤٨	**المبحث الثاني: التفسير التحليلي وعلاقته بالقراءة المعاصرة للتأويل**	٩٢-١١١
٤٩	المطلب الاول: تعريف التاويل .	٩٢
٥٠	المقصد الاول : معنى التاويل لغة.	٩٢
٥١	المقصد الثاني : معنى التاويل في القران الكريم.	٩٣
٥٢	المقصد الثالث : معنى التاويل في الاصطلاح.	٩٥
٥٣	المطلب الثاني الفرق بين التفسير والتاويل.	٩٧
٥٤	المطلب الثالث: شروط التاويل.	٩٩
٥٥	المطلب الرابع : اقسام التاويل .	١٠٢
٥٦	المطلب الخامس : الهرمينوطيقا وعلاقتها بالتاويل:	١٠٥
٥٧	المطلب السادس انموذجات تطبيقية من التاويل وعلاقتها بالتفسير التحليلي	١٠٧
٥٨	**الفصل الثالث** **آليات التفسير التحليلي دراسة تطبيقية في سورة الطلاق**	١١٢-١٩٦
٥٩	**المبحث الاول:اليات التفسير التحليلي اللغويه في سورة الطلاق.**	١١٣-١٣٢
٦٠	المطلب الاول: دلالة المفردة .	١١٧-١٢٦
٦١	المقصد الاول: المعنى المعجمي.	١١٧
٦٢	المقصد الثاني: المعنى الصرفي.	١٢٢
٦٣	المطلب الثاني : دلالة التركيب.	١٢٦-١٤١
٦٤	المقصد الاول: المعنى النحوي.	١٢٦
٦٥	المقصد الثاني: المعنى البلاغي.	١٣٢
٦٦	**المبحث الثاني : اليات التفسير التحليلي الاصولية في سورة الطلاق**	١٤٢-١٧١
٦٧	المطلب الاول : صيغة الامر والنهي.	١٤٣

٦٨	المقصد الاول: دلالة الامر على الوجوب	١٤٢
٦٩	المقصد الثاني : دلالة النهي على الحرمة	١٥٠
٧٠	المطلب الثاني: المطلق والمقيّد	١٥٤-١٥٦
٧١	المقصد لاول : تعريف المطلق	١٥٤
٧٢	المقصد الثاني : تعريف المقيد.	١٥٥
٧٣	المطلب الثالث: العام والخاص.	١٥٦-١٦٠
٧٤	المقصد الاول: تعريف العام	١٥٧
٧٥	المقصد الثاني: اقسام العام	١٥٨
٧٦	المقصد الثالث: تعريف الخاص	١٥٨
٧٧	المقصد الرابع : انواع الخاص.	١٥٩
٧٨	المطلب الخامس : مفهوم المخالفة وانواعه في سورة الطلاق	١٦٠-١٧١
٧٩	المقصد الأول : مفهوم الوصف	١٦٠
٨٠	المقصد الثاني : الغاية	١٦٣
٨١	المقصد الثالث : الشرط	١٦٤
٨٢	المقصد الرابع : الاستثناء	١٦٦
٨٣	المقصد الخامس : الحصر	١٦٧
٨٤	المقصد السادس: المشتق	١٧٠
٨٥	**المبحث الثالث: آليات التفسير التحليلي بعلوم القرآن في سورة الطلاق**	١٧٣-١٩٩
٨٦	المطلب الاول: اسباب النزول في سورة الطلاق .	١٧٩-١٨١
٨٧	المقصد الاول : اسباب النزول لغة واصطلاحا	١٧٩
٨٨	المقصد الثاني اهمية اسباب النزول	١٨٠
٨٩	المطلبالثاني: القراءات في سورة الطلاق.	١٨٣
٩٠	المقصد الاول : القراءات لغة واصطلاحا	١٨٣
٩١	المقصد الثاني: اختلاف القراءات واسبابها	١٨٣
٩٢	المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ في سورة الطلاق.	١٨٧
٩٣	المقصد الاول :النسخ لغة واصطلاحا	١٨٧
٩٤	المقصد الثاني: شروط النسخ	١٨٩
٩٥	المقصد الثالث: اقسام النسخ	١٨٩
٩٦	الخاتمة واهم التوصيات	١٩٣
٩٧	المصادر والمراجع	١٩٧

مقدمـــة

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده ، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الذي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

أما بعد ...

فإنَّ الخطاب القرآني هو خطاب السّماء المعجز ، الذي غيّر مسار الإنسانية من الغي إلى الرشاد؛ وذلك لما يزخر به من المعلومات ، ومضامين إلهية تنطوي على منافع للبشرية جمعاء ، فهو تبيانٌ لكل شئ وهداية للناس أجمع، ولهذا أمرنا سبحانه بتدبره والتأمل فيه لفهمه، والعمل به فهو نسيج متراكم المعاني ، غزير المضمون ، لذا فهو يحتاج لكشف اللثام عن دلالته وإزالة الغطاء عن مضامينه، وإظهار أسلوبه المعجز وكشف مراد الله تعالى منه وما الغرض والهدف الأساس الذي دعا إلى نزوله واكرامنا به .

وهذا الأمر ليس بالسهل الهيِّن ؛ إذ يحتاج إلى خطوات ممنهجة دقيقة فهو خطاب الله تعالى المعجز بلغته ومعناه وهو كلام ليس من صنع البشر ، ولو كان من صنعهم لأمكن تكراره وإعادة صياغته؛ بل لأمكن الإتيان بمثله أو لعله بأبدع منه ، ولهذا تحدى الله تعالى البشر بالإتيان فعجزوا، فتحقق بذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [1]، أي إنَّكم لا تستطيعون الإتيان بمثله قط و لكنَّكم تستطيعون النظر فيه واستبيان مضامينه بالتحليل والتفسير ، والتزوّد منه إيماناً وعملاً وسلوكاً ، وذلك عن طريق التدبر والتعقل بآياته كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن

(1) سورة الاسراء: الآية ٨٨.

مُّدَّكِرٍ﴾ [2] لكنَّ فهم القرآن وتدبّره وصولاً إلى دلالاته أمر غير متساوٍ بين البشر فكلٌ يفهم منه بحسب قابليته وقدرته على الإدراك و التدبر .

لذا غاص المفسرون في اعماق النص القرآني ، وغاصوا فيه للبحث عن مكنوناته بمناهج تفسيرية عدَّة، فتفننوا بتوظيف تلك المناهج بحسب قدراتهم ، وأساليبهم، وطرق تفكيرهم، فنجد أنَّ بعضاً منهم أختار منهجاً واحداً من تلك المناهج ، وجعله طريقاً للكشف عن معنى النص، ومنهم منْ جمع عدة مناهج في طريقة تفسيره للنص القرآني ، إذ يأتي للآيات التي يريد تفسيرها فيطبق عليها مناهج عديدة من دون الاقتصار على منهج بعينه وحينها يتعرف إلى مضامين النص ليكشف عن مراد الله تعالى، وهذا هو ما يسمّى بالتفسير التحليلي للنص القرآني، فهو أحد طرق الكشف عن المراد الإلهي، ويتحقق في أنْ يغوص المفسِّر في اعماق النص كلمةً، وجملةً، ومناسبةً وبلاغةً ، وسبب نزول وقراءة وغيرها من الأمور التي يعرض لها المفسّر التحليلي فهو يحلل الآية بتناول كل جزء منها ويقف عنده ليصل إلى الفهم والبيان الدقيق لها، وهكذا الحال لكل آية من آيات النص القرآني عموما [3] .

أهميته :

يعدّ التفسير التحليلي من أهم المناهج التفسيرية ، فهو منهج قديم من حيث التطبيق والعمل به من دون تسميته بهذا الاسم، فهو غالب على المؤلفات في نطاق التفسير فقد كان التفسير في نشأته الأولى يتناول الآيات المتتابعة ، ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها من خلال تحليله لها ، فيبحث من جهة الألفاظ والمعاني في القرآن ليخدم النص تفريعاً ، وتفصيلاً من أجل فهمه بأتم فهم.

ويتفاوت المفسرون في هذا المنهج من التفسير بين الإيجاز والإطناب فمنهم مَنْ يفسّر القرآن كله بالتحليل في مجلد واحد كتفسير الجلالين للسيوطي ، وتفسير القر آن الكريم لعبد الله شبر، ومنهم من جعله في ثلاثين مجلداً كتفسير مفاتيح الغيب للرازي وذلك كلٌ بحسب دقته في

---

(٢) سورة القمر : الآية ١٧.

(٣) يمثل كلام الباحثة ههنا عرضاً عامّاً لمفهوم (التفسير التحليلي للنص القرآني) ولحوقاً في طيّات الدراسة العرض التفصيلي للمفهوم بياناً وكشفاً .

التحليل وقدرته على ذلك ، وقصده في التأليف فالأول والثاني يبسطه ليستفاد منه عامة الناس والثالث يتعمق به ليستفاد منه أصحاب الفن، وهذا التفاوت يظهر واضحاً وجليّاً في اتجاهاتهم التفسيرية فبعض منهم يعنى بالجوانب البلاغية وبعض يطنب في القصص واخبار التأريخ وبعضهم بالفلسفة وبعضهم يعتني بالآيات الكونية والعلمية وغيرها من الأمور التي تجعله يميل لاتجاهه الخاص وينظّر له بأكثر من طريق لذا يحتاج الى التوسعة في تفسيره فالتفسير التحليلي يكون منبعاً لهذه الاتجاهات ، وعليه فهو الركيزة الأساس لكثير من المدونات التفسيرية ، وهذا بيان لمدى أهميته وسعة استعماله .

سبب اختيار الموضوع:

إنَّ سبب اختيار موضوع التفسير التحليلي يكمن في عدم وقوع الباحثة على دراسة (للتفسير التحليلي) في كتاب متكامل يؤسس إلى الآليات والمنهج لهذا التفسير، فالموضوع متناثر ومضمر في طيّات الكتب ولم يتناول بشكل منفرد ومبرّز ، فعلى أهميته لم ينل الاهتمام الكافي عند عموم المسلمين بشكل عام، والخاصة بشكل خاص، ولم يتحدث فيه عن نسبه جذوره إلى الصح ابة والتابعين ولم يَخُضْ باحث في بيان أثر أهل البيت (عليهم السلام) في تأصيلةوتجذيرة لذا جاءت هذه الدراسة لاستيفاء بعض من هذه الجوانب غير الملتفت إليه أو المعتنى بها من ذي قبل .

اما سبب اختياري لسورة الطلاق ميداناً لهذه الدراسة ، فيكمن فيما احتوت هذه السورة من أغراض نبيلة، ومقاصد عظيمة ، تتعلق بالمجتمع بصورة عامة ، والفرد بصورة خاصة ، فالله تعالى خلق من كل شي زوجين اثنين، ودعت سنة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هذه الزوجية ، التي ينبغي أنْ تنعم بالترابط والتماسك والألفة والمودة ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]، لكننا نجد في وقتنا الحاضر ابتعاد الناس عن كتاب الله، وعدم فهمهم لآياته، وكذا ابتعادهم عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأهل

(4) سورة الروم : الآية ٢١.

بيته (عليهم السلام) ، ما أدى الى ازدياد التوتر في الروابط الأسرية خصوصا بين الزوجين ما أفضى إلى زيادة المشاكل والخلافات التي أدت إلى المحاكم وغيرها، وفي هذا ضرر جسيم على المجتمع عامة والأسرة المبنيّة على منطق الزوجة خاصة لذا جعل الباري حلاً لهذه المشاكل ومنع استمرارها وانتشار الفوضى بالطلاق فعلى الرغم من أنه غير محبذ في الشريعة الإسلامية إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام) :((ما من شيء مما أحله الله أبغض إليه من الطلاق))[5]، فهذه الدواعي مجتمعة دعتني لاختيار سورة الطلاق ميداناً لدراستي ، لأحاول أن أبيِّن ما يترتب على الطلاق من مواضيع ومتعلقات ، وذلك من خلال عرض آليات التفسير التحليلي الموجودة في السورة وبيان دلالة كل آلية ، وما إفادتنا منها في توجيه المعنى ، والكشف عن مراد الله تعالى بها.

الدراسات السابقة :

لا تدّعي الباحثة ههنا الريادة في هذا الميدان، - فحسب تتبعها القاصر- لم تكن هناك دراسات ذات شمولية في هذا الموضوع، ولكن إكراماً لفضل السابقين واعترافاً بالحق أقول إنَّه سبقتني محاولات متعددة لبعض المعاصرين من ابناء العامة ، ولكن كانت معظمها جزئي ة ولم تفِ بالموضوع بصورة تامة، كما في رسالة الماجستير للطالب كلام الدين رحمة الله التي كانت بإشراف الدكتور أحمد نبيه المكاوي في جامعة المدينة العالمية في ماليزيا بعنوان (سورة الطلاق دراسة وتحليل) حيث صبَّ الباحث اهتمامه في سورة الطلاق على الشكل التام من دون الاهتمام بالتفسير التحليلي لها فكانت دراسته أكثر ميولاً إلى المنهج الاجتماعي المتعلق بقضايا الطلاق بصورة خاصة منه إلى بيان القليل من المنهج التحليلي في تفسير السورة ، كذا هو الحال لرسالة ماجستير في الجامعة نفسها والتي كانت بعنوان (التفسير التحليلي لسورة العلق) وهي بإشراف الدكتور أحمد نبيه المكاوي كذلك إذ كانت دراسته فيها هفوات كبيرة ، منها أنه ينسب التفسير التحليلي للتابعين مثل مقاتل متناسيا دور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) في تأصيل وتجذير التفسير التحليلي إذ كانوا أصحاب الريادة وواضعي الجذور الأولى لهذا التفسير، وهذا ما سيثبته البحث تقادماً -إن شاء الله- فضلاً عن أنَّ دراسته لم تتطرق الى الآليات والمناهج التفسيرية ، وعلاقتها بالدراسات المعاصرة وقد

---

(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٢/ ٨ .

تخصصت هذه الدراسة بسورة العلق فكانت دراسة تميل الى السطحية اكثر منها الى العمق والمنهجية بهذا الموضوع، وللدكتور صالح الحمداني كتابات نشرت في ديوان الوقف السني في بغداد مركز البحوث والدراسات الإسلامية بعنوان (منهج التفسير التحليلي للنص القرآني – سورة النصر انموذجاً) غير أنَّ الدكتور الحمداني لم يتطرق في دراسته هذه لمنظومة التفسير التحليلي بشكل منهجي وشمولي سواء من حيث الارتباط مع المناهج التفسيرية وعلاقته بالقراءات المعاصرة؛ بل اكتفى بذكر بعض القواعد وتطبيقاتها بسورة النصر ، وأيضاً هنالك بحث منشور في الجامعة العراقية كلية الآداب من قبل الدكتور هاشم عبد ياسين المشهداني بعنوان(التفسير التحليلي تعريفة وخطواته العلمية المنطقية وانموذج عليه) والظاهر أنَّ الدكتور المشهداني قد أعتمد في دراسته هذه على كتاب الدكتور صبري المتولي الذي هو بعنوان دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي فلم يغير في الكتاب إلا القليل إذ يكاد بحثه يعتمد على هذا الكتاب كليّاَ وهما معاً لم يتناولا الموضوع بصورة شاملة ودقيقة ، فضلاً عن أنَّهما لم يميّزا بين المنهج والآلية وكانت دراستهما فيها لبس ظاهر لكل ذي نظر فهذه الدراسات كانت تطبيقية أكثر منها إلى التأسيسية .

فرضيات البحث:

إذا كان لابدّ لكل دراسة علمية من فرضيات تقوم عليها فأنه يمكن القول بأنَّ هذه الدراسة قد نهضت على جملة فرضيات وهي :

1 -يسعىالبحث للإيفاء بمفهوم التفسير التحليلي ذلك بأن هذا المصطلح حمل إختلاف وتباين نظر بين الباحثين لذا وجبت على الباحثة الإيفاء بهذا الجانب من دراستها إلزاماً .
2 -هل أنَّ التفسير التحليلي يعد منهجا من مناهج تفسير القرآن الكريم أم إنّه اتجاه تفسيري؟
3 -التساؤل عن نشأة التفسير التحليلي أكانللنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) السبق في ذلك أم أنَّه ظهر هذا التفسير فيما بعد؟
4 -هل هناك علاقة بين التفسير التحليلي ومناهج التفسير الأخرى أم أنَّه لا علاقة له بأي منهج تفسيري آخر؟ فهو نسيج وحدهُ.
5 -هل هناك علاقة بين القراءات المعاصرة و التفسير التحليلي كما في نظرية التلقي والتأويل الهرمونطيقيا؟

6 -يسعى البحث لتحديد وتشخيص آليات التفسير التحليلي ؟

خطّة البحث :

قبل تناول مفردات البحث تود الباحثة أن تبيّن أنّ منهجها في هذه الدراسة كان منهج التحليل، والاستقراء، وتقصي المعلومات من مصادرها الأساس، فقد اعتمدتْ في ذلك على كتب المسلمين عامة ، وتلبية للإيفاء بمطلب فرضيات هذه الدراسة انقسمت الدراسة على ثلاثة فصول، تسبقهنَّ المقدمة وتعقبهنَّ الخاتمة التي تضمنت أهم نتائج البحث ،ثمقائمة المصادر والمراجع .

فأما المقدّمة فقد سبق الحديث عنها، فجاء بعدها الفصل الأول فقد كان بعنوان مفهوم التفسير التحليلي ونشأته وهو على مبحثين : المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان والمبحث الثاني: نشأة التفسير التحليلي وعلاقته بالمناهج التفسيرية، ويليه الفصل الثاني الذي أتسم بعنوان التفسيرالتحليلي وعلاقته بالقراءات المعاصرة للتلقيوالتأويل ، وأنقسم على مبحثين: المبحث الأول:التفسير التحليلي وعلاقته بالقراءة المعاصر للتلقي، والمبحث الثاني :التفسير التحليلي وعلاقته بالقراءة المعاصر للتأويل، أمّا الفصل الثالث فهو بعنوان آليات التفسير التحليلي دراسة تطبيقية في سورة الطلاق ، فكان على ثلاثة مباحث : المبحث الأول : آليات التفسير التحليلي اللغوية في سورة الطلاق والمبحث الثاني : آليات التفسير التحليلي الأصولية في سورة الطلاق أما المبحث الثالث : آليات التفسير التحليلي بعلوم القرآن في سورة الطلاق ، وبعد ذلك كله عطفتِ الباحثة عنان قلمها على الخاتمة والتي أوردتْ فيها نتائج البحث ، ثم أرحتْ ركابها في تثبيت المصادر والمراجع المستعملة في البحث ليكون بهذا بعد توفيق الله عزوجل وحسن عنايته ولطفه قد انتهت من كتابة البحث حيث كانت في دراستها هذه تحدوها الموضوعية التي أخذتها عن أساتذتها جزاهم الله خيراً في سنين الوفرة التي لم تشعر بها وكأنَّها يومٌ أو بعض يوم ، فإن كان عمل الباحثة في رحاب هذا الموضوع وافيةً بالغرض، محققةً القصد فبتوفيق من الله وعنايته وفضله، وإنكانفيه شيء من القصور وعدم الاستيعاب للموضوعفذلك لسعة الموضوع وتشعبه،ونسأل الله التوفيق والسداد وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

الباحثــة

الفصل الأول :

مفهوم التفسـير التحلـيلي ونشأتـه

* المبحث الأول:
التعريف بمفردات العنوان.

* المبحث الثاني:
نشأة التفسير التحليلي وعلاقته بالمناهج التفسيرية.

المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول : التفسير التحليلي

بما ان هذا المصطلح مركب لفظي يتكون من كلمتين (التفسير و التحليل)، لابد من تعريف كل واحدة، ثم تعريف المركب وكما يلي .

المقصد الأول : التفسير لغةً واصطلاحا

أولاً :التفسير لغةً: مصدر مشتق وقد اختلف في أصل هذا الاشتقاق على قولين:

القول الأول: من (فَسَرَ) وهو بمعنى الإبانة والكشف، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): (الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ، مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ، وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ) [6]، وهذا المعنى ورد في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [7]، أي بياناً وتفصيلاً[8]، أو هو إظهار المعقول[9]، فيكون من الابانة والكشف والإيضاح.

القول الثاني: من (سَفَرَ) وهو يدل على الكشف والإبانة أيضاً، فهو (يَدُلُّ عَلَى الِانْكِشَافِ وَالْجَلَاءِ. مِنْ ذَلِكَ السَّفَرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ يَنْكَشِفُونَ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ .... وَسَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ وَجْهِهَا، إِذَا كَشَفَتْهُ. وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ، وَذَلِكَ انْكِشَافُ الظَّلَامِ، وَوَجْهٌ مُسْفِرٌ، إِذَا كَانَ مُشْرِقًا

---

[٦] ابن فارس، مقاييس اللغة: ص٨١٨ .
[٧] سورة الفرقان : الآية ٣٣ .
[٨] ينظر : الطبري، جامع البيان: ٢٦٧/١٩ .
[٩] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات :ص ٥٠٠ .

سُرُورًا)[10]، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾[11]، أي مضيئة كاشفة عما بداخلها من الفرح بالخلاص من هذه الدنيا[12]، فهو الكشف عن المغطى وبيانه .

وقد فرق بينهما الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) بأن (الفسر) يستعمل في العقلي[13]، و(السفر) يستعمل في الأعيان[14]، وأوضح هذا الفرق في مقدمة تفسيره فقال: (الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسيره، وتسمى بها قارورة الماء. وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فيقل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح، وسفرت البيت إذا كنسته)[15] .

ومما تقدم يتضح أن التفسير الكشف والإبانة سواء المادية منها أو المعنوية.

ثانياً : التفسير اصطلاحاً

لم يختلف التعريف الاصطلاحي عن معناه اللغوي، فهو الكشف والإبانة أيضا، وأن اختلفت ألفاظ وتعابير تلك التعريفات، أو اختلفت في الضيق والسعة، إلا أنها في نهاية المطاف تصب في معنى واحد، فقد عرفه الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) بقوله: (كشف المراد عن اللفظ المشكل)[16]، ولعل في هذا تقيد التفسير باللفظ المشكل من غير مبرر، إذ إن التفسير يشمل جميع الألفاظ، المشكل منها وغير المشكل، وهذا ما انتهجه الطبرسي نفسه في تفسيره، من تفسير جميع الألفاظ من دون الاقتصار على المشكل منها [17]، وهو ما ذكره الزركشي (ت:٧٩٤هـ) فقال: (كَشْفُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَبَيَانُ الْمُرَادِ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ وَغَيْرِهِ وَبِحَسَبِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ وَغَيْرِهِ وَالتَّفْسِيرُ أَكْثَرُهُ فِي الْجُمَلِ) [18]، وقيل هو: (علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها

---

(١٠) ابن فارس، مقاييس اللغة: ص ٤٦٢ .
(١١) سورة عبس : الآية ٣٨ .
(١٢) ينظر: الرازي ، مفاتيح الغيب: ٣١/ ٦٢ .
(١٣) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات:ص ٥٠٠ .
(١٤) ينظر: المصدر نفسه : ص ٣١١ .
(١٥) المصدر نفسه، المفردات: : ص ١٠ .
(١٦)الطبرسي ، مجمع البيان: ١/ ١١ .
(١٧) الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، مناهج تفسير النص: ٢٥ .
(١٨)الزركشي، البرهان: ٢/ ١٤٩، السيوطي ، الإتقان: ٤/ ١٩٣ .

ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها)[19]، وعرفه حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) بقوله: (علم باحث عن معنى نظم القرآن، بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية .

ومبادئه: العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل، ... وغير ذلك من العلوم الجمة) [20]، وهذا الأخير حصر التفسير بالنظم مما لا مبرر فيه أيضاً، وقال الزرقاني(ت:١٣٦٧هـ) بأنه (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) [21]، فهو أعم مما ورد في التعريفات السابقة كونه ناظراً للموضوع وهو القرآن الكريم، والغاية الكشف عن مراد الله تعالى، وبهذا لم يختلف عن معناه اللغوي من الكشف والبيان .

المقصد الثاني : التحليل لغةً واصطلاحا

أولاً : التحليل لغةً :

التحليل منحَلَلَ حَلَّلَ عقدة فتحها فنحلة، وبابه رَدَّ ، وحَلَّ بالمكان من باب رَدَّ أيضا ، وحلولاً ومحلاً أيضا المكان الذي يُحل بهِ، وحَلَلتُ القوم وحَلَلتُ بهم بمعنى واحد، والحَلَّ دُهن السمسم ، والحِل بكسر الحاء الحلال وهو ضد الحرام ورجُلُ حُلُ من الإحرام أي حلالُ ، يقال: هو حل وهو حرم أي محرم ، وقول حِلة أي نُزُل وفيه كثرة ، والحُلة أيضا مصدر قولك حَلَ الهدي ، والمحَلة منزل القوم وقوله تعالى : ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[22] هو الموضع الذي ينحر فيه[23].

ثانياً : التحليل اصطلاحاً :

جاءتنا نصوص كثيرة من كلام العرب شعرا ونثرا ، للتفسير والتوضيح والاحتجاج ، وتوضيح للو ظائف الخاصة لبعض المفردات والتعابير ، وبذلك تشابكت الموضوعات

---

[19] الزركشي ، البرهان: ٢/ ١٤٨ .
[20] حاجي خليفة، كشف الظنون: ١/ ٤٢٧ .
[21] الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٣ .
(٢٢) سورة البقرة : الآية ١٩٦.
(٢٣) ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة: ص٢٢٨، الرازي ، مختار الصحاح : ص١٥١ .

المطرقة، ومن ذلك تحليل النص القرآني وما يتصل به من التراث العربي .

فالتحليل هو: (ارجاعه الى عناصره المكونة له، مادية كانت او معنوية) [24]، حيث انه كان في الاصل (منهج عام يراد به تقسيم الكل الى اجزائه وردود الشيء الى عناصره) [25] ، ومن خلال ما تقدم نجد أن أصحاب هذا القول لا يميزون بين التقسيم والتحليل، ويوردونه في مورد واحد، حيث ان التقسيم يكشف الاجزاء ويعين انواعها ومقاديرها ، بحيث يكون مجموع كمياتها يساوي تماما مقدار كمية الكل، وقال الجرجاني في التقسيم : (ضم قيود متخالفة بحيث يحصل عن كل واحد منهم قسماً)[26].

أما التحليل فيفرق عنه بأنَّ التحليل يسعى لأكتشاف العناصر والأصول ، ويحاول التعرف على العلل والاسباب والنتائج ،إذ أن التقسيم مجرد الارجاع والارداد كل فرع إلى أصله، والتحليل فيه معرفة الأسباب والنتائج ومعرفة علة كل منها

وعُرِف التحليل بانه :(تفكيك الوحدة التعبيرية وحل اشتباكاتها، لرصد خصائص الجزئيات وصفاتها وسلوكها في اطار الوحدة الكلية، وموقعها من البيان و القواعد و الاحكام)[27]، وقيل: (تميز العناصر اللفـظية للعبارة ، وتحديد صيغها وو ظائفها والعلاقات التركيبية بينها، بدلالة المقام والمقال) [28]، وعرفه اخرون (هو التحليل بالنظر في مفرداته وتتبع أصولها ومعانيها في العصر الذي نزل فيه القر آن مع القيام باستقراء تلك المعاني بمختلف استعمالاتها في القرآن الكريم) [29] .

ومن الملاحظ على هذا التعريف :

1 -إنَّه يبحث في القرآن الكريم فقط من دون أي نص آخر .

2 -النظر في المعاني في زمن النزول فقط .

وعُرِّفَ التحليل بأنَّه (هو تحليل النص من الحرف إلى المنظومة السياقية عبر آلياتها الشمولية على وفق المناهج المختلفة) [30].

ومن الملاحظ إن هذا التعريف يعرف المعرف بنفسه، إلا أنه امتاز عن سابقه بأمرين:

---

(٢٤)قباوة ، التحليل النحوي أصوله وأدواته : ص١٢ .
(٢٥) المصدر نفسه : ص ١٢
(٢٦)الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات :ص٦٨ .
(٢٧) قباوة ، التحليل النحوي أصوله وأدواته :ص ١٥.
(٢٨) المصدر نفسه:ص١٤ .
(٢٩) محاضرات ألقاها الدكتور علي كاظم سميسم على طلبة المرحلة الثالثة قسم علوم القران والحديث الشريف مكتوبة.
(٣٠)محاضرات ألقاها الدكتور علي كاظم سميسم على طلبة المرحلة الثالثة قسم علوم القران والحديث الشريف مكتوبة.

1 -أنه ينظر في عموم النص لا خصوص القرآن الكريم .

2 -انه ينظر في عموم الزمن لا خصوص زمن النزول .

وقد عُرِّف في العلوم الأخرى بحسب اختصاص كل واحد منها فعرفه:

1 -عند علماء الحساب:(تفكيك العدد لمعرفة مكوناته الاصلية)[31].

2 -علماء الفيزياء: (تحليل العناصر مثل الطيف الضوئي الى العناصره المكنة من الالوان)[32] .

3 -عند علماء الكيمياء والعلوم الطبيعية الأخرى:(اكتشاف كنه الجسم المدروس، سواء انحل الى عناصره ام لم ينحل)[33] .

فهم أشبه ما يعدونه تقسيم الشئ وارجاعه الى مكوناته الأساس.

المقصد الثالث : التفسير التحليلي

وهو أحد المناهج المتبعة في تفسير النص القرآني، ويكون فيه التزام المفسّر في تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة فسورة وآية فآية، ويتوسع في تفسيرها وتأويلها ويفصل في كلامه ويستطرد ويعرض موضوعات ومباحث ومسائل عديدة في اللغة والروايات والأخبار والقراءات والأحكام والتشريعات والأدلة والبراهين فهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدماء إلا القليل النادر [34]، ومن الملاحظ على ما تقدم بأنه يشترط التسلسل بين السور والآيات وهذا مما لا مبرر فيه فقد يلجئ المفسر إلى تفسير سورة أو آية أو حتى جملة من آية من غير التزامه بالتسلسل في آيات وسور القرآن وهو يعد من التفسير التحليلي .

ومن أهمية التفسير التحليلي بأنه لا يمكن أن يستغني عنه الباحث في التفسير ال تسلسلي، أو الموضوعي، أو المقارن، وذلك لأن التفسير التحليلي ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية، والتعرف إلى الرابط بين الكلمات في الجملة، وبين الجمل في الآية، وبين الآيات في السورة، وكذلك التعرف إلى القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب، وأثرها في الأساليب البيانية، وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها من الوجوه التي تساعد على

---

(٣١) قباوة ، التحليل النحوي أصوله وأدواته : ص١٣.

(٣٢) المصدر نفسة: ص ١٣

(٣٣) المصدر نفسة :ص ١٣.

(٣٤)ينظر: عبد الحي الفرماوي ، البداية في التفسير الموضوعي : ص١٨ ، فهد بن عبد الرحمن الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : ٨٢٦/٣..

إظهار المعنى وتوضيح المراد من النص القرآني [35]، بحيث يتتبع المفسر في هذا البيان مع آيات السور الآية تلو الأخرىأو الآية نفسها ، شارحاً مفرداتها، وموجهاً إعرابها، وموضحاً معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبيناً أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعيناً في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء، مازجا ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته [36] .

فهو (البيان والتوضيح بأسلوب ينتهجه الباحث لتجزئة نص قرآني إلى عناصره التي تدخل في تشكيله والتعرف على أنواع ارتباطاتها مع بعض وإزالة أي إشكال أو غموض يلفها وصولاً للغاية المبتغاة)[37]، أو أنه (يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى التحليل في الآية، فيبين سبب نزولها، وبيان غريبها، وإعراب مشكلها، وبيان مجملها ... إلخ)[38].

فيكون هو بيان النص القرآني من خلال التركيز على عناصره الأساس، وكشف العلاقة بينها للوصول إلى مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية ، سواء كان ذلك تسلسلياً في سور القرآن وآياته أم لا، وسواء تناول القرآن كاملاً أم لا .

المطلب الثاني : الآليات لغةً واصطلاحاً

المقصد الأول: الآليات لغةً :

هي جمع مفردها (الآلة) وهي الأداة، و (آل) الأمير رعيته؛ أي ساسها وأحسن رعيتها [39]، ويقال ألّ في مشيه (يؤلّ ويئلّ: أي أسرع وجدَّ [40]، والإلَّ: كل ما له رمة وحق، كالقرابة والرحم والجوار والعهد ، وهو الاجتهاد في الشيء ، والحافظ عليه، وعدم ضياعه، فهو إذاً الشيء المحافظ عليه المعظّم حقه ، والالة كلها حديدةُ والحربة بعضها خشبُ وبعضها حديد ،

---

[٣٥] ينظر: مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي: ص٥٢-٥٣.
[٣٦] ينظر: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الموسوعة القرآنية المتخصصة: ص٢٧٨.
[٣٧] محمد صالح، منهج التفسير التحليلي للنص القرآني: ص ١٤ .
[٣٨] مساعد بن سليمان الطيار الدكتور ، فصول في أصول التفسير: ص ٣٢ .
[٣٩] ينظر: الرازي ، مختار الصحاح: ص ٢٥ .
[٤٠] ينظر : الزبيدي ، تاج العروس: ٢٨/ ١٦ .

وهي السلاح، وقيل: جميع أداة الحرب وخصّه بعضُ بالحَربة [41]، وقد سميت بذلك لأن الصانع يؤول إليها ويسوسها [42]، والآلَّ بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم ،كالذَّبح من الذِّبْح من الذّبح[43].

ويتضح من كل ما تقدم أن الآليات هي الأداة التي تستعمل للاجتهاد والحفاظ على الشيء والوصول بسرعة أو تسهيل الوصول إليه، وحسن التعامل والإدارة معه.

المقصد الثاني : الآليات اصطلاحاً:

عرفوا الآليات أو الآلات بتعريفات عدة لاتخرج عن معناها اللغوي فقد قال فيها المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) في تعريفه للعقل: (العقل : هو غريزة العلوم الكلية البديهية عند سلامة الآلات)[44]، فهي عند سلامتها توصل العقل إلى النتائج المرضية والصائبة، وقال الجرجاني أبو الحسن (ت: ٨١٦هـ): (الْآلَة: هِيَ الْوَاسِطَة بَين الْفَاعِل ومنفعله فِي وُصُول أَثَره إِلَيْهِ كالمنشار للنجار .... والْآلَة عِنْد عُلَمَاء الصّرْف كل اسْم اشتق من فعل لما يستعان بِهِ فِي ذَلِك الْفِعْل كالمفتاح فَإِنَّهُ اسْم لما يفتح بِهِ والمكحلة اسْم لما يكحل بِهِ) [45]، وقيل هي (مطلق ما يعالج به الفاعل المفعول. أي الواسطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه) [46]، فهي وسيلة وأداة وصول الفاعل لمبتغاه،أي (الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَمُنْفَعَلِهِ)[47]، أو (هِيَ مَا يعالج بهَا الْفَاعِل الْمَفْعُول كالمفتاح وَنَحْوه) [48]، وقد فرق بينها وبين السبب أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) بقوله: (أن السبب يوجب الفعل والآلة لا توجبه، والآلة هي التي يحتاج إليها بعض الفاعلين دون بعض)[49]، فتكون الآلة مما تساعد وتعجل النتيجة.

---

[٤١] ينظر : المصدر نفسه: ٢٨/ ٢٠ .
[٤٢] ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة: ٢/ ٤٦٧ .
[٤٣] ينظر : الزبيدي ، تاج العروس: ٢٨/ ١٩ .
[٤٤] الشريف المرتضى، رسائل المرتضى: ١/ ٢٧٧ .
[٤٥] الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص ٣٧ ، السيوطي، معجم مقاليد العلوم: ص ١٣٦ ، شهاب الدين، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٣٣ ، ينظر: الأحمد النكري، دستور العلماء: ١/ ١٤ ، محمد عميم البركتي، التعريفات الفقهية: ص١٢ .
[٤٦] محمد عمارة الدكتور ، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية: ص ٢٤ .
[٤٧] ابن حجر الهيثمي، تحفة المحتاج: ٨/ ٢٠٧ .
[٤٨] بدر الدين العيني، عمدة القاري: ١/ ٢٣ ، أبو البقاء، الكليات: ص١٧٤ .
[٤٩] العسكري، الفروق اللغويه: ص ٢٧١ .

وبهذا تكون الآليات هي الأدوات التي يستعملها المفسر تفسيراً تحليلياً ، في تسهيل الوصول إلى الدلالة القرآنية وبيانها، أو هي التي توصله إلى النتائج المضنونبصحيحة بأبسط ما يمكن والتحقق من تلك المحصلة .

المطلب الثالث : المنهج لغةً واصطلاحاً

المقصد الأول : المنهج لغةً :

هو من (نهج)، والنهج (طريقٌ واسِعٌ واضِحٌ .... ومِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه، والمِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ)[50]، ويتضح أنه الطريق، واشترطوا به الوضوح، أي ليس كل الطرق مناهج، إلا ما وضح منها، ومنهم من أضاف إلى الطريق والوضوح إنه مستقيم [51]، ومن خلال ما تقدم يتضح أن المنهج هو الطريق الواضح المستقيم .

المقصد الثاني: المنهج اصطلاحاً :

عُرِّفَ المنهج جملة تعريفات لم تخرج عن مدار معناه اللغوي، وقد تتقارب هذه التعريفات من بعضها بعضاً، فقد عُرِّفَ المنهج بأنه (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة)[52]، فهو مشتق من المعنى اللغوي للمنهج إذ عده الطريق الكاشف، وهذا الكشف يكون على وفق ضوابط لابد للباحث من أن يتبعها ليصل إلى مبتغاه، وقيل فيه كذلك : (طريق البحث عن الحقيقة في علمٍ من العلوم، أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية) [53]،فهو المسار الذي يصب فيه الباحث أفكاره لينظمها ويصل إلى الحقيقة، وعرفه مغنية بأنه : (الطريق الذي

---

(٥٠) الخليل ، العين : ٣/ ٣٩٢ ، ينظر : الرازي ، مختار الصحاح : ص ٦٨١ .
(٥١) ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة : ص ٩٦٤ ، ابن منظور ، لسان العرب : ٢ / ٣٨٣ .
(٥٢) بدوي ، مناهج البحث العلمي: ص ٥ .
(٥٣)علي سامي النشار الدكتور ، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام: ١ / ٧

يعتمده الفيلسوف في بحثه عن الحقيقة) [54]، ولعل تخصيصه بالفلسفة لأن الكلام عن الفلسفة، وإلا فهو لا يختص بالفلسفة فحسب، وقالوا هو: (مجموعة الشروط التي بوساطتها ننتقل من أحكامٍ معينة إلى أخرى تنبع عن الأولى، وهو هنا ضابط للنقلة الذهنية من معلوم إلى مجهول ،ليصبح بالبحث عنه معلوماً أيضاً) [55]، وهذا التعريف كسابقيه لم يختلف كثيراً، ومن الواضح على التعاريف المتقدمة أنَّها تنظر للمنهج بأنه طريقة البحث عن المجهول، دون إثبات المعلوم، وهذا تقييد غير مبرر، لأن المنهج يتبع في المجهول للبحث عنه والمعلوم لإثباته للآخرين، فقد عرفه السيد الحيدري (طريقة الاستدلال أو الكيفية المعتمدة في الاستدلال على إثبات المطلوب ..... وكل من أصحاب المناهج المختلفة يقيم الدليل على مدّعاه، ومع غياب الدليل يكون غياب المنهج، فالنهج يراد به الدليل بنحو ما، فكما أن الدليل هو الطريق الواضح لإثبات المدعى فكذلك المنهج)[56]، ولا يتفق البحث مع السيد الحيدري كون المنهج هو الدليل، وإن كان بغيابه يغيب المنهج فهذا من قبيل الملازمة، مثل ضوء الشمس، وطلوع الصباح، فهم مختلفان وإن تلازما، فيكون المنهج هو الطريقة لترتيب الأدلة للوصول إلى النتائج، وعرَّفه أحد الباحثين بقوله: (خطة منظمة واضحة للوصول الى هدف معين) [57]، ولعل هذا أكثر شمولا من سابقيه، لأنه يشمل البحث عن الحقيقة ان كانت مجهولة لدى الباحث، أو إثباتها إن كانت معلومة لديه، فيكون المنهج هو: الطريقة او الأسلوب لترتيب الأدلة بالشكل الصحيح للوصول إلى النتائج المطلوبة، وبهذا يكون قريباً جداً من معناه اللغوي الكشف والبيان والاستقامة .

المطلب الرابع : بين يدي سورة الطلاق

قبل الخوض في غمار ما يتعلق بسورة الطلاق لابد من معرفة معنى الطلاق في اللغة والاصطلاح:

المقصد الأول: الطلاق لغة واصطلاحاً

---

[٥٤] مغنية ، معالم الفلسفة الإسلامية: ص ١٨ .
[٥٥] علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي: ص١٣ .
[٥٦]طلال الحسن الدكتور (من ابحاث السيد كمال الحيدري) ، مناهج تفسير القرآن : ص ٢٥ .
[٥٧] محمد علي أسد نسب ، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة: ص ١٨ .

الطلاق لغةً : لفظ مشتق من ((طلّق : أصل الطلاق: التخلية من الوثاق ، يقال : أطلقت البعير من عقاله وطلّقته وهو طالق وطلقٌ بلا قيد، ومنه استعير طلّقتُ المرأة: نحو خليتها فهي طالق، أي مخلاة عن حبالة النكاح))[58] .

الطلاق اصطلاحاً: عرَّفه الجرجاني(ت: ٨١٦هـ) بأنواع: الطلاق الأحسن هو ان تطلق الزوجة مرة واحدة في طهر لم يتقرب معها في الجماع ويتركها حتى تنقضي عدتها من دون ايقاع لطلقة اخرى ، اما طلاق السنة هو ان طلق الزوجة ثلاث مرات في ثلاث اطهار، اما طلاق البدعة هو تطليقها بكلمة واحدة ثلاثا او في طهر واحد ثلاثاً [59]، كما أنَّ العلماء عرَّفوه بتعريفات متعددة منها: ((هو إزالة قيد النكاح بغير عوض بصيغة طالق)) [60]، وقيل: ((هو تفريق بين الزوجين بما قرّره سبحانه وتعالى، وإنّه من أبغض الأشياء عند الله)) [61] والأحاديث كثيرة تنهى عن الطلاق منها: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((ما من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من بيت يعمر بالنكاح ، وما من شيء أبغض إلى الله عزّ وجلّ من بيت يخرب في الاسلام بالفرقة))[62] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) :((ما من شيء مما أحله اللّه أبغض إليه من الطلاق))[63]

وعليه فالطلاق هو انفصال الزوج عن زوجته فينال عقد النكاح بصياغة خاصة ووقت خاص .

المقصد الثاني : أسماء سورة الطلاق

سُمّيَت بسورة الطلاق لأنَّها تناولت موضوعاً من مواضيع الأحكام الشرعية المتعلقة بأحوال الزوجين ألا وهو الطلاق ، وبيان ما يترتب عليه من أمور تخص العدة وأنواعها ومدتها والنفقة والسكنى وأجر المرضعة للطفل ورجعة المطلّقة إلى غير ذلك من الأحكام [64].

ولها اسم آخر وهو (سورة النساء القصرى)، وهو المروي عن ابن مسعود[65].

---

(٥٨)الراغب الأصفهاني ، المفردات: ص٣١٨.
(٥٩) ينظر : الجرجاني ، علي بن محمد، التعريفات : ص ١١٦.
(٦٠) الشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : ٥٠/٤.
(٦١)السبزواري ، جامع الأحكام الشرعية : ص ٥٨١.
(٦٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٢/ ٧ .
(٦٣) المصدر نفسه: ٢٢/ ٨ .
(٦٤) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٧/١٠، الآلوسي ، روح المعاني: ٤٤٨/٢٧

المقصد الثالث: فضل السورة

عن أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ((من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله)) [66]، وكذلك عن ابي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((من قرآ سورة الطلاق والتحريم في فريضته أعاذه الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن ، وعوفي من النار، وأدخله الله الجنة بتلاوته إياهما، ومحافظته عليهما لأنهما للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)))[67].

المقصد الرابع : عدد آيات السورة

اختلف العلماء في تحديد عدد آيات سورة الطلاق وذلك لأختلاف القراء فعند البصري احدى عشرة آية، وفيما عداه اثنتا عشرة آية ، حيث كان الاختلاف في ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿ . .واليوم الآخر. .﴾ و﴿ . .يجعل له مخرجا . .﴾ و﴿ . . .يا أولي الألباب. .﴾[68] فالاختلاف في عدِّ هذه الآيات آية منفصلة او واحدة.

المقصد الخامس : مكان وسبب نزول سورة الطلاق

أجمع علماء التفسير أنَّ سورة الطلاق نزلت في المدينة وبصورة كاملة [69] أمَّا سبب النزول فقد وردت أنَّ هناك ثلاث آيات في سورة الطلاق نزلت بسبب معين سوف نتطرق لهن بصورة موجزة ثم نتكلم ع لى سبب النزول وعلاقته بالتفسير التحليلي في فصل الآليات فنأخذ مثالاً يتناسب تطبيقاًمع الموضوع.

ففي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ

([65]) ينظر: الألوسي، روح المعاني: ١٤/ ٣٢٤.
([66]) حسين النوري، مستدرك الوسائل: ٤/ ٢٦٣ .
([67]) المجلسي، بحار الأنوار: ٧/ ٢٩٦ .
([68]) ينظر : الزمخشري ، الكشّاف : ١٢٥٧/٢، الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٧/١٠
([69]) ينظر : الطبرسي، مجمع البيان ، ٢٧/١٠، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/١٨.

اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾قيل أنها نزلتفي عبد الله بن عمر بن

الخطّاب، نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهْىَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم – ((مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ))[70].

وهناك رأي آخر يرى أنها نزلت عندما طلّق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حفصة لأنها أفشت سراً لعائشة أسرها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) به فغضب عليها وطلّقهافأتت أهلهافأنزل الله تعالى عليه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ وقيل له : (راجعها فإنها قوامة صوامة ، وهي من أزواجك في الجنة)[71]،عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وسَلَّمَ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ثُمَّ رَاجَعَهَا)) [72]

ويرى البحث أن الرأي الأول هو الأرجح لأن الطلاق من المكروهات وأبغض الحلال عند الله وهذا لا يفعله النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بتاتا لأنه معصوم والمعصوم لا يفعل المكروه .

أما قوله تعالى : ﴿ . . .وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ورد في سبب نزولها أن (عوف بن مالك الأشجعي أُسِر ابنُه عوف، فأتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسلم فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال

([٧٠]) البخاري ، صحيح البخاري : ٤٠٠/١٧
([٧١])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١٣٢/١٨
([٧٢]) ابن حنبل، مسند احمد : ١٠٢/١

إبلاً، فلما رآه أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسلم فأخبره وسأله عن الإبل فقال: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك، فنزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾)[73].

وأيضاً فيها رأي آخر في النزول عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : نزلت هذه الآية ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)) في رجل من أشجع كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((اتق الله واصبر)) فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أعطاني شيئا وقال لي : ((اتق الله واصبر)) فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم له كان العدو أصابوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كلها)) فنزلت (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ((هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجا)) [74].

أما الآية الثالثة من سورة الطلاق : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [75] فقيل في سبب النزول عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : (لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من النساء قالوا : قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار ، ولا من انقطعت عنهن الحيض ، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية ((واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن))[76]

([٧٣])الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ ؛ ينظر : الواحدي ، أسباب النزول: ص ٤٥٧ ، البغوي ، معالم التنزيل: ٥/ ١٠٩.
([٧٤]) الحاكم، المستدرك على الصحيحين :١٤/٩، ينظر :ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٤٩/١٥.
([٧٥]) سورة الطلاق : الآية ٤.
([٧٦]) الحاكم المستدرك على الصحيحين :١٥/٩.

فمن خلال سبب النزول استطاع المفسرون تحديد العدة لكل نوع من المطلقات سواء كانت يائس او لم تحض أو حاملاً او صغيرةً[77]

المقصد السادس : محتوى سورة الطلاق

إنّ الموضوع الأساس في سورة الطلاق يتمحور حو ل تفصيل مسائل الطلاق أمَّا الآيات السبع الأولى فهي مشبعة بشكل دقيق وطريف ومتعرضة إلى المواضيع وجزئياتها بشكل وجيز وبليغ، فضلاً عن إلى ذلك فإن فيها إطلالة روحية تدور حول الخطوط العامة للإسلام وتعليماته؛ من حيث الالتزام بأوامر الله وحدوده التي تمثل بالابتعاد عن الظلم بشكل عام ، وظلم النفس بشكل خاص،و إنَّ لإقامة الشهادة لله أمراً واضحاً ومهماً في السورة كما في قوله تعالى : ﴿. . . وأقيموا الشهادة لله . . . ﴾[78] واعتبار أن الشاهد أمين لها من خلال المحافظة على الحقيقة التي لا بد للناس من أن يتعاونوا على جلائها ، وكذا دعت السورة إلى تقوى الله جل وعلا ؛ فمن خلالها يفتح الله بها للإنسان كل ما عُسِرَ عليه و يفتح كل مغالق الحياة في زواياها الضيّقة المسدودة ، وأيضا من خطوط الإسلام التي تطرقت لها السورة هو الثقة المطلقة باللهِ تعالى بكل صغيرة وكبيرة، فهو الخالق والمدبّر والمسؤول عن كل ما فيه خير وصلاح للمخلوق فهندسة الواقع الحياتي تكون بشكل منظّم يضع الله لكل شي مقداراً معيناً لا يصح التجاوز على تلك الحدود المرسومة له[79].

كما أنَّها تتضمن في الجزء الأخر جولة تاريخية عن الأمم السالفة التي عتت وعصت الله، فكانت نتائجهم سلبية في الدنيا ، وكذلك لينالوا العقاب في الآخرة، فالله جعل الإنسان العاقل يميز بين الحسن والقبح ، وبين الضرر والنفع ، والخير والشر ، ليؤمنوا باللهِ وحده وبكتابه الذي أنزله على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكل الأوامر ، وذلك ليخرجوا من الظلمات إلى النور الذي يشرق عقولهم وقلوبهم وكل ذلك دلالة على عظمة الخالق الذي له ملك السموات وهو يعلم

---

(٧٧) ينظر : الطباطبائي ، الميزان: ٣١٦/١٩

(٧٨)سورة الطلاق : الآية ٢

(٧٩) ينظر : محمود البستاني الدكتور، التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٣٦/٥-٤٢ ، الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٥٣/٨.

أسرار الغيب وقد أحاط بكل شيء علماً، فهذه الأمور التي احتوتها سورة الطلاق كلها يتحرك فيها التشريع الذي يتعلق بأحوال الإنسانالشخصية [80] .

وعليه فالأسلوب القرآني أسلوب ارشادي وتربوي وروحي، ولا يكون عرضه فقط عرضاً جافلًّوتقليدياً غير مرغوب فيه ، وايضا لا يكون عرضه عرض اً قانونيّاًمحضاً؛ بل عرض محرك للنفس بحيث يشعر الإنسان بالجو الإيماني الممتع حال تلّقيه للشريعة الإسلامية ، فيفتح قلبه لله تعالى ويشعر بضرورة التكامل مع الواقع الكوني فتكون حركته حركة منفتحة متكاملة منضبطة بالضوابط التي تؤدي به إلى الاستقامة .

المقصد السابع: الوحدة الموضوعية في سورة الطلاق

قبل التكلم ع لى الوحدة الموضوعية داخل السورة ، ووحدة الموضوع بين السورة التي قبلها والتي بعدها ، لابد من بيان الوحدة الموضوعية بين اسم السورة ومحتواها، فهناك تناسب ظاهر وقوي بين سم السورة (الطلاق) ، وبين محورها الرئيس ، وهو بيان أحكام الطلاق ومتعلقاته، وما يترتب على الملتزم بتطبيق هذه الأحكام من مغفرة ورضوان الله ، وما يترتب على غير الملتزم من إثم وعقاب، وكذ لك الاسم الآخر لهذه السورة (النساء القصرى) فكذلك التناسب موجود ومتحقق ؛ لأن أحكام الطلاق تتعلق بالنساء سواء بعدتهنَّ أو بسكناهنَّ أو نفقتهنَّ وغير ذلك [81].

أما فيما يتصل با لوحدة الموضوعية في السورة نفسها ، فنجد أنّ هناك تناسباً بين بداية السورة وخاتمتها ، فكانت الخاتمة تقرير لما جاء في أول السورة، فنلاحظ أنّ مطلع السورة المباركة كان خطاباً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه بيان لبعض من أحكام الطلاق ، وفيه إرشاد وتوعية ، وحث على تقوى الله والنهي عن تجاوز حدوده وتعديها، وظلم النفس ، وظلم

([٨٠])ينظر : المصدر نفسه : ٤٣/٥-٤٥. ، المصدر نفسه: ٢٥٣/٨.

([٨١]) ينظر : نخبة من العلماء باشراف الدكتور مصطفى مسلم ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:٢١٣/٨.

النساء، وتوجيه وترغيب في الامتثال للمنهج القويم الذي يريده الله وذلك في الآيات السبع الأولى من السورة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (82)، ولو رجعنا إلى خاتمة السورة لوجدناها تقريراً لهذه الأحكام والمعاني، وذلك من خلال بيان عاقبة المقصّرين الذين لا يلتزمون بأوامر الله فيعاندون ويصرون على الخطأ رغم معرفتهم بحرمة ذلك كما في قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾،وكذلك فقط بيَّن أنَّ من يلتزم بالأوامر التي جاء بها الرسول فسوف يخرج من الظلمات إلى النور ويرزقه الله من رزقه الوفير وينال الجنة كما في قوله تعالى:﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(٨٢) سورة الطلاق : الآية ١ .

قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾فللتناسب في الموضوع واضح بين مطلع السورة وخاتمتها، وكل ذلك من أجل الحصول على مراد الله تعالى [83].

كما أنّنا نجد السورة السابقة لها وهي سورة التغابن تتناسب معها في وحدة الموضوع فلو تتبّعنا الآيات في السورة السابقة لوجدنا أنّها تشير إلى الابتلاء في الدنيا وموقف الإنسان المؤمن منها ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ *اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[84] وكذا في سورة الطلاق نجد أن هناك صنفاً من أصناف البلاء، ألا وهو الطلاق، فهو فراق بين الزوجين وفيه أذى وتعب للطرفين وللأولاد وخسائر مادية ومعنوية ، لذا دعت السورة إلى الصبر والرضا والتقوى والالتزام بأوامر الله تعالى فمن صبر سوف يخرجه الله من هذا البلاء ويرزقه من حيث لا يعلم [85] وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا *وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا *وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ

([٨٣])ينظر : نخبة من العلماء باشراف الدكتور مصطفى مسلم ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم : ٢١٣/٨

([٨٤]) سورة التغابن : الآية١١- ١٣.

([٨٥]) ينظر: نخبة من العلماء باشراف الدكتور مصطفى مسلم ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم : ٨/ ٢١٤.

مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[86]،

وقد حذّر الباري عزوجل في سورة التغابن من فتنة الأزواج ، فإذا اشتدَّ الخلاف بين الزوجين ، واستحال التفاهم بينهما، ولم تتآلف قلوبهما، ولم يقيما حدود الله، فأصبحوا كالأعداء كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ . . ﴾[87]

سواء كانت الزوجة قد ابتلت بزوج فاسد وظالم ولم تستطع تغيره واصلاحه ، وكذلك الحال للزوج لو كانت لديه زوجة عاصية ناشزة ، واستنفذ كل السبل لأصلاحها ، حينها جعل الباري عزوجل حلاً لهذا الأمر ، وهو الطلاق فهو المخرج من هذه الفتنة ، وقد بيّن الباري الطلاق الصحيح الذي لا يحرم إيقاعه، وذكر أحكامه ومتعلقاته في سورة الطلاق [88] .

كما لو أنعمنا النظر في السورة التي بعد سورة الطلاق وهي سورة التحريم ، لوجدنا أن الوحدة الموضوعية تستمر وتتناسب مع موضوع سورتنا؛ إذ تتناول النساء بشكل عام وزوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكل خاص، والحديث عن قضية الطلاق وارد فيها حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[89] فيقول سبحانه: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[90] ، وهكذا فقد أفادتنا الوحدة الموضوعية بين السور القرآنية عظمة هذا الموضوع ومدى خطورته على العوائل السليمة[91] .

([86]) سورة الطلاق : الآية ٢-٥.
([87]) سورة التغابن : الآية ١٤.
([88])النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان :٣١٢/٦.
([89]) سورة التحريم : الآية ١.
([90]) سورة التحريم : الآية ٥.
([91]) ينظر :كلام الدين رحمة الله رحيم الدين ، سورة الطلاق - دراسة وتحليل - رسالة ماجستير باشراف احمد نبيه المكاوي : ص ٧١.

المبحث الثاني

نشأة التفسير التحليلي وعلاقته بالمناهج التفسيرية

توطئة:

إنَّ لكل نص معنى يفهمه الآخرون، وهذا الفهم يختلف من شخص لآخر، ولا يكون الكل في الفهم على حد سواء، فكل واحد منهم يفهمه بحسب علمه، فكلما كان أعلم كان فهمه أكثر، فيكون قائله أو المخاطَب به هو أعلم الناس به.

ومن تلك النصوص هو القرآن الكريم، فيكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) هم أعلم الناس بالقرآن الكريم، ومن دون شك أنَّ القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الذي نزل على خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآلة) وكان كتاب هداية ورشاد وتربية، ومنهجاً للحياة الذي يضمن السعادة في النشأتين ،(..من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم..)[92]، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم الذي لا يشبع منه العلماء.

فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر ، التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن وتو افروا على قراءته كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليه[93].

فكل علم يتصل به يكتسب منه الرفعة والقداسة والشرف وأحد هذه العلوم هو علم تفسير القرآن الكريم الذي يعد أشرف العلوم وأجلّها للارتباط القوي بينهما ولأن القر آن موضوعه الذي يعمل به [94].

المطلب الأول : الحاجة الى التفسير

---

(١)ابن كثير ، فضائل القرآن : ١٥/١

(٩٣) ينظر : الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٦ .

(٩٤) ينظر : المصدر نفسه : ١/ ٤٢٩ .

من المعلوم أنّ القرآن الكريم أنزله الله نوراً وهد ىً وبصائر للناس وتبياناً لكل شي ء، فقد خاطب به الخلق؛ وذلك بإرسال كل رسول بلسان قومه فكان على لغتهم [95]، فالنص القرآني وإن نزل على وفق أسس الخطاب كاستعمال مفردات، أو تراكيب، أو صيغ ولكن مع هذا لم يكن النص مفهوماً فهماً تفصيلياً استيعابياً، بل كان مجملاً عند كل من عاصروا نزوله إلَّا من خصهم الله تعالى، لأنهم لا يستطيعون استيعاب النص القرآني وما فيه من مدلولات ومعانٍ، لفقدانهم القدرة على احتواء تفاصيل اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وعدم الانسجام فيما بينهم في فهم أفكار ومضامين النص[96] .

ولعل ما أشار إليه السيد محمد باقر الصدر من عدم معرفتهم بتفاصيل اللغة العربية فيه شيء من النظر، إذ أنهم كانوا يمتلكون أدوات اللغة والبيان وما فيها من أساليب، ولهذا تحداهم القرآن بلغتهم وبيانها وعلومها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [97]، أي (إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه) [98]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [99]، فهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضُلالهم[100].

---

(٩٥) ينظر : السيوطي، الاتقان: ١٩٥/٤

(٩٦) ينظر : محمد باقر الصدر، بحوث في علوم القرآن : ص ١٤٠-١٤١، الحكيم ،علوم القرآن : ص ٢٨٥، سيروان عبد الزهرة الجنابي ، مناهج تفسير النص القرآني ، ص ٤٥.

(٩٧) سورة يوسف : الآية ٢ .

(٩٨)الطبري، جامع البيان: ١٥/ ٥٥١ ، ينظر: الطبرسي، مجمع البيان: ٥/ ٢٧٦ .

(٩٩) سورة البقرة: الآية ٢٣ .

(١٠٠) ينظر: الطبري، جامع البيان: ١/ ٣٧٣ ، الطبرسي، مجمع البيان: ١/ ٨٢ .

فالقرآن نزل بلغة أتقنها أهلها ، وتمكنوا من أدواتها ، وأخذوا يتفاخرون بها ، وقد تحداهم القرآن الكريم بما يتقنونه، وهذا التحدي كان منطلقاً من القرآن جاء بأسلوب يفوق طاقات وإمكانات البشر، من حيث النظم والأسلوب والمعارف، ولهذا قال الوليد (*) حين سمع القرآن: (سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ كَلَامًا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَأَنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ) [101]، فهم يعلمون علو أسلوبه ونظمه، وهذا العلو والرفعة لا يمكن الاتيان بها من قبل البشر .

نظراً لطبيعة البيان القرآني ، فقد جاء مشرّعاً للأصول والمباني الإسلامية، فبيّن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تفاصيل ما نزِّل إليه مجملاً[102].

إلاّ أن الحاجة إلى تفسيره (نشأت منذ بدء الوحي إذ احتاج إليه الصحابة، ثم زادت حاجة التابعين إلى التفسير، ولا سيّما ما رآه الصحابة وسمعوه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتمكّنوا هم من رؤيته ولا سماعه ... ثم اشتدّت حاجة تابعي التابعين، وهكذا كلّما بعد الناس عن عصر نزوله، زادت الحاجة إلى التفسير بمقدار ما زاد من غموض)[103] .

وقد قال السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الاتقان : (انّ كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية ، والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى) [104] ، ونظراً لقوة القرآن الكريم العلمية ، فهو يجمع كل المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فيتعسر فهمها وتوضيحها ، ويعود ذلك لكمال و إعجاز المصنف له ، فيقصد حينها التفسيرَ والشرح لظهور تلك المعاني الخفية [105]

يزاد على هذا فإنَّ من أسباب الحاجة إلى التفسير هو أن القرآن مشتملٌ على المجملات، كالصلاة والصوم والحج، وآيات متشابهة غير واضحة المراد ، لا تفهم معانيها إلّا بالرجوع الى

(*) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت " جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. ينظر: الزركلي، الأعلام:١٢٠/٨.

(١٠١) الرازي، مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٧٠٧.

(١٠٢) ينظر : معرفة ، التمهيد في علوم القران : ١٨/١

(١٠٣)الثعالبي ، جواهر الحسان في تفسير القرآن: ٥٠/١ ، ينظر : عدنان محمد زرزور ، مدخل الى تفسير القران وعلومه :٢١٩/١

(١٠٤) السيوطي ، الاتقان: ١٩٩/٤ و محمد عمر الحاجى، موسوعة التفسير في عهد التدوين :١٥/١

(١٠٥) ينظر : السيوطي ، الاتقان: ١٩٥/٤ ، حسن أحمد الساعاتي، نظرات في كتاب الله : ٨٩/١ ، حسن محمد أيوب ،الحديث في علوم القرآن والحديث : ١٣٤/١

التفسير للكشف عنها[106]، وأيضا من وجوه الحاجة الى التفسير (أن للقرآن بطناً وتأويلاً يختص علمه بالأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، وإن في الآيات محكمات ومتشابهات ومجملات ، وهي بحاجة الى التفسير والتأويل، ولا يمكن الأخذ بظهورها البدوي، ولا يمكن استكشاف مراد الله بمعونة العقل ؛ بل لا مناص من الرجوع في ذلك الى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم الراسخون) [107] ومن هنا تتضح غاية الحاجة وأهميتها الى التفسير لاستكشاف مراد الله تعالى من لباب العقول وأصحاب العلم اللدنّي من الله وهم الرسول الأعظم محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين .

المطلب الثاني : نشأة التفسير

بدأت عناية المسلمين و انشغالهم بالتفسير والتحليل والكشف عن المعاني للقرآن منذ نزوله على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، واستمرت الحاجة هذه إلى يومنا هذا وستبقى مستمرة الى أن يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين [108]، فإنّ التفسير الصحيح لا يكون إلاّ بالرجوع إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) كما قال الطوسي (٤٦٠هـ) في تبيانه : (انَّ تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعن الأئمة (عليهم السلام) الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإنّ القول فيه بالرأي لا يجوز) [109] ، وأكَّد ذلك الطبرسي (٥٤٨هـ) في كتابه مجمع البيان: (و اعلم أن الخبر قد صحَّ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الأئمة القائمين مقامه (عليهم السلام) أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح والنص الصريح) [110].

ولعل هذا الاختصاص كونهم (عليهم السلام) هم المكلفون بتفسيره وتوضيحه بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد وردت أدلة عديدة، تشير تصريحاً تارة، وتلميحاً تارة أخرى، على علم أهل البيت (عليهم السلام) بتفسير القران مرة، واختصاصهم من دون غيرهم مرة

---

(١٠٦) ينظر : الشريف المرتضى، الانتصار :ص ٦٥ ، السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن:ص١٣-١٤.
(١٠٧)المازندراني ، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية : ١/٤٩-٥٠ ، ينظر : أمير كريم الصائغ ، المناهج التفسيرية للنص القرآني عند الامام الصادق عليه السلام : ص ٤٣
(١٠٨) ينظر : السيد كمال الحيدري ، أصول التفسير والتأويل : ص ١٥٤
(١٠٩) الطوسي ، مقدمة التبيان في تفسير القرآن : ص ٤
(١١٠) المصدر نفسه : ص ٤٢

أخرى، وذلك لأنهم أعلم الصحابة بالقرآن تفسيراً وتأويلاً، و أن تفسير القرآن الكريم من المهام التي أوكلها الله لهم، وجعلها من أولويات مهامهم، بعد أن تعهد ببيان القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [111]، فالضمير عائد على القرآن الكريم، وقد تعهد الله بحفظه، وبيانه [112]، وهذا البيان يكون عن طريق الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [113]، ففي الآية أمر صريح للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيان ما أُختُلِفَ فيه من أمور الدين [114]، وإن تفسير القرآن هو عماد الدين ومرجع المسلمين، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [115]، ففي هذه الآية المباركة بيان مهمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تجاه المسلمين من بيان للقرآن الكريم [116]، فيكون بيان القرآن زيادة على تبليغه، وما هذا البيان إلا عن الله تعالى لقوله: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [117]، فكل كلام لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من الله عزوجل [118]، وهذا البيان للقر آن الكريم غير مقتصر على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب، بل للعترة الطاهرة كذلك، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ

---

(١١١) سورة القيامة: الآية : ١٧ – ١٩.
(١١٢)ينظر: الزمخشري، الكشاف: ٢/ ١٣١٠؛ مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ١٥١.
(١١٣) سورة النحل: الآية٦٤.
(١١٤)ينظر: الطبري، جامع البيان: ١٧/ ٢٣٦؛ الطبرسي، مجمع البيان: ٦/ ١٣١.
(١١٥) سورة النحل: الآية ٤٤.
(١١٦)ينظر: الطبري، جامع البيان: ١٧/ ٢١١.
(١١٧) سورة النجم: الآية ٣-٤.
(١١٨)ينظر: الماوردي، النكت والعيون: ٥/ ٣٩١.

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ [119]، أي إنَّ الذين أورثوا الكتاب مهمتهم

بيانه[120]، وهنالك روايات كثيرة من طرق متعددة بإثبات مكانتهم وعلمهم بتفسير القرآن الكريم، حيث ورد (انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي ابن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود [*]، وعالم الشام أبو الدرداء [**]، فإذا التقوا سائل عالم الشام، وعالم العراق عالم المدينة، ولم يسألهم) [121]، وهذا دليل على أنه أعلمهم بجميع العلوم، ومنها تفسير كتاب الله وما فيه من أحكام، بل هو (عليه السلام) مصدرهم بالعلم والمعرفة، إذ إنهم ينتهلون من علمه، وهو علمه من الله عز وجل، وهذا ما شهد به ابن عباس في قوله: (قُسِّمَ عِلْمُ النَّاسِ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ، فَكَانَ لَعَلِيٍّ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَجْزَاءَ، وَلِسَائِرِ النَّاسِ جُزْءٌ شَارَكَهُمْ عَلِيٌّ فِيهِ فَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِهِ) [122]، وهذا دليل على أن الإمام علي(عليه السلام) لا يدانيه أحد بعلمه، بل ليس من الانصاف قياسه بغيره، فهناك أربعة أخماس العلم خُصَّ بها من دون غيره من الصحابة، والخمس الخامس كان له النصيب الأوفر به، بل لو كان هذا الخمس فقط، لكان حجة لإتِّباعه وعدم مخالفته، وقد جاء عن ابن مسعود قوله: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وأن علي ابن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن)[123]، وفي هذا اشارة إلى التأويل لأنه من الباطن، أو أنه خلاف الظاهر(124)، و يكون ممن علم تأويل الكتاب، بل إن هناك معانيَ غامضة لا يعلمها الناس يعلمها أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، وهذه المعاني حتى باللفظ الصريح، إذ إن له بطناً، و الأئمة (عليهم السلام) يعلمون ذلك الباطن، وهذا ما أشار إليه الإمام الباقر (عليه السلام) في خبر جابر إذ قال: سألت أبا جعفر(عليه السلام) عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية، فأجابني

---

(١١٩)سورة آل عمران: الآية ١٨٧.
(١٢٠)ينظر: الزمخشري ، الكشاف: ١/ ٢٠٦ .
(*) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، الامام الحبر فقيه الامة ابو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء : ٢٨٠/٣.
(**) ابو الدرداء الامام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول الله ، وأبو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس ويقال: عويمر بن عامر ، ويقال : ابن عبد الله ، وقيل : ابن ثعلبة بن عبد الله الانصاري الخزرجي حكيم هذه الامة وسيد القرّاء بدمشق . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء :١٤/٤.
(١٢١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤١٠/٤٢.
(١٢٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٧٤٩/٢.
(١٢٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٠٠/٤٢.
(١٢٤)ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان: ٤٢٥/١.

بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال لي: ((يا جابر إن للقرآن بطنا، وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)) [125]، وهذه الرواية صريحة بعجز العقول عن إدراك معاني القرآن بنحو الاستقلال ، وعدم الرجوع لهم (عليهم السلام) في الكليات أو القواعد العامة التي أسسوها للمفسر، إذ إنه أبعد ما يكون عن عقول الرجال، ولعل حصره بالرجال لا لعدم تمكن النساء منه، بل للغلبة، وكونه المشهور، والمعتاد إن الرجال من يفسرون القرآن، ولم يكن أهل البيت(عليهم السلام) الأعلم في التفسير فحسب بل في جميع أمور الدين، فقد سئل عطاء[*] (أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، والله لا أعلمه) [126]، وهذه الاعلمية مطلقة ليس مقيدة بجانب من الجوانب، فهو الأعلم في جميع الميادين، كما إنها على جميع الصحابة من دون استثناء، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم .

فرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المفسر الأول للقرآن الكريم [127] وهو الوحيد القادر على تفسر النص وإيضاحه في زمن النزول وايضا مهمته الرسالية تفرض عليه ذلك كما في قوله تعالى :﴿ . . . . وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[128] وكما في قول الإمام علي (عليه السلام):((أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فو الله ما بين لوحي المصحف آية تخفى علي، فيم أنزلت، ولا أين أنزلت، ولا ما عني بها، والله لا تلقوا أحدا يحدثكم ذاكم بعدي حتى تلقوا نبيكم)) [129]، وهذا القول لم يقله غيره قط [130]، فهو (عليه السلام) يعلم أسباب نزول القرآن وتاريخه، ويعلم التفسير، ثم يشير إشارة يتيمة في

---

(١٢٥) المجلسي، بحار الأنوار: ٨٩/ ٩٥.

(*)عطاء بن أبي رباح أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم - وقيل سالم - بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٦١.

(١٢٦) الذهبي، التفسير والمفسرون: ١/ ٦١.

(١٢٧) ينظر : السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القران : ١٤

(١٢٨) سورة النحل :ص ٤٤

(١٢٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٧/ ٣٣٥.

(١٣٠)ينظر: الخوارزمي، المناقب: ٩١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٩٩.

التاريخ، لم يأتِ بمثلها أحد، فيقول: (سلوني)، وهو مطلق السؤال، أي في جميع العلوم، فكان الصحابة ينهلون من عذب علمه (عليه السلام) الصافي وهذا ما أشار إليه الذهبي(ت ١٣٩٨هـ) في قوله: (كثيراً ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفى واستجلاء ما أشكل) [131]، و هذا ليس منحصرا به فقط فكذلك أبناؤه الطاهرون (عليه السلام) ، لأن علمهم علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ التَّنْزِيلَ، وَ التَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَلِيّاً (عليه السلام) ، قَالَ: وَ عَلَّمَنَا وَ اللَّهِ)) [132]، فعلم الإمام علي (عليه السلام) و عِلْمَ أهل بيته من بعده (عليه السلام) هو عِلْمَ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك ما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) حين طلب في مجلس يزيد أن يرتقي المنبر فلم يأذن له يزيد وحين ألح عليه الناس، قال يزيد: (إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا)، فخطب الإمام (عليه السلام) خطبة طويلة منها قوله: ((أعطينا العلم)) [133]، ففي قول الإمام (عليه السلام) أعطينا العلم، فهو كل العلم وليس بعض منه، ومن جملته علم التفسير، ولو كان هناك شك في ذلك لرد عليه أحد من الحاضرين ، وخصوصاً إنَّ فيهم من يتربصله الدوائر، وكذلك ما ورد عن أبي الصلت الهروي، عن الإمام الرضا (عليه السلام) انه قال: ((كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم وبعثوا إليَّ بالمسائل فأجيب عنها)) [134]، ولا عجب في ذلك لما جاء عنه من مناظر اته مع علماء الأديان والمتكلمين بمحضر المأمون وقد أفحمهم وأقروا له بالعلم والفضل [135]، وهذا ما أشار إليه أبو الصلت في قوله: (ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي) [136]، فعلمهم علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من الله

---

(١٣١) الذهبي، التفسير والمفسرون: ١/ ٦٧.
(١٣٢) الكليني، الكافي: ٧/ ٢٨٣.
(١٣٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٨.
(١٣٤) المصدر نفسه: ٤٩/ ١٠٠.
(١٣٥)ينظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا: ص ٩٥.
(١٣٦) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٩/ ١٠٠.

تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [137]، فكل ما يصنعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو عن الله عزَّ وجلَّ[138].

فقد تصدى (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أجمل من القرآن بتفصيله ، وما أبهم بتبينه، إما من خلال أحاديثه الشريفة وسيرته، أو من خلال تشريعاته للفرائض والسنن والاحكام وغيرها، فكانت هذه اجلَّ بيانا وتفسيراً للقرآن الكريم ، وحل مبهماته في التشريع والتسنين [139]، لذا (يعتبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المؤسس لعلم التفسير، ويكفي هذا فضلا ومزية لعلم التفسير الشريف)[140]، ولكن هذا لا يعني أن الرسول (صلى الله عليه وآله) فسّر كل القرآن كما يذهب الى ذلك ابن تيمية اذ يرى (انّ النبي (صلى الله عليه وآله) بيّن لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه)[141]، وانما كل ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله) هو بيان لمجمل القرآن وتوضيح لمشكله وتخصيص لعامه وتقييد لمطلقه [142]، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) مَنْ أرسوا القواعد التي يسير عليها المفسر، وحدوا له الحدود، إذ أن القرآن هو معطاء ومتجدد كما قال أمير المؤمنين (عليهم السلام) : ((لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ))[143]، فلا يتوقف تفسيره وعطائه عند حد أو زمن معينين

فأعلميَّة أهل البيت(عليهم السلام) في التأصيل لعلم التفسير تبيَّنت من خلال ما ورثوه من علوم ومعارف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد فسره لهم بشكل خاص لغرض تحميلهم تراث القرآن [144]، وبملازمتهم للكتاب الكريم باعتبارهم أحد الثقلين الذي أوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك به الى جنب القرآن الكريم كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنِّيتَارِكٌفِيكُمُالثَّقَلَيْنِ،أَحَدُهُمَاأَكْبَرُمِنَالْآخَرِ:

---

(١٣٧) سورة النجم: الآية ٣ .
(١٣٨)ينظر: الماوردي، النكت والعيون: ٥/ ٣٩١.
(١٣٩) ينظر : محمد كاظم الفتلاوي الدكتور ، مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق :ص ٥٦-٥٧
(١٤٠)صلاح عبد الفتاح الخالدي الدكتور، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص ٣٦
(١٤١) ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير :ص ٥
(١٤٢) ينظر : السيوطي ، الاتقان: ١٨٩/٢، نجم الفحام الدكتور، التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقران الكريم : ص٩٩-١٠٠
(١٤٣) محمد عبده ، شرح نهج البلاغة:ص ٥٤ .
(١٤٤) ينظر : الحكيم ، علوم القرآن : ص ٢٩٢-٢٩٣

كِتَابُاللهِحَبْلٌمَمْدُودٌمِنَالسَّمَاءِإِلَىالْأَرْضِ،وَعِتْرَتِيأَهْلُبَيْتِي،وَإِنَّهُمَالَنْيَفْتَرِقَاحَتَّىيَرِدَاعَلَيَّالْحَوْضَ))[145]، وضرورة الطاعة لهم وأخذ هذه العلوم منهم ، وهذا ما أثبته الكثير من النصوص الشريفة المبينة لعلمهم الذي ليس له حدود، فهم عدل القرآن الكريم وعلى منهجه (صلى الله عليه وآله وسلم) ساروا (عليهم السلام) ، فكانوا حملة القرآن ودعاته ومفسّريه ،وكما وردأنَّ العترة الطاهرة هم الأدلاء على القر آن بعد جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن الواجب ان نقتصر على أقوالهم، ونأخذ بإرشادهم، ونعتمد على تفسيرهم، فإنهم أعرف الناس به وهم نظرا ؤه[146]، ففي قول الإمام الباقر (عليه السلام) لعمرو بن عبيد [(*)]: ((فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو))[147]، فـ(كما كان موضع النبي من القرآن موضع بلاغ وبيان ، فكذلك موضع أهل بيته الطاهرين موضع أداء وبقاء ، إنهم خلفاؤه في أداء رسالة الله في الأرضين ، والبقاء ببيان شريعته في الخافقين ، فهم باب علمه ومستودع حكمته والمؤدون عنه والشهداء على الخلق ليكون الرسول عليهم شهيدا)[148].

فأول من فسَّر القر آن بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أمير المؤمنين (عليهم السلام)؛ لأنه الاعلم بالتفسير والتأويل ، فعن ابن مسعود أنه قال :(ان القر آن انزل على سبعة أحرف ما منها حرف الا وله ظهر وبطن وان علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنده منه علم الظاهر والباطن) [149].

وقد أجمع علماء الأمة على أنَّه (عليه السلام) المرجع الأعظم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تحليل وكشف وبيان وتوضيح تلك الكنوز الثمينة التي أشتمل عليها القرآن الكريم[150]، والروايات تدل على ذلك بكثرة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ لعليٍّ علماً بكتاب الله وسنتي ليس لأحدٍ من أمتي. يعلم جميع علمي. إنّ الله علمني علماً لا

([145]) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ١٧/ ١٧٠ .
([146]) ينظر : الخوئي ، البيان في تفسير القران : ص١٨.
(*) عمرو بن عبيد : من زعماء المعتزلة ومن العباد والزهاد وهو كثير التردد على أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وله معهم مواقف مشرفة قال حفص بن غياث : (ما وصف لي أحد إلا وجدته دون الصفة إلا عمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وصف لي) . قال (وما لقيت أحداً أزهد منه) توفي سنة ١٤٢هـ. ينظر : الذهبي ،سير اعلام النبلاء :١٠٤/٦.
([147]) فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي : ٤/٢٢
([148])معرفة ، أهل البيت والقرآن الكريم :ص ١٨.
([149])الانصاري ، معجم الرجال والحديث : ١١٤/٢ .
([150]) ينظر: محمد حسين الصغير الدكتور ، المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري : ص١٤

يعلمه غيري، وأمرني أن أعلمه عليّاً ففعلتُ)) [151] فقد قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها ، وأملأها عليّ فكتبتها بخطه، وعلمني تأويلها، وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وعلمها)) [152]، وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسَّر القرآن لعلي تفسيراً كلياً، وأوضحه بشكل كامل، لعلمه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ هذا الامام سيتولى من بعده بيان مكونات النص وخفاياه التي تصعب على بقية الصحابة فهمها ، وهنا يكون (عليه السلام) هو المدوِّن والمحلل والمفسِّر والمؤسس للقرآن وعلومه ، فهو مؤسس ومبرمج الدراسات القرآنية المتخصصة في ضوء ما سبق من قوله بعلمه بالتفسير وكشف خبايا وأسرار وعلوم القرآن[153] وهكذا حال بقية الأئمة عليهم السلام جميعا .

وإن لأهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم مناهج عديدة، بل ليس هناك منهج من المناهج غير المذمومة إلا واتبعوه في تفسير القرآن الكريم، وإن لم يكن في حينها متعارفاً تسميتها بهذه الأسماء، إلا إنهم فسروا بها، كطرق متعارف عليها من جملة طرق العرب في التفسير والحديث والمناظرات، وقد يكون التفسير مشترك بين منهجين أو أكثر، وما هذا التنوع في تفسير القرآن إلا دليل على سعة علمهم، ومن تلك المناهج التي استعملوها (عليهم السلام) منهج التفسير التحليلي (فتصدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتفصيل ما أجمل في القرآن ، وبيان ما أبهم منه) [154]وهذه جنبة من جوانب التحليل، ويدل على ذلك الروايات التفسيرية التي فسروها (عليهم السلام)بطرق منهجية مختلفة وهي على النحو الآتي :

1 - روي أنَّه لمّا نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [155]، شق ذلك على الناس وقالوا :يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

([151]) سليم بن قيس، مسند سليم:ص٧١ .
([152]) الكليني ، الكافي: ١/ ٣٨ .
([153]) ينظر : محمد حسين الصغير الدكتور، المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري : ص ١٤
([154])محمد كاظم الفتلاوي الدكتور، مناهج المفسرين دراسة بين النظرية والتطبيق : ص ١٥ .
[155] سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

فأينا لا يظلم نفسه ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :((إنه ليس الذي تعنون! ألم تسمعوا ما قاله العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[156]، إنما هو الشرك))[157] .

ففي هذه الآية دلالة العام ظاهرة عليها ، وهو شمول جميع أنواع الظلم ، وهذا ما ذهب إليه الصحابة فانتابهم القلق من ذلك من أنَّهم لا يحصلون على الأمان يوم القيامة من عقاب الله ومكره[158]، وهذا الأمر يصعب على كل مؤمن ، فلابد من أن يخص بأمر من دون غيره

لاعتبار ما، فجاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألونه من منهم لا يظلم نفسه، فيكونون يوم القيامة عرضة لعذاب الله، فخصص ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، بأن هذا الظلم هو ليس عموم الظلم، بل هو خاص بالشرك من دون غيره، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [159] الذي هو الاعتداء على صاحب

الحق، والمراد هنا إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الألوهية وفي العبادة فجعل الشرك

تخصيص ذلك الظلم[160]، فقد خصص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان عام اً من لفظة الظلم بخصوص الشرك . وقد أوصلتنا المعاني اللغوية الى هذه النتيجة التفسيرية .

2 -عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل أنه قال: ((فُرِضَ على السمع أن لا تصغي به إلى المعاصي فقال عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا

---

(١٥٦) سورة لقمان : الآية ١٣ .
(١٥٧)ابن كثير ، تفسير القران العظيم : ٣ / ٢٩٤
(١٥٨) ينظر: الطبري ، جامع البيان: ١١ / ٤٩٢ .
(١٥٩) ينظر : السيوطي ، الاتقان: ١٨٩/٢، نجم الفحام الدكتور ، التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقران الكريم : ص٩٩-١٠٠
(١٦٠) ينظر : ابن عاشور، تفسير ابن عاشور : ٢٤٨/٤ .

مِثْلُهُمْ ﴾(161)، وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (162)، ثم استثنى عز وجل موضع النسيان فقال: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (163))) (164).

من خلال الرواية نجد الإمام (عليه السلام) بيّن أن الجالس مع المستهزئ بآيات الله متساوٍ بالإثم مع المستهزئ نفسه، وهذا الأمر مطلق غير مقيد بقيد؛ أي كل من جالسهم فهو مثيلهم في الإثم، لكن الله جل وعلا قيّد ذلك الأمر بموضع النسيان في سورة الإنعام، فالناسي لذلك الحكم لا تترتب عليه العقوبة؛ لأن النسيان هو الغفلة عن الأمر (165) فلا يحاسب عليها(166) إنما يحاسب الجالسون مع المستهزئين بآيات الله عمداً دون نسيان .

فقد قيد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الإطلاق الوارد في الآيتين بآية ثالثة تشترط أن يكون الجالس ذاكراً وليس ناسياً لحرمة الجلوس مع المستهزئ بآيات الله تعالى .

إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فسّر تحليلياً الإطلاق الوارد في النصوص القرآنية من خلال استعانته صلوات الله عليه بآيات تقيِّد ذلك المطلق .

3 - قال أبو عبد الله (عليه السلام): ((قرأ رجل على أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (167)، فقال ويحك أي شيء يَعْصِرُونَ، يَعْصِرُونَ الخمر؟ قال الرجل: يا أمير المؤمنين كيف أقرؤها؟ فقال: إنما نزلت: و فيه يُعصَرون

---

(١٦١) سورة النساء : الآية، ١٤ .
(١٦٢) سورة الأنعام : الآية ٦٨ .
(١٦٣) سورة الأنعام : الآية ٦٨ .
(١٦٤) الصدوق ، من لا يحضره الفقهيه : ٣٩٩/٢.
(١٦٥) ينظر: الراغب الأصفهاني ، المفردات: ٦٤٢ .
(١٦٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف : ١ / ١٥٠ .
(١٦٧) سورة يوسف : الآية ٤٩ .

أي يُمطَرون بعد سني المجاعة، و الدليل على ذلك قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾[168]))[169] .

ففي الرواية قراءة الرجل تدل على أنهم هم الفاعل للعصر، وبهذا تكون توجيه دلالة الآية إلى أنهم هم من قام بالعصر، وهذا غير منسجم مع دلالة وسياق الآيات الأخرى؛ إذ إنها تشير إلى نزول الغيث بعد مسك السماء، هذا مما لا دخل للإنسان فيه، فالإمام صحح القراءة من بنائها للفاعل إلى بنائها للمجهول، وبهذا تكون القراءة منسجمة مع دلالة وسياق الآيات الاخرى، فأعطى الإمام بتصحيح قراءة الآية بُعداً دلالياً به يستقيم المعنى، لأنه هو أعلم بألفاظ القر آن الكريم وما تتضمنه كل كلمة بل وكل حركة في الكلمة من معنى ، فبين ذلك بالبناء للمفعول بـأنَّه ليس الإنسان من يعصر، بل هو من يستفاد من العصر، وهو نزول المطر وليس الخمر بل الماء الذي يسقى به الأرض وهو ليس من صنعهم بل صنع خالقهم وهو من ينزله عليهم؛ أي يقع عليهم فعل الله جل وعلى، وهكذا أفادتنا النتيجة الصرفية (يَعصرون ، يُعصرون) في توجيه المعنى الدلالي للآية .

٤-إنّ في بيان دلالة (اللغو) في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (170) تأمل وتفرع لوجهات نظر المفسرين في فهم مضمون هذه المفردة القرآنية فوضعوا لها معانٍ مختلفة كالباطل والشرك و الكذب وغيرها ، لكن نجد لمسات أهل البيت (عليهم السلام) واضحة وغير خفيّة في بيان كل مفردة قرآنية فقد تصدى الإمام الحسن (عليه السلام) وأدلى بدلوه في هذا الحيز لتفسير وتحليل لفظة

---

[168] سورة النبأ : الآية ١٤ .
[169] القمي ، تفسير القمي : ٢ / ٤٩٤ ، الطبرسي ، مجمع البيان: ٥/ ٣١٥ ،المجلسي ، بحار الأنوار : ٨٩ / ٦١
[170] سورة المؤمنون: الآية ١-٣.

(اللغو) في النص القرآني(171) على اعتبار ما ورد قبلها ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (172)، فالصلاة بمنطقها تنه ى عن الفحشاء والمنكر أي المعاصي بأجمعها، فالذي يؤدي الصلاة بأصولها وشروطها يكون معرضاً عن المعاصي فلا يقربها (173) .

إنّ استناد الإمام (عليه السلام) دلالياًاعتمد على الآية الأولى (قد أفلح المؤمنون) فـ (قد) اذا دخلت على الفعل الماضي تفيد تحقيق الفعل مطلقاً(174)، أي الفلاح متحقق للمؤمنين والفلاح لا يتحقق الا بالابتعاد عن المعاصي وعلى التنسيق الدلالي في الآيات فقد جعل الله تعالى (قد) سابقة لتحقيق معنى الفلاح بالمقابل آية الاعراض جعلها بالجملة الاسمية (هم عن اللغو معرضون) يمنح المعنى سمة الثبات ايضا(175) وهنا نلاحظ ان الامام (عليه السلام) وجه النص القرآني دلالياً واستشهد لذلك من خلال تحليله للنص القرآنيلغوياً .

ومن خلال هذه الأمثلة التطبيقية لتحليل النصوص القرآنيةيتبيَّن للبحث أنَّ الجذور الأساس لنشأة هذا التفسير ترجع للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ نزول القرآن الكريم عليه وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)من بعده لما ورد في الروايات المأثورة والمنقولة عن طريق العلماء والمفسرين كما قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) [176] من بعده، ولكنه لم يصاغ بهذا اللفظ تحديداً إلا أنه ظهر شيئاً فشيئاً فأتخذ طريقا اخر، هو التوسع في مصادره ، كاللغة ، النحو ، والبلاغة ، والقراءات وأسباب النزول، وغير ذلك .

حتى تطورت طريقة التفسير لدى المفسرينوأصبح التفسير التحليلي المنهج الغالب على المؤلفات في التفسير فنجده في التفاسير المعتمدة كالطبري (ت ٣١٠هـ) في جامع البيان،

---

(171) ينظر: النحاس ، معاني القران : ٤٤٢/٤ .
(172) سورة المؤمنون : الآية ٢ .
(173) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابيالدكتور، فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حل الإشكالات التفسيرية للنص القرآني ، ص ٢٢٧ .
(174) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٢٣١/١ .
(175) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابيالدكتور، فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حل الإشكالات التفسيرية للنص القرآني ،ص ٢٢٨.
(176) الصدوق ، عيون اخبار الرضا : ٢٣١/٢ ، المجلسي ، بحار الانوار : ٦٨/٥

والطوسي (ت ٤٦٠هـ) في التبيان والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تفسير الكشاف، وابن عطية (ت٥٤١هـ) في تفسيره المحرر الوجيزوالطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في مجمع البيان، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب والالوسي (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسيره روح المعاني وغيرهم.

المطلب الثالث : علاقة التفسير التحليلي بالمناهج التفسيرية

سوف يتطرق البحث لمناهج تفسير القرآن الكريم وبعدها يبين العلاقة بينها وبين التفسير التحليلي .

المقصد الأول : المنهج القرآني

هو من أقدم طرق تفسير القر آن الكريم وأسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين مقصود الآية (... فإن قيل أي الطرق أصح في تفسير القرآن ؛ فالجواب : إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنّه قد فسّر في موضع آخر ، وما أختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر)[177]، فالله تعالى هو اعلم بمراد نفسه من غيره فعلى من يتعرض لتفسير القرآن ان يبدأ بالقرآن أولاً[178]،فقد استحسنه المفسر ون المختصّون بالتفسير بأجمعهم واعتبر افضل طرق التفسير لأنه يفضي إلى معرفة مراد الله من قرآنه الكريم عن طريق مقابلة الآية بالآية [179].

ولعلّ الأساس في هذه الطريقة هو ما أشار اليه القرآن نفسه ، فهنالك من الآيات المحكمات هن أم الكتاب. ترجع إليها المتشابهات لأجل بيانها، فلا يمكنك تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[180] **، من غير الرجوع الى قوله تعالى:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

(١٧٧) ابن تيمية : مقدمة في اصول التفسير : ص ٩٣

(١٧٨) ينظر : محمد قاسم الشّوم، علوم القران ومناهج المفسرين : ص ٣٠٢

(١٧٩) ينظر : السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن :ص ١٣٩ ، محمد علي الرضائي الأصفهاني ، دروس في المناهج التفسيرية :ص ٥٩ ، محمد حسين الصغير الدكتور، دراسات قرآنية (المبادئ العامة بين النظرية والتطبيق) : ص ٩٢.

(١٨٠) سورة البقرة : الآية ٢٥٥.

شَيء﴾[181] وهناك أكثر من محذور، كالوقوع في التجسيم والتشبيه للباري جل وعلافتحل عن

طريق هذا المنهج، هذا من جهة ومن جهة أخرى ففي القرآن الكريم موضوعات متعددة ومختلفة، فربما يذكر الموضوع في سورةٍ ما ولكنه لم يتطرق إلى بيانه بالشكل التام فيكون ذلك على وجه الإجمال ، فنجده يفصل في سورة أخرى ، او في السورة نفسها ، وبذلك يرفع الأجمال السابق، وهذا نجده متوافراً بهذا المنهج ولكن مشترط بالإنعلم والدقة[182] .

فنجد السيد الخوئي(ت: ١٤١٣هـ) في مقدمة تفسيره يؤكد اهتمامه بهذا المنهج بقوله :(وسيجد القارئ أيضا أني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها ، وأسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً الى هذه الاستفادة) [183].

المقصد الثاني :المنهج الأثري

(هو تفسير القرآن الكريم بما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) أو الصحابة أو التابعين) [184] وكما وضَّح ذلك الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ) في تبيانه: (و اعلم أنّ الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأنّ التفسير لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الأئمة (عليهم السلام) الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّ القول بالرأي لا يجوز) [185] و هو أكثر المناهج شيوعاً فله مكانة خاصة بين المفسرين أيضاً ويعد الخطوة المرحلية الضرورية الثانية بعد القرآن ، فهما الأساس في التفسير ويجب الأخذ بهما وعدم العدول عنهما [186]، فيعتبر بعض المفسرين أنه لا يمكن تفسير القرآن بالاعتماد على العقل البشري ،ولكن باستطاعتنا الوصول إلى كنه معاني آيات القرآن؛ لأنّ في القرآن محكماً ومتشابهاً ، وخاصّاً وعامّاً ، ومطلقاً ومقيّداً ، ونصّاً وظاهراً

([181]) سورة الشورى :الآية ١١.
([182]) ينظر : السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ص ٣٠.
([183]) الخوئي ، البيان في تفسير القرآن : ص ٢٢
([184]) السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ص ١٥٣
([185])الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٤/١
([186]) ينظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي الدكتور، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : ١٧٣

، وظاهراً وباطناً الا بالأحاديث المأثورة [187]،ويحتل ابن عباس وابن مسعود المنزلة الكبرى من بين مفسري الصحابة بالعمل بهذا المنهج ، فكان ابن عباس يلقب بحبر الامة ، وترجمان القرآن، فكان تفسيرهما للقرآن بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمتابعة الآية القرآنية لأحاديث وروايات النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين) فما كان موافقاً لهما أخذوا به وما كان مخالفاً تركوه [188] ، ويرى البحث حسب كثرة الإطلاعات على كتب التفسير أنَّ من أكثر المفسرين القدامى الذين غلب الطابع الرئيس على منهجهم بالتفسير بالمأثور ، مثلا الطبري(٣١٠هـ) في جامع البيان من ابناء العامة والسيوطي في الدر المنثور والطوسي(ت: ٤٦٠هـ) في التبيان والطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في مجمع البيان والحويزي في نور الثقلين من الإمامية وغيرهم من المفسرين الذين يعتمدون على هذا المنهج .

المقصد الثالث : المنهج البياني

هو منهج من المناهج التي تدور حول الصور البيانية من تشبيه وكناية واستعارة وتمثيل ووصل وفصل ،أو الاستعمالات الحقيقية المجازية وغيرها من الأمور البلاغية في القر آن ، فعملية استقراء اللفظ القرآني للوصول الى دلالته (من خلال اللفظ والمعنى) وعرض الظواهر الأسلوبية هو اظهار ما في الألفاظ من قيم جمالية يعد منهجاً بيانياً لتفسير القرآن الكريم [189] .

فنجد أن الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) أختص باستعمال هذا المنهج بصورة واضحة(فخصص كثيراً من مباحثه في كتابه (نظم القرآن) الى استيفاء جمال العبارة، واستخراج ما فيها من مجاز وتشبيه بمعانيها الواسعة غير المحددة) [190] وظهر بعده الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت: ٤٧١هـ) في كتابه دلائل الاعجازوأسرار البلاغة ، فقد ركز عل استعمال النصوص الاستعارية والمعالم التشبيهية والمجازة في القرآن الكريم ، لكن مع هذا لم يسع عملهما القرآن أجمع حتى إذا جاء جار الله الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) بكتابه الكشّاف عن حقائق

([187]) ينظر : الكاشاني ، زبدة التفاسير : ١/ ١٠
([188]) ينظر : الزركشي ، البرهان : ١٥٧/٢.
([189]) ينظر : محمد حسين الصغير الدكتور ، المبادئ العامة لتفسير النص القرآني :ص١٠٣ ، محمد كاظم الفتلاوي الدكتور، مناهج المفسرين دراسة في النظرية والتطبيق :ص١١٥
([190])محمد حسين الصغير الدكتور، دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن) : ص١٠٣.

التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، فقد عمل دراسة جديدة تطبيقية في القرآن كله بين النكت البلاغية ومعانيها الاعجازية [191].

أما المحدثون من العلماء ممن عملوا بهذا المنهج فكما في كتاب سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ) في ظلال القرآن وبنت الشاطئ عائشة في كتابها التفسير البياني وغيرهم كثير [(192)].

المقصد الرابع : منهج الرأي

إنَّ لهذا المنهج معنيين عند العلماء وهما :

الأول : إنه تفسير للقرآن الكريم بالاستحسان والظن ، فيتبع الهوى بسبب ميولاته النفسية ، فيعمد إلى الآيات القرآنية ويحاول تطبيقاها على ما قصده من رأي أو عقيدة أو مسلك أو تبرير لما أختاره هو من فهمه الخاص من دون الرجوع إلى القوانين التي يحتاجها المفسر [(193)].

الثاني : قال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون إنَّ التفسير بالرأي (عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناهجهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها وإستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاجها المفسر) [(194)]

وهنا فقد اختلف العلماء في قبول هذا المنهج ورفضه فبعض منهم رفضوه ومنعوه وتوخوا الحذر منه بتاتا ؛ لأن ما ينتج عنه بالتفسير ماهو إلا جملة آراء شخصية لا تمت بصلة إلى المعطيات الدلالية الناتجة عن المأثور التفسيري [(195)].

---

(٣) ينظر : المصدر نفسة : ص ١٠٤.
(١٩٢) ينظر : محمد كاظم الفتلاوي الدكتور ، مناهج المفسرين : ص ١١٦-١١٧.
(١٩٣) ينظر : محمد كاظم الفتلاوي الدكتور ، مناهج المفسرين : ص ٩٠.
(١٩٤)الذهبي، التفسير والمفسرون : ١٦٩/١.
(١٩٥) ينظر : الزركشي ، البرهان: ١٦١/٢، السيوطي ، الاتقان : ٤٧٤/٢، محمد حسين الصغير الدكتور ، دراسات قرآنية : ص ٩٠-٩٤.

كما قال السيد الخوئي (ت:١٤١٣هـ) (قده) في هذا الموضوع: (لا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان ، ولا على شي لم يثبت أنه حجة من طريق العقل ، او من طريق الشرع ، للنهي عن اتباع الظن، وحرمة اسناد شي إلى الله بغير إذنه .. إلى غير ذلك من الآيات والروايات الناهية عن العمل بغير العلم، والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطريقين)[196] .

وقد استدلت هذه الفئة على عدم جواز العمل بهذا المنهج بعدة آيات مثلا استشهاد الزركشي (ت:٧٩٤هـ) في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . .﴾[197] وقوله تعالى: ﴿ . . تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [198] وغيرها حيث قال بعدم جواز تفسير القرآن الكريم بمجرد الرأي والاجتهاد من دون أصل [199] .

بينما نجد البعض الآخر تقبله ولم يعترض عليه لكن وضعوا شرط الاستدلال فسمّوه بالتفسير بالرأي الاستدلالي، او التفسير العقلي؛ لأن العقل هو القناة الأصل بإنتاج المعرفة على وفق قانون العلة والإستدلال، فلابد للنص القرآني أن يسمح للعقل بتوظيف قدراته وكل امكانياته لكي يستطيع معرفة ما يتضمنه من معانٍ كبيرة؛ أي أنَّ هناك حلقة صلة بين العقل والمعرفة، لذا عرّفوه بأنه عملية توظيف القدرة العقلية من قبل المتلقي للنص لكي يستنبط دلالة ذلك النص ، وايضا يستكشف القرائن العقلية التي يتوصل من خلالها إلى معرفة ذلك المعنى[200] .

وقد أستدل أصحاب هذا القول بأنَّ الله سبحانه وتعالى دعا أرباب العقول إلى التفكر والتأمل في معاني كلامه المقدس في عدة مواضع منها قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

---

(١٩٦)الخوئي ، البيان في تفسير القرآن: ص ٣٩٧ .
(١٩٧) سورة الاسراء : الآية ٣٦.
(١٩٨) سورة البقرة : الآية ١٦٩.
(١٩٩) ينظر : الزركشي ، البرهان: ١٦١/١.
(٢٠٠) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور، مناهج تفسير النص القرآني: ص ٢١٤ ، محمد علي رضائي ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن : ص ١٢٢.

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [201]، وقوله: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [202] وغيرها من الآيات التي تعطي للعقل أهمية بالغة في تحليل وتفسير القرآن الكريم .

ومن خلال ذكر هذه الآراء حول مفهوم التفسير بالرأي يرى البحث أنَّ تفسير الآيات القرآنية من قبل المفسرين إذا لم يستند إلى دليل مقنع للمتلقي سواء بنقل عن رسول الله ، او الصحابة، او أي قاعدة من القواعد التي يعتمد عليها المفسّر لكي يُسلّم به فلا يعد هذا من التفسير في شيء .

أما من اتبع هذا المنهج فـقد قيل إنَّ مقاتل بن سليمان البلخي (ت: ١٥٠هـ) صاحب كتاب الأشباه والنظائر في القران الكريم كان من أوائل المفسرين بالرأي فكان لا يسند أقواله الى دليل ولا يتثبّت في القول ويعتمد على رأيه [203]

المقصد الخامس :المنهج اللغوي

هو المنهج الذي اعتنى بالجانب اللغوي ، فاهتم بمفردات القرآن الكريم من حيث اشتقاق المفردة، أي بيان الجذور والأصول فيها، وشكل الألفاظ القرآنية (النحو والصرف والحجة) كما أهتم بالقراءات أيضاً ، فنجد المفسر هنا في هذا المنهج يهتم اهتماماً بالغاً بالقراءة فيقف على الصحيح، فيبتعد عن تحريف الألفاظ القرآنية وتحريف معانيها ، وكان موضوعه إعراب القرآن وغريبه والوجوه والنظائر [204] ، وتبرز أهمية هذا المنهج من حيث أنّ الخطاب القرآني نزل باللغة العربية على الناس، وبين الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) هذه المزية بقوله: (ان أول ما يحتاج إليه أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من اول المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه..... فألفاظ القرآن هي

([٢٠١]) سورة محمد : الآية ٢٤.
([٢٠٢]) سورة ص : الآية ٢٩.
([٢٠٣]) ينظر : محمد كاظم الفتلاوي الدكتور ، مناهج المفسرين الدكتور : ص٩٤.
([٢٠٤]) ينظر : السبحاني ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ص ١٥٤، محمد حسين الصغير الدكتور، دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن): ص ٩٧.

لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم) [205]، لذا اهتم العلماء والباحثون المتخصصون بالبحث عن لغة القرآن ومجازه وغريبه ومفرداته ومعانيه وغيرها ولعل أول من عمل بهذا المنهج في تفسير آيات القرآن لغوياً هو ابن عباس (ت : ٦٢هـ) واستمرت بعده العديد من العلماء فنجد أحد تلاميذ الإمام الصادق (عليه السلام) وهو ابان بن تغلب (ت: ١٤١هـ) قد ألف في هذا المجال ، مثلا غريب القرآن ومعاني القرآن والقراءات وغيرهم كثير، لكن رؤوس هذا المنهج هم ابو زكريا الفراء (ت:٢٠٧هـ) في كتابه معاني القرآن وابو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠ هـ) في مجاز القرآن وابو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) في كتابه معاني القرآن، كما أن تفسير البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) هو نموذج للتفسير اللغوي [206] .

المقصد السادس : المنهج العلمي

إن لهذا المنهج ثلاث أراء في تعريفه :

الرأي الأول : يُعرّف بأنه عملية استخراج العلوم سواء كانت قديمة أو حديثة من القرآن الكريم، فهو يشمل لعلوم متعددة منها: الفلسفية، والطبية، والتشريعية، والفلكية، وغيرها[207]

الرأي الثاني : هو منهج يقوم بجعل القرآن مشتملاً على إشارات عابرة لكثير من اسرار الطبيعة، فهم يحملون ويطبقون هذه النظريات العلمية على القرآن سواء بالتصريح ، أو التلميح، ويقولون بإعجازيته وصلاحيته للبقاء [208] أي إنّه ((يُستعان به لبيان الدلالات العلمية في الآيات القرآنية التي تضمنت حقيقة علمية معينة)) [209]

([٢٠٥])الراغب الأصفهاني، المفردات: ص ٣١
([٢٠٦])ياقوت ، معجم الأدباء: ٣٤/١.
([٢٠٧]) ينظر : المصدر نفسه : ص ١١٣.
([٢٠٨]) ينظر : معرفة ، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب : ٤٤٣/٢.
([٢٠٩])سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور ، مناهج تفسير النص القرآني : ص ١١٩.

الرأي الثالث: هو أن تستخدم العلوم في فهم أفضل لآيات القرآن الكريم ، أي من خلال التفسير العلمي نستطيع توظيف تلك العلوم المقطوع بصحتها لا المشكوكة والمتغيرة لفهم ومعرفة دلالات النص القرآني [210]

ومن خلال ذلك العرض المبسط للآراء حول مفهوم المنهج العلمي يرى البحث أن الرأي الثالث هو الأصوب ؛ لأن الغرض من المناهج التفسيرية هو للوصول لفهم مراد الله تعالى بصورة أصح وأفضل وأوسع ، وهنا تفيدنا هذه العلوم القطعية كوسائل لتقوية التفسير للآيات ، وتوضّح الإشارات العلمية في القرآن ، ولكن بشرط مراعاة الضوابط الصحيحة للتفسير لكي لا ينحرف المفسّر إلى التفسير بالرأي، وهذا مذموم وغير مقبول كما مرَّ سابقاً.

وقد اختلف العلماء في قبوله ورفضه فنجد منهم من يؤيده كالشيخ ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) حيث استعمل هذا المنهج فقد قال في تفسير الآية : ﴿يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [211]

كلمة العرش هو فلك الأفلاك (الفلك التاسع في هيئة بطليموس) أما كلمة ثمانية فهي الأفلاك الثمانية (القمر –الشمس-الزهرة-عطارد-زحل-المشتري-المريخ-والفلك الثابت)[212]، وايضاً أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) الذي يذهب إلى انّ انشعاب سائر العلوم وتفصيلاتها وتقسيماتها من القرآن[213] والفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)يعمل بهذا المنهج كما قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ [214]فاستدل على سكون الأرض وناقش الآراء الفلكية [215]،والسيوطي (ت:٩١١هـ) والعلامة المجلسي (ت:١١١١هـ) وغيرهم ممن عمل بهذا التفسير[216].

بينما نجد هناك من رفضه فقد أنكر أبو إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات هذا التفسير فقال:(إنَّ كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ؛ فأضافوا إليه كلَّ

---

(٢١٠) ينظر : محمد علي الرضائي ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن : ص ١٩٠.
(٢١١) سورة الحاقة : الآية :١٧
(٢١٢)الذهبي، التفسير والمفسرون : ٤٢٦/٢.
(٢١٣) ينظر: الغزالي ، جواهر القرآن : ص٢٨-٢٩.
(٢١٤) سورة البقرة : الآية ٢٢.
(٢١٥) ينظر : الرازي، مفاتيح الغيب: ٩٤/٢.
(٢١٦) ينظر : محمد علي الرضائي ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ص ١٩٤-١٩٦.

علم يُذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيّات كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف وهذا غير صحيح ..... ، ثم قال إنه لم يدّع أحد من السلف الصالح مثل هذه الدعوى، وإنَّ القرآن إنما جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها)[217] وأيضاً محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) محمد حسين الذهبي (ت:١٣٩٨هـ) من المعارضين لهذا التفسير وغيرهم [218].

أما العلامة الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) فيعد المنهج العلمي منهج اً تطبيقياً لا تفسيري اً بقوله:(إنّ هذا الطريق في البحث أحرى به أنْ يُسمّى تطبيقاً لا تفسيراً)[219].

ولكن هناك من جعل شروط لقبوله وعليه قسِّم التفسير العلمي إلى قسمين:[220]

القسم الأول : جواز العمل بالتفسير العلمي بشروط متعددة منها

1 -أن لا يكون التفسير للآيات التي تحتمل النقيض بتاتا بل فقط في الآيات الثابتة.
2 -أن تتوافق الآية مع الحقيقة العلمية التي تحدد لها .
3 -أن يكون الغرض من التفسير العلمي هو زيادة الفهم والإيضاح للآيات القرآنية.
4 -أن يكون هذا التفسير العلمي جزء اً من الاعجاز العلمي ولا نع د معجزاً لأن الأداة التي تستعمل به ليست خارقة للسنن الكونية.

القسم الثاني : عدم جواز العمل به دون توفر الشروط المذكورة أعلاه .

المقصد السابع : المنهج الإشاري

عرّفه الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ) في مناهل العرفان بأنه :(هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيض اً) [221]

([٢١٧]) الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة : ٢/ ٧٩.
([٢١٨]) ينظر محمد علي الرضائي ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ص ٢٠٠-٢٠١.
([٢١٩])الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ١/ ٣
([٢٢٠]) ينظر : محمد كاظم الفتلاوي الدكتور، مناهج المفسرين: ص ١٤٦.
([٢٢١])الزُّرْقاني ، مناهل العرفان: ٥٦/٢.
* هناك من العلماء من فرّق بين التفسير الصوفي والباطني ولم يقل أنهما واحد ووضع حداً فاصلاً ألا وهو محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٧٦هـ) فقال: ((من هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر؛ بل يحضّون عليه ويقولون لا بد منه أولاً ؛إذ من أدعى فهم أسرار القرآن ولم يحكّم الظاهر كمن ادّعى بلوغ سطح البيت قبل أن يُجاوز البابَ، وأما الباطنية فإنهم يقولون نّ الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة)) الزرقاني ، مناهل العرفان:٥٧/٢.

فهو منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم وله عدة أسماء منها الصوفي والشهودي والباطني* والعرفاني والرمزي ، وكل واحد من هذه الأسماء يشير إلى القراءة العميقة في الآية ، وهذه القراءة ليست متساوية ، فهي تتباين من قارئ لآخر ، فكل واحد يقرأ من وجهة نظره ومعتقده ومنطلقه، الفكري فنجد الآية قد تفسّر إشارياً ولكن بعدة دلالات وفق منطلق المفسّر الذهني لها وعقله وطريقة تفكيره [222].

ومفهومه أنَّ هناك إشارات خفية في القرآن الكريم تسهم في الأخذ ببواطن الآيات القرآنية وعبور ظواهرها ، أي استخراج وتوضيح نكتة من الآية مخفية ، أو بعيدة الدلالة من خلال باطنها عبر تلك الإشارات من دون أن تكون ظاهرة على سطح النص أي ظاهر النص[223].

وترجع أهمية هذا المنهج ، و أهمية دراسته بسبب اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) به والإشارة إلى وجوده في أحاديثهم ، لأن بعض من أقسامه يرجع تأريخه إلى صدر الإسلام ، فقد وجدت في أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) فقد قالوا (عليهم السلام) في كثير من الروايات أنَّ للقرآن ظهر اً وبطناً، وأشاروا لهذا المنهج كما في قول الإمام الصادق (عليه السلام) : (إنَّ كتاب الله عزوجل على أربعة أشياء : على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام ، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء)[224].

وهناك اختلاف وارد بين المفسرين في هذا المنهج ، فمنهم ارتضى ببعض أقسامه ، ومنهم رفضه، ومنهم من فصّل به، فمن العلماء الذين وافقوا على هذا النوع من التفسير محي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ) الذي ذهب إلى أنَّالقرآن تفسيراً عرفانياً تارة ، وتفسير اً باطنيا صوفيا تارة أخرى، وكذلك يعتبر التفتازاني(ت: ٧٢٢هـ) أيضا ممن يؤيد هذا النوع من التفسير الاشاري الصوفي،والسيد الخميني(ت:١٤٠٩هـ) أيضاً وافق على هذا المنهج ، فقد استدل على التدبر والتعقل لأن في القرآن بواطن أمور تدخل في العرفان وغيره ا.

([222]) ينظر: سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور، مناهج تفسير النص القرآني : ص ١٩١.
([223]) ينظر : محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية : ص٢٣٥- ٢٣٦، بكري أمين ، التعبير الفني في القرآن الكريم : ص ١١٦.
([224])المجلسي ، بحار الانوار : ٢٠/٩٢.

أما من العلماء المخالفين له الاستاذ عميد الزنجاني الذي قسّم التفسير الإشاري إلى ثلاثة أقسام :التفسير الرمزي، وعده من التفسير بالرأي ، والتفسير الإشاري وقام بالتشكيك فيه ، والى التفسير الشهودي فقال أنه احساس شخصي لا يقبل الانتقال الى الغير، ولا يعتبر حجة.

أما العلماء القائلون بالتفصيل فمنهم العلامة الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ) فقال: (نعم وردت روايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) كقولهم : إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن أو إلى سبعين بطناً ولكنهم (عليهم السلام) اعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن واعتنوا بأمر التنزيل كما اعتنوا بشأن التأويل) [225]، كما أنَّ محمد هادي معرفة أيضا ممن فصّل بهذا النوع فقال هناك نوعان للتفسير الصوفي الاول يقوم على أساس التأويل من دون دليل ، والثاني عل أساس الكشف والشهود وأشار الى التفسير الباطني الصحيح الذي يرتكز على ضوابط صحيحة وكذ لك محمد حسين الذهبي قسم التفسير الإشاري على نوعين صوفي نظري يعتمد على مقدمات علمية ، وصوفي فيضي يعتمد على رياضة روحية[226]، ومن هنا فقد قَسَّمَ هذا المنهج إلى قسمين [227]:

القسم الأول : منهج التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح: فهنا المفسر يؤول الآيات بالإفادة من الشهود الباطني ، والمباني المنافية لظاهر القرآن ، وقواعد الاستنباط من الظاهر ، والنظريات العرفانية مع عدم الأخذ بالضوابط والقرائن النقلية والعقلية ، وهذه طريقة غير صحيحة تماماً لأنها تؤدي إلى التفسير بالرأي، وهذا القسم له نوعان هما :

1 - منهج التفسير الشهودي الفيضي :فيستفيد كما أسلفنا من الشهود العرفاني والتجليات القلبية مع تجاوز حد الظاهر ، وهذا ينسب إلى الصوفية والعرفاء، ومن الامثلة عليه في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ [٢٢٨] فقال الصوفية أن الله أمرنا بقتال النفس وقتال كل من يلينا لأن أقرب شي إلى الإنسان نفسه [229] .

([٢٢٥]) الطباطبائي، مقدمة تفسير الميزان: ٣/١.
([٢٢٦]) ينظر : الذهبي ، التفسير والمفسرون : ٢٦١/٢.
([٢٢٧]) ينظر : محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية: ص٢٥١-٢٥٥
([٢٢٨]) سورة التوبة : الآية ١٢٣.
([٢٢٩]) ينظر : ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح: ١٢٩/١.

2 - المنهج الاشاري النظري : هنا يستفيد من المباني النظرية للعرفان ،أو التصوف، وكذلك يتجاوز حد الظاهر من دون استعمال القرائن النقلية ،أو العقلية، ونسب كذلك للصوفية وأهل العرفان. ومن أمثلته في تفسير قوله: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

[230]أي إن من يريد ان يدرك الوحدانية الحقيقية فعليه طرح التفكير في الدنيا وفي الآخرة[231].

القسم الثاني: التفسير الباطني الصحيح: بما أن هناك روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) تشير إلى باطن القرآن اصبح هناك دافع لدى المفسرين في تفسير هذه البواطن لكن بالالتزام بمعايير وضوابط خاصة لكي لا ينحرف المفسر إلى التفسير بالرأي .

ومن هذه الضوابط التي وضعت لقبول التفسير الإشاري في النص منأجلعدم الانحراف للتفسير بالرأي هي [232] :

1 -أن لا يتنافى التفسير مع ظاهر النص القرآني وضرورة التوافق بينهما.

2 -أن يُعضّد التفسير بشاهد شرعي ولا يوجد تعارض معه سواء كان شرعياً أوعقليّاً ، والاستفادة من التفسير الظاهري للآيات والمرويات التفسيرية لأنهما يُعطيان إضاءة أقوى للدلالة .

3 عدم تقييد معنى النص بالدلالة التي استنتجها والوقوف عليها حصراً ، بل يجب أن يبين أنه هناك دلالات أخرى لهذا النص تتناسب مع الزمان والمكان ؛ لأن العقل البشري في حالة تطور وتقدّم مستمر.

ويضيف البحث ملحوظة تتعلق بهذا الموضوع يجب الانتباه إليها وه ي أنَّه قد لا ينطبق المنهج الإشاري وإنْ كان يشمل على كل القرآن ؛ لعل هناك نصوصاً لا تفسر بهكذا نمط وبرغم وجود الإشارات ؛ لأنها لا تكون مناسبة تماما للسياق العام في النص ، فتؤدي إلى تفسير شخصي، وحسب رأي المفسر الذي يلوي هذه الإشارة التفسيرية لتقوية ما فسّره .

([٢٣٠]) سورة طه : الآية ١٢.
([٢٣١]) ينظر : خالد عبد الرحمن العك : أصول التفسير وقواعده : ص ٢١٤.
([٢٣٢]) ينظر : الزرقاني ، مناهل العرفان: ٥٨/٢، محمد حسين الصغير الدكتور ، دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن) : ص ١١٠-١١١.

وهناك مناهج أخرى في التفسير عَمَدَ إليها جملة من الأعلام ، منها المنهج الاجتماعي الذي يفسر القرآن تفسيراً حسب مراحل النزول ، وتميز به محمد رشيد (ت: ١٣٥٤هـ) صاحب تفسير المنار ، والادبي الذي يُعني بالصورة الأدبية للقرآن ، ويترصد قضاياه الجمالية في التشخيص والتمثيل والتجسيد ليكشف عن تناسق القرآن وترعرع على يد سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ) في كتابه في ظلال القرآن وايضا التفسير الاحتجاجي الذي يُبرِّز المقالات الاسلامية في العقائد والكلام ، وأبرز من عمل به هو فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب[233] وغيرها من التفاسير ، فلا يسعنا الوقت للتكلم بالتفاصيل لهذه الانواع وغيرها لقلة العمل بها .

وبعد الوقوف على مناهج التفسير للنص القرآني بهذا الشكل الموجز لابد من أن نبيّن العلاقة التي تربط هذه المناهج بالتفسير التحليلي، لكنَّ ذلك لا يتحقق قبل معرفة أنَّ التفسير التحليلي هو منهجٌ أم أتجاه ؟ لما حصل من الاختلاف في تسميته .

وللتفريق بين المنهج والاتجاه أو إبانة المائز بينهما لابد من تعريفهما، وبما أنَّ البحث تطرّق لمعنى المنهج سابقاً في المبحث الأول فأصبح لزاماً أن نُعَرِّف الاتجاه.

فالاتجاه هو (الاستعداد أو الحالة العقلية أو الميول النفسية والنزعات التي توجه الفرد لتقويم موقف أو تجربة ما ومعالجة ذلك بطريقة مميزة) [234]، فهذا تعريف للاتجاه بصورة عامة أما الاتجاهات التفسيرية بصورة خاصة فهي (المميزات والخصائص التي تميز تفاسير القرآن الكريم بعضها عن بعض تبعاً لما يحمله المفسر من نزعات وميول مسبقة تنطبع آثارها في تفسيره وتوجهه اتجاهاً معيناً) [235]، فهو ما يميز تفسير من التفاسير عن غيره بما يحمله من صفة أو صبغة أو طابع عام يغلب استعماله في هذا التفسير عنغيره، وأما المنهج فهو الطريقة أو الخطة الموُصلة إلى هدف معين [236]، ويعد استعمال معتقد المفسّر أو نزعته أو ميوله أو استعمال منهجاً من المناهج من دون غيره بشكل يميز تفسيره عن غيره يكون هو اتجاه المفسر

---

(٢٣٣) ينظر : محمد حسين الصغير الدكتور، دراسات قرآنية (المبادئ العامة للتفسير التحليلي): ص ١١٧-١٢٧.
(٢٣٤) هدى زيدان ، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم :ص ٢٣ .
٢٣٥(٢٣٥)المصدر نفسه : ص٢٣ .
(٢٣٦) ينظر: محمد علي أسد، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة:ص ١٨ .

أو الاتجاه التفسيري، ولهذا عدَّ بعض الباحثين العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص [237]، فيكون الاتجاه أعم من المنهج .

وقد فرّق بينهما أستاذنا الدكتور سيروان الجنابي على أساس كثرة استعمال المناهج فيه فعدَّ التسلسلي والموضوعي اتجاهات لكثرة استعمال المناهج فيهما بقوله: (نحسب أن هذا النمط – الموضوعي- من حيثيات التفسير لا يتفق وتسميته بالمنهج؛ بل يمكن أن نطلق عليه تسمية الاتجاه، ومصطلح الاتجاه فيما نخال أكثر شمولاً وعمومية من مصطلح المنهج؛ ذلك بأن سائر المناهج التفسيرية تتبع هذا الاتجاه في التفسير) [238]، فقد عدَّ كثرة استعمال المناهج فيه هو المائز بين الاتجاه والمنهج، إلا أنه ذكر في موضع آخر : (قد يركن المفسر إلى المنهج التحليلي في قراءة النصوص القرآنية لاستمطار مدلولات الخطاب السماوي) [239]، فقد عد التحليلي منهجاً،وعلى ما أشار إليه من مائز بين الاتجاه والمنهج يكون اتجاه اً؛ إذ سائر المناهج التفسيرية تتبع المنهج التحليلي في تفسير النص عموماً والقرآني خصوصاً.

وبهذا يكون التفسير التحليلي هو أحد المناهج التي يتبعها المفسر للكشف وبيان النص القرآني، ويرتبط بعلاقة تداخل مع المناهج التفسيرية الأخرى ، كونه آلة في كل منهج ، فالمفسر اللغوي مثلاً لا يعطي تفسيراً لغوياً إلا بتحليل النص القرآني ، وكذلك العقلي والأثري وبقية المناهج بالإضافة إلى ذلك فالتفسير بالتحليل يشتمل على ما موجود من مناهج ، فالعلاقة بينهما علاقة ترابط وتداخل لغرض واحد وهو الكشف عن مراد الله تعالى بكل آية قرآنية ونص قرآني بل وسورة قرآنية .

وإذا كَثُرَ استعمال المفسّر لهذا المنهج وأصبح الصبغة التي تميز تفسيره عن غيره يكون اتجاه ه، وليس كونه انتقل من المنهج واصبح اتجاه اً ولا يمكن اطلاق عليه مصطلح المنهج ، فيكون منهج وفي الوقت نفسه هو اتجاه المفسر .

---

[٢٣٧] ينظر: محمد صالح عطية الحمداني، منهج التفسير التحليلي للنص القرآني:ص ١٥ ، خولة مهدي شاكر الجراح الدكتورة ، البحث القرآني عند السيد الشهيد محمد باقر الحكيم: ص ٢٥٣ .

[٢٣٨] سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور ، مناهج تفسير النص القرآني : ص ٢٣٩ .

[٢٣٩] المصدر نفسه :ص٢٣٩ .

الفصل الثاني

التفسير التحليلي و علاقته في القراءات المعاصرة للتلقي والتأويل

***المبحث الأول :**

التفسير التحليلي وعلاقته في القراءة المعاصرة للتلقي

*** المبحث الثاني:**

التفسير التحليلي وعلاقته في القراءة المعاصرة للتأويل.

المبحث الأول

التفسير التحليلي وعلاقته في القراءة المعاصرة للتلقي

توطئة:

إنَّ لاختلاف وجهات النظر في تجلي منزلة كل من المؤلف والنص والمفسر في الفهم كانت سبباً في تعدد الآراء، فقد أعطى بعضهم المؤلف دوراً أساساً في الفهم النص وتفسيره وأن له الأصالة في ذلك ، فجعل هدف المؤلف وشخصيته ميزاناً لفهم وتفسير النص، فيما ذهب آخرون إلى أصالة النص ومركزيته في اظهار المعنى، أما بعضهم الآخر فقد صرّح بأن المحورية في فهم النص والأصالة تعود للمتلقي ، فهو المخاطب به ، وهو من يفسره ويعرف ما يحويه من معاني، وأنَّ هذا الفهم لمدلولات النص تابع لعلاقات وخلفيّات وتوقّعات المفسر المتأثرة بثقافته وظروفه الحاكمة على حياته.

فالذي يهمنا في هذا المبحث هو دراسة النظريات التي لها علاقة بالتفسير التحليلي ومعرفة المعنى ، وعليه سوف نبحث عن نظرية التلقي بالصورة الصحيحة المطلوبة في التحليل؛ لأنها جنبة مهمة لا بد من التعرف عليها ، فهي قد اختلفت عن كل النظريات التي تهتم بالقارئ والقراءة، بكونها نظرية تعنى بفهم النص لا بالقراءة ، فهي نظرية مهمة ومفيدة ، إلّا أنَّ هناك الكثير من المحدثين من فهمها بالصورة الخاطئة ، بل وجعلها آلة يرصد لها في إثبات ما يتبناه من أفكار ويحاول أن يعضد افكاره بالنصوص المفسرة من قبله دون الرجوع إلى ما يريده مبدع هذه النصوص من معاني [240].

المطلب الأول : مفهوم التلقي في اللغة والاصطلاح

(1) يراجع : مواهب الخطيب الدكتورة ، تعدد القراءات في فهم النص القرآني – دراسة نقدية : ص٢٨ ، ٣٩.

المقصد الأول : معنى التلقي لغةً

إنَّ لفظ التلقي في اللغة هو من لقي فلان فلاناً، ولاقاه، وتلقاه، لقياناً وملاقاة وتلقياً، صادفه وقابله واستقبله ، تلقّي الضيوف : استقبالهم ، تَلَقّي الأَوامِرِ : تَسَلُّمُها، وتلقي الكلمات: استقبالها بالأخذ و القبول والعمل بها أي إن تلقي الشي هو استقباله وتسلمه [241].

المقصد الثاني : معنى التلقي اصطلاحاً

أما في الاصطلاح فيدخل تحت صفة النظرية اي نظرية التلقي فهي مجموعة من المبادئ والأسس النظرية التي تهدف الى الثورة ضد البينونة والوصفية ، واعطاء القارئ الدور الجوهري في فهم النص، فهو يعيد الانتاج والتكييف والاستيعاب للمعنى فقد عبر عن هذا اللفظ بالمصطلحات الحديثة بألفاظ متباينة ومشتركة بالمعنى العام ، والتي كلها تدل على فهم الخطاب من قبل المتلقي [242]، وعبّر عن المتلقي بتسميات متعددة فهو (المستجيب للنص وهو المستقبل وهو الفاهم والمتقبل أيضا وهو المرسل إليه وهو المخاطب وهو السامع والقارئ .... إلى آخر السلسلة من الأسماء والمسميات) [243]، اي انه من خلال عملية التلقي يظهر من الذي تُوجَّه إليه الرسالة ألا وهو المتلقي فيحل رموزها ويترجمها إلى معانيها ، ويكون ذلك في ضوء خبراته السابقة حول محتوى الرسالة.

كما أنَّ نظرية التلقي تعني باللغة الإنكليزية (Reception theory) فقد ظهرت في المانيا في مدرسة كونستانس وبرلين الشرقية وكان ذلك في (١٩٦٦م) ومن أبرز مؤسسي هذه النظرية هانز روبرت ياوس *وفولفغانغ آيزر*، وهما أستاذان في جامعة كونستانس في ألمانيا، وهذه الجامعة ارتبطت ارتباطا وثيقا بنظرية التلقي حتى أصبح ذكر إحداهما يستلزم الأخرى، بما قدمته من اطروحات جديدة ومفاهيم نظرية، حولت مجرى الدراسات الأدبية والنقدية؛ ذلك أنها أعادت بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية من حيث تكوينها عبر التاريخ، وطرق فعالية القراءة، ودور المتلقّي في إنتاج هذه العملية ، والهدف الأساس لهذه النظرية هو بيان العلاقة بين النص والمتلقي [٢٤٤] ، كما أضاف ايزر إلى أهمية رصد الكيفية التي بها يتم

([٢٤١]) ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة : ٢٧١/٣، الطريحي ، مجمع البحرين : ٢٧٢/١.
([٢٤٢]) ينظر: سمير سعيد حجازي ، مصطلحات النقد الادبي المعاصر : ص ١٤٥.
([٢٤٣]) روبرت سي هولب ، نظرية الاستقبال مقدمة نقدية ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد: ص ١٩.
* هانز روبرت ياوس (Hans Robert Jauss): ناقد ألماني معاصر واستاذ متخصص في الآداب الفرنسية ممثل ما يسمى/ جامعة كونستانس التي تدور أعمالها حول مفهوم تلقي العمل الفني، وهو المؤسس لنظرية التلقي، بتأثير من هرمينوطيقا

التفاعل بين النص والقارئ، وبيّن ياوس أنَّ النص لا يفهم إلا بفهم تجسيداته وتحقيقاته عبر التأريخ [245].

ونظرية التلقي هي (بنية منتجة تفضي إلى إنتاج الدلالات الأدبية وتقود إلى القراءة المفتوحة القادرة على فك شفرات النص ودعمه بطابع حي يستوعب آفاقاً غير نهائية من التأويل ضمن وعي نقدي فاعل) [246] وقيل :(هي معنى مزدوج يشتمل على الاستقبال او التملك والتبادل معاً)[247].

إنَّ من مزايا هذه النظرية أنها عملية فاعلة في الفهم والتقييم واعادة الانتاج [248]، فقد أعطت المتلقي السلطة الأكبر ، والاهتمام به، فينشئ فرصاً أكثر بين النص ومتلقّيه (حيث اتخذ الاهتمام بدور القارئ في دراسة النص الأدبي حيزاً كبيراً ومهماً في الدراسات النقدية الحديثة.... فقد تم تجاوز النظرة السائدة التي كانت تنظر في العلاقة القائمة بين المبدع والقارئ على أنها علاقة منتج ومستهلك) [249] أي أنها (فسحت المجال أمام ذات المتلقي للدخول في فضاء التحليل، وإعادة الاعتبار إلى (القارئ) أحد أبرز عناصر الإرسال أو التخاطب الأدبي) [250]، فاستطاع المتلقي أخذ دوره الجديد في الدراسات الحديثة ، فأصبح محللاً وناقداً ومستنبطاً بعدما كان مستمعاً ، ودوره مهملاً في العملية الإبداعية من خلال تفكيك أنظمة النص الغامضة واعادة تشكليها تشكيلاً فنياً .

فالذين يتبنون هذه النظرية يقولون إنَّ القراء لوحدهم يؤولون النص ولا دخل للنص والمؤلف بإظهار المعنى (فالقارئ فقط هو الذي يحدث عنده المعنى ويحدثه ومن دون هذا الدور

غادامير، وكان يهتم بدراسة خارجية النصوص، وقد ظهر اتجاهه عندما ألقى محاضرة عام ١٩٦٧، عنوانها لماذا تتم دراسة الأدب؟ في جامعة كونستانس بألمانيا، من أهم مؤلفات هذا الناقد كتاب جمالية التلقي. ينظر: بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات: ص ٣٠.

* فولفغانغ آيزر(Wolf gang Izer): أحد رواد نظرية الاستقبال البارزين، عمل أستاذاً فيكونستانسالألمانية،وهو يدرس اللغة الإنكليزية والفلسفة واللغة الألمانية حيث اهتم بدراسة النص من الداخل واضطلع هو وزميله ياوس بمهمة إصلاح الدراسات الأدبية، من خلال المحاضرات والبحوث والمؤتمرات التي انتهوا فيها إلى فكرة النظرية الجديدة هذه . ينظر : دكتور محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، : ص٣٤.

([٢٤٤]) ينظر : بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ص٣٠ .
([٢٤٥]) ينظر : كريمة بلخامسة ، إشكالية التلقي في اعمال كاتب ياسين (اطروحة دكتوراه) باشراف امنة بلعلي : ص ٢
([٢٤٦]) بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات: ص ٢٩ .
([٢٤٧]) هانز روبرت ياوس ، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي: ص ١٠١.
([٢٤٨]) ينظر : محمد عزّام ، التلقي والتأويل : ص ٧٩.
([٢٤٩]) موسى سامح ربابعة، جماليات الاسلوب والتلقي: ص ٩٩ .
([٢٥٠]) بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات : ص ٣٣.

لا يوجد نص أو لغة أو علاقة أو مؤلف) [251]، هذا ما يسمى موت المؤلف ، واعطاء القارئ سلطة لا حدود لها يفعل بالنص ما يشاء ، ويفسره كيف يشاء ، فهو من ينتج المعنى ، لا يكشف عنه، وينتهي به فيكون هنا بمثابة الشريك للمؤلف في اظهار المعنى ، وباستطاعته الاضافة للنص اذا لزمته حاجاتهم النفسية [252]، ويكون ذلك بالاعتماد على القيم الجمالية التي يضمها النص، مبرزاً ما يحويه النص من الموضوعات النحوية والصرفية والدلالية وغيرها التي تدرس في الألفاظ والكلمات كما ويقف على جمالية التعبير فيحول ما يفهمه إلى تفسير وتأويل للنص[253]، ومن هنا يتبين للبحث أنَّ أصحاب هذه النظرية أهملوا المبدع للنص وبيان صفاته ومن هو، وأهتموا بالنص وقارئه، واعتبروه هو الأهم في فهم الخطاب وتفسيره وتحليله فيبني المعنى وفق معرفته الخاصة .

إنَّ هذه النظرية بهذا المعنى ليست صحيحة ؛ لأن المتلقين للنص ليسوا على تساوٍ في الفهم والمعرفة،فقد لا يصلوا أو يصلوا بصعوبة ولا يستطيعون مهما حاولوا معرفة المعنى الذي أراده القائل للنص أياً كان النص – قرآني أو بشري- كما وأنَّ كلاً منهم يفسر النص على وفق معرفته الخاصة وديانته ومذهبه إلى غير ذلك من الأمور، فنجد المتلقي سوف يتأثر بالتأثيرات الخارجية، وتطبيقها على النص لتلائم مصالحه، فيستشهد بالآيات القرآنية بل ويلوي عنق النص أحيانا ليصبح ملائمة لآرائه وأهوائه ويوجهه لتأييد ما نشأ عليه من معتقد ، أو ما تبناه من فكر ، أو ما أتبعه من مذهب ، أو ما ناسب زمانه الحاضر ، وإن كان تفسيره مخالف لما قيل في الماضي وإلى غير ذلك من الأسباب التي ترفض أن يكون المتلقي للنص هو المسيطر وهو المنتج للمعنى دون المؤلف له [254] .

وقد نجد تعدد الأفهام وتعدد الاختلافات واضحاً جلياً في تفسير قوله تعالى في سورة الطلاق : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ

([251]) روبرت شولز ، السيمياء والتأويل : ص ٣٢.
([252]) ينظر : صبحي ابراهيم الدكتور ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية:١١١/١ .
([253]) ينظر : ايمان عبد زيد ، مستويات التلقي للخطاب القرآني عند المفسرين (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور محمد البكاء: ص ١١.
([254]) ينظر : عبد الإله حوري الحوري ، اسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور احمد يوسف سلمان: ص ٣٢-٣٥.

مِّنكُمْ ﴾[255]فالآية توجب أن يكون هناك شاهد ين عدلين فعند تتبع أقوال من تلقى النص

وفسره قد اختلفوا في تفسيرهم للآية بعضهم مع بعض في مفهوم الشهادة والعدالة فبعضهم قال يشترط في العدالة أن يكون الشاهد متنزهاً عن خوارم المروءة وحددوها بحسب فهمهم وقد فهم الشاطبيأنَّ كشف الرأس للرجل يعتبر خارماً للمروءة فهو غير عدل [256] ، لكن نجد رأياً آخر يرى أنّ من فقد الإيمان فقد العدالة ولا تقبل شهادته ، أما بعضهم الآخر من المتلقين للنص فقالوا بعدم اشتراط الإسلام في الشاهد ، فيصح شهادة غير المسلم فإنَّ الإيمان بالله تعالى وبشرع يحرم الكذب فإنه سوف يتحقق المقصد من الشهادة[257].

وهنا يرى البحث أنَّتعدد الفهم هنا مرتبط باختلاف مستويات المتلقين للنص وعدم قبول قول أحد دون الآخر بالاعتماد عليه فقط دون الرجوع إلى النص ومعرفة قائله والآليات الصحيحة المتبعة لتحليله باستثناء المعصوم فعلمه لدنّي من الله وهو أعرف بالنص ومعناه .

أيضا قد بيَّن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) هذا الأمر إذ أكد في دلائل الأعجاز أن المتلقي ليس له دور في إضفاء المعنى، ويبقىعليه أن يبحث عنها من خلال اللفظ ذاته، فالتشبيهوالاستعارة كلها تستدعي تأويلاً لا يقود إلى ابتكار المعاني الخاصة بالقارئ بل إلىاستخراج المعاني التي وضعها المتكلم وراء ألفاظه أي انه يعطي لصاحب النص سلطة اكبر من القارئ لأنه هو أعرف بالمعنى فهو صاحب الحقيقة فقط وغرضه هو اثبات النظرية الاعجازية للقرآن الكريم فهو كلام الله المعجز الذي يختلف عن كلام البشر وكل ما وضع فيه له قصد ودلاله يريدها الله تعالى لا يستطع المتلقي وحده ان يبرزها [258] .

المطلب الثاني : التلقي في القرآن الكريم

قد تثار تساؤلات عدة حول وجود أصول لنظرية التلقي في القرآن سواء في الجوانب التنظيرية او الجوانب التطبيقية ،وهل يمكن اعتباره أصلاً لها ؟

([٢٥٥]) سورة الطلاق : الآية ٢.
([٢٥٦]) ينظر : الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة : ٢١٦/٢.
([٢٥٧]) ينظر : السيد محمد رشيد رضا ، تفسير المنار : ٢٣٠/٧-٢٣٥- .
([٢٥٨]) ينظر : حميد الحميداني ، المقصدية ودور المتلقي عند عبد القادر الجرجاني :بحث نشر ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية : ص ١٤٩-١٥٢

فعند التتبع في نصوص القرآن الكريم نجد هناك دلالات كثيرة حول مفردة التلقي أي أصولها موجودة من خلال الآيات القرآنية ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[259]، وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[260] وقوله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(261) وقوله ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[262] وغيرها من الآيات القرآنية التي تدل على وجود صلة بين النص القرآني والمتلقي، كما وله مكانة بارزة إذ يمثل (جانبا مهما من جوانب عملية التكلم والكلام والمتلقي. والنص القرآني خاصة، والنص عامة موجه للمتلقي، كي يتفكر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره) [263] وأيضاً تأثره بالنص، لكنْ التأثير في المتلقين يختلف بين متلقي وآخر ؛ فمنهم من يكون تأثره الى الصواب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[264]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[265]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[266]، على خلاف بعضهم م من يكون تأثره مصاحباً لآثار عكسية سيئة كما في قوله

([259]) سورة النمل : الآية ٦.
([260]) سورة البقرة: الآية ٣٧.
([261]) سورة فصلت : الآية٣٥.
([262]) سورة المزمل : الآية ٥.
([263])صبحي ابراهيم الدكتور، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية : ٢١٣/٢.
([264]) سورة الأنفال: الآية ٢
([265]) سورة التوبة: الآية ١٢٤
([266]) سورة مريم: الآية ٥٨

تعالى:﴿أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[267]، فمن خلال هذه الآيات الدالة على تأثر المتلقي بالنص يدل على أنَّ النص هو الذي يحركه نحو القراءة والتدبر[268].

فقد جاء القرآن بأعظم الأساليب وأشدها استثارة لطاقات الإنسان ومكوناته من حيث العاطفة والفكر والروح والوجدان وهذا مخالف لما يدّعيه أصحاب النظريات الحديثة بأنَّ المتلقي هو المسيطر على النص، فقائل النص هو الأول والمسيطر على معنى النص الذي قاله ، وما على القارئ أو السامع سوى فهم المعنى لا اكتشافه [269].

ومن الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في سورة الطلاق ، والتي تبرز كيفية تأثير المتلقي بالنص ألا وهو أسلوب النداء في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء ﴾ [270]، فمن خلال هذا الأسلوب تبينت فوائد التأثير على قلب المتلقي فاستطاع أن يفهم الخطاب الإلهي وما أراده من بيان تشريع وأحكام للطلاق، ونلحظ التَّغاير بين أساليب التَّخاطب – النِّدائي- وسياقه بين من نودي من الأنبياء (عليهم السَّلام) وبين نداء نبينا محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)وتعدَّدت تبعاً لذلك مستويات الخطاب على وفق تعدد السِّياق الخارجي ، وأحوال المخاطبين المتلقين للنص، فعندما كان خطاب الباري بنداء النبي لم يقل (يا محمد) بل ناداه (يا أيها النبي) ، ففي هذا تأمل وانتباه شديد ومراعاة لما يُريده الباري بعد هذا النداء مما يجعل المتلقي للنص في حالة استعداد شديد ينبع من الدهشة وشدة الانتباه .

ففي هذا الأسلوب تأثير شديد على قلب المتلقي سواء كان سامعاً أو قارئا وغيرها لزيادة تعظيم شأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقديره وتخصيصه بقيادة الأمة من دون غيره وفيه تعليم الأمَّة بالأدب في حضرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكره مع الإجلال، فلا يدعوه دعاء بعضهم بعضا ، ولا يرفعوا أصواتهم عنده إلى غير ذلك من ملامح

([٢٦٧]) سورة التوبة : الآية ١٢٥.

([٢])ينظر : ايمان عبد زيد ، مستويات التلقي للخطاب القرآني عند المفسرين (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور محمد البكاء: ص ١٥-٢٣.

([٢٦٩])ينظر : عبد القادر محمد الحسين ، معايير القبول والرد في تفسير النص القرآني : ص ١٤٤، حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه : ص١٢٧.

([٢٧٠]) سورة الطلاق : الآية ١.

التَّأدب معه، فافتتاح السورة بنداء النبي فيه تمهيداً ومفاجئةً لهم ، وهذا مصدر من مصادر التشويق في النص القرآني فتثير الشَّوق في نفس المتلقِّي ليتابع الأحداث ويتجدَّد نشاطه وتزيد حدة الانفعال[271]، وعليه فيكون النص القرآني هو المؤثر في المتلقي له والمسيطر عليه .

كما أنَّ (الموجه الأكبر لعملية التلقي والذي اعطاها سمة منهجية منذ وقت هو القرآن الكريم؛ فلم يمض على نزوله إلّا سنوات حتى ظهرت على إثره، وتحت تأثير أسلوبه بواكير علمية نضجت فيما بعد على شكل علوم مرسومة الحدود، واسعة المعالم، كعلم التفسير، وعلم أصول الدين ، والفقه والعلوم اللغوية) [272]، أي إن النص القرآني يمتاز بأنه أصل التفاعل والتأثير في النفوس لتهيئتها للإيمان ويتبين ذلك من خلال صياغته من قبل الباري عز وجل باعتباره الخالق المهيمن الذي وضع القرآن نصاً وخطاباً؛ ليخاطب النفس الإنسانية ويتعامل معها لتقبل ذلك الخطاب الذي هو عبارة عن قيم ومثل منبعثة من الذات الإلهية .

ويكون التفاعل مع النص من جوانب مختلفة في إطار تتواصل فيه اهتمامات المتلقي، ويكون ذلك من خلال تتبع دلالة الآيات التي تخص مادة التلقي والتي فيها إشارات على التفاعل والتواصل كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [273]،فالتلقي باللسان يدل على القراءة والتكلم وغيرها وكلها من وسائل التفاعل والتأثير، كما أن العلماء أهتموا بهذا الأمر ، ولم يتغافلوه فميزوا بين إلقاء النص وإرساله وتلقّيه أو إستقباله فآثروا الإلقاء والتلقي وجعلوهما فناً واحداً وخاصة في مجال النص الخطابي[274] .

فنظرية التلقي لم تهمل المبدع ولم تفقده سلطته فيظهر هذه السلطة من خلال النص (إنّ النصوص تفرض سلطتها على القارئ والتي تتجلى في مظاهر تتعلق بالأدوات الإجرائية التي يسخرها السارد لنصه. والقرآن العظيم بما منح من مقومات مختلفة يقع في أعلى سلم الآثار

---

(٢٧١) ينظر : فرح باقر احمد الفاضلي ، **العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي – دراسة منهجية نقدية** –(بحث منشور على الشبكة العنكبوتية)*http://www.maqalaty.com/2767.html*

(٢٧٢)يادكار لطيف الشهروزي الدكتور، جماليات التلقي في السرد القرآني : ص ٢٢.

(٢٧٣) سورة النور ، الآية ١٥

(٢٧٤) ينظر : محمود عباس عبد الواحد ، قراءة النص وجمالية التلقي : ص ١٤.

الأدبية الخالدة من حيث غناه في أشكال التعبير التي ينهض عليها من عذوبة في السرد وكرم في الإيقاع، وجودة في العبارة، فضلاً عن المعاني الشريفة التي يعرضها ويرغب فيها. ولذلك تأتي هذه المقومات جميعاً مسخرة لتفعيل القارئ وتحريكه ودفعه نحو هذا النص العظيم بغية المقاربة والمساءلة والافتراض. ولعلها السمات التي تحملها جمالية التلقي في مسعاها القرائي الذي من شأنه أن يضع النص في مواجهة المتلقي من جهة، وأن يحوله إلى دلالة من جهة أخرى) [275] فعليه يكون متلقي القرآن ليس متلقياً ساكناً للنَّص ، بل هو عنصر مفكر مُتدبر بالنص القرآني ، وبما يحويه من مميزات تختلف عن غيره من النصوص ويلتمس بنفسه مناحي الإعجاز ويستنتج ذلك من النص نفسه ، إذْ يوقظ القرآن الوعي ويُنبه الفكر ، ليكون القبول قائماً على الوعي وإعمال الذهن، لا أن يكون مُستقبلاً لنَصٍّ مُغلق.

ما دام القرآن كتاباً إلى البشرية كلها منذ نزوله وحتى قيام الساعة وما دامت أحكامه وتشريعاته صالحة لتقويم أحوال الخلق عموماً فهو مشروع قراءة وتأويل دائم ان، فالقارئ الجاد هو الَّذي يضع جواباً تكون آفاقه أكبر مِن الجواب لو وضع في لغة محدودة، وأيضاً لا يمكن أن ينبثق القارئ المتحقق في الإنتاج إلا بتوفير الطاقة الجمالية للنص [276]، ولذلك كان التفاعل (عملية تواصلية تتم في المستوى الثاني بين نص قادر على أن يستوعب قارئه وقارئ قادر على أن يستوعب نصه)[277].

فيتبين للبحث أنَّ نظرية التلقي الصحيحة التي لها الأثر الفاعل في التفسير التحليلي للقرآن الكريم لا تعتمد على ركن واحد من أركان التلقي ويترك الآخر ألا وه ومبدع النص وهو الله تعالى والنص وهو القرآن الكريم والمتلقي للنص وهو الإنسان فكل ركن يكون مشترك اً مع الآخر في عملية فهم النص، لكن الاعتماد على المتلقي يكون بشكل واضح فلا يعقل أن ينشئ المخاطِب كلامه من دون مخاطَب يكون نقطة التواصل فهو يستند إلى آفاق معرفية لإنشاء مشروعه عند قراءة النص القرآني، يشكل بذلك أنظمة فنية وثقافية وجمالية ومعرفية، تعكس آفاق المتلقي من جهة، وتظهر المراتب المتفاوتة لهذه الأنظمة والمفاهيم من جهة اخرى وتظهر عملية الحوار بينهما فنرى آثار المبدع ظاهرة عند المتلقي من خلال فهمه للنص .

([٢٧٥]) شارف مزاري، جمالية التلقي في القرآن الكريم :ص ١٣٦-١٣٧.
([٢٧٦]) ينظر :يوفرومة حكيمة ، المتلقي في الخطاب القرآني (اطروحة دكتوراه) باشراف امنة بلعلي: ص ١٧.
([٢٧٧]) بلمليح ادريس، القراءة التفاعلية : ص ٦.

فهذه النظرية تفرض في عملية إنتاج فهم النص الاشتراك بين المبدع والمتلقي، وبما أنّ القرآن الكريم بوصفه خطاباً إلهياً من حيث المصدر فهذا لا يعني عدم قابليته للتحليل بما فيه من سياقات اجتماعية وثقافية وتاريخية وغيرها بل يخضع لتحليل مفرداته وعباراته لتوجيه الدلالة .

وبما أنه موجه للعام والخاص من الناس مع تفاوتهم فإنه يمكن القول بأن (كثرة التأمل في النص القرآني تجعله ينطق بمعان قد تختلف من إنسان لآخر نتيجة لطبيعة التفاعل بين المتلقي والنص، ولطبيعة الكفاءة التي يملكها المتلقي، ولتجارب المتلقي، ومع تطور تجربة القارئ يتطور النص فالوسائل التي أتيحت لقارئ النص القرآني في صدر الإسلام غير الوسائل المتاحة في العصر الحالي ومن ثم تطور فهم النص بما يتلاءم مع هذه الوسائل، بل قد تختلف كفاءة عدد من المتلقين لنص واحد في وقت واحد) [278] وعليه فتأمل النص واجب لكي يحصل من خلاله على معرفة وفهم للنص.

المطلب الثالث : اقسام المتلقين للنص القرآني وأثرهم بالتفسير التحليلي

إنَّ حكمة الله سبحانه وتعالى قضت أن يكون القرآن الكريم كتاباً خالداً لهداية البشرية جمعاء؛ أي إنَّ دلالات هذا النص المعطاء يجب أن تكون نافذة وصالحة لكل زمان ومكان ، لكنَّه عزوجل أعطى في المقابل مجالاً للجهد البشري لكي يقرأ ويتدبر ويفكر ويجتهد ، فيستنبط دلالات وأحكام وتشريعات من القرآن الكريم ، فيربطها بواقعه ومستجدات عصره، وهذا الجهد لا يكون في الثوابت التي لا تحتمل التأويل كما في المحكمات والآيات الدالة على الربوبية والألوهية والنبوة والرسالة وغيرها [279]، بل يكون الاجتهاد في المتغيرات التي تحتمل التأويل بسبب عدم وجود دليل قاطع عليها سواء من نص صحيح ، او اجماع صريح ، والتي أوردها العلماء في باب الاجتهاد[280] ، وهذا الأمر يتطلب أن يكون بقراءة صحيحة من المتلقي والتمعن بالأساليب الجمالية الراقية في النصوص القرآنية التي جعلها الله محل الاتعاظ والاسترشاد والهداية [281] .

([٢٧٨]) صبحي ابراهيم الدكتور، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية: ٢١٥/٢.
([٢٧٩]) ينظر : صلاح الصاويدكتور ، الثوابت والمتغيرات في مسيرة الإسلامي المعاصر : ص ٣٥-٤٤.
([٢٨٠]) ينظر : المصدر نفسه: ص ٣٧.
([٢٨١]) ينظر : يادكار لطيف الشهروزي دكتور، جماليات التلقي في السرد القرآني : ص ٥٥-٥٦.

لكنّ هذا الأمر يختلف من متلقٍ لآخر ، فمن المعلوم أنَّ لكل خطاب أدوات خاصة يستعملها المخاطِب بحيث تتلائم مع المخاطَب والظروف المحيطة به ، وذلك لاختلاف مستويات الفهم بينهم، ولا يصح التعامل بمستوٍ واحد بين المتلقين للنص القرآني، فهو يعطي توجيهاته لكل بنى الإنسان، ونظراً لتفاوت مستويات المتلقين والعائدة إلى الفهم الإنساني،فإن المتلقين يختلفون في فهمهم لتفسير ما تلقوه من النص القرآني[282].

لذا نجد أن القرآن الكريم نزل بأساليب متنوعة في توجيهاته وخطاباته بما يتلائم ومستويات المتلقين له ، فهو يخاطب كل شخص بقدر استعداده وقابليته ويعرض له الدليل المناسب الذي يليق بقابلية ذهن المتلقي، فتارة على شكل مثل أو قصة ليستفيد منه الأفراد الاعتيادييون، وهذه الحالة واضحة جليّة في بداية تلقي الناس للقرآن فبين منكر او مُصدق، ولم يشغلهم في بادئ الأمر ما وراء النُّصوصِ ، بل كان جل تركيزهم على القراءة الأولى التي سحرتهم فتلك مرحلة التذوق الفطري للفنون، فركز النَّص القرآني على الاستجابة الفطرية للنص مِن خلال اللفظ، الفواصل، التصوير للمشاهد وإلى غير ذلك، والانطباع العام الذي يتركه كُل نص في ذهن المتلقي، فكان التَّأثير أولا يكمن في النَّسق القرآني ذاته لا في الموضوع، فالآيات المكية مثلاً كانت تمتاز بقصرها وقوة الألفاظ وإيجاز اللفظ مع بلاغة المعنى وتجانسها الصوتي، لأن المقام كان لمحاججة المُعانِدين، الذين لا يرغبون سماع القرآن خوفاً أو كبراً، ولا تصلح الآيات الطوال لمثل هذا المقام .وتارة يعرض القرآن المطلب بصورة معمقة تحتاج إلى التحليل العقلي أي كل متلق للخطاب يفهمه بحسب امكانياته وآفاقه وتطلعاته لمعرفة أسرار آياته وما لديه من أدلة يستند عليها لتقوية تفسيره [283]، وهنا سيعرض البحث لأقسام المتلقين للنص القرآني وكيفية تأثر كل واحد منهم.

المقصد الأول : المؤمنون بالنص القرآني

لا شك أن عملية التلقي للنص القرآني تختلف من شخص لآخر ،من ثم يختلف التأثير والتحليل والتفسير له، فتلقي المؤمن ين الموحد ين وتأثرهم وفهمهم يختلف قطعاً عن تلقي الكافرين أو المشركين أو المنافقين ، كما أنّ مقياس التلقي عند المؤمنين أنفسهم يختلف من حيث

(١) ينظر : ايمان عبد زيد ، مستويات التلقي للخطاب القرآني عند المفسرين (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور محمد البكاء : ص ٨٨.
(٢) ينظر : معرفة ، التمهيد في علوم القرآن : ٥/٢٢٠.

إذا كان المتلقي معصوماً (ع) أو إنساناً اعتيادي، وهنا سوف ندرس التلقي من جهتين التلقي عند المعصوم(ع) والتلقي لغير المعصوم.

أولاً: التلقي عند المعصوم (عليه السلام)

لقد عوّل القرآن الكريم على مادة (التلقي) في انساقه التعبيرية ، فاستعملها بمجالات متعددة، وكل استعمال له دلالة وتوجيه للأمة ، وكان ذلك عن طريق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو أول متلقٍ للخطاب القرآني بصورة مباشرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [284] فهذه دلالة على دوام التلقي للنص[285]، فقد تحمّل (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبيل دعوة الله تعالى الكثير من الأذى والتعب والصبر والجهاد الأمر الذي جعل له (صلى الله عليه وآله وسلم) دوراً كبيراً ورئيساً وفاعلا ليس في التلقي فقط بل في تبيانه للناس ، وذلك بالقول والعمل والحث عليه والترغيب فيه والترهيب من تركه، فقد كان مؤهلاً لهذا التلقي ولو لم يكن مؤهلا لما ألقي عليه ما ذكره الله في ذلك المقام. فقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ [286] لبيان عظمة ما انزل الله [287] ، وهذا يكشف عن كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على قدر كافٍ من الكفاءة والمسؤولية والقدرة لتلقي القرآن العظيم والعمل به وحفظه وصونه وبيان تعاليمه للناس والالتزام بتلك التعاليم، التي هي الهدف الرئيس منه وبالكيفية التي أمر الله بها. وجاء الخطاب الالهي للرسول الاكرم مؤكدا أن هذه التعاليم لا يعلمها إلا الله ثم يعلّمها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقوم الرسول بتفسيرها وتبيانها للناس، فقال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ

([284]) سورة النمل : الآية ٦.
([285]) القرطبي ، جامع الأحكام: ١٣/ ١٥٥ .
([286]) سورة الحشر : الآية ٢١.
([287]) الطوسي ، التبيان في علوم القرآن: ٥٥٧/٩.

﴾[288] ومن خلال ذلك يتبين أن الله تعالى علّم رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) تفسير القرآن وكيفية تبيانه للناس. وهنا لا بد من الاشارة الى ان هذا التبيان والتفسير يشمل كل ما يتعلق بالقرآن وعلومه من قراءة وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعام وخاص ومطلق ومقيدوغير ذلك من العلوم التي تدخل في التفسير التحليلي للقرآن الكريم .

ولا يخفى على أحد أنّ الرسول تلقى القرآن بواسطة أمين الوحي جبرائيل (عليه السلام) فهو حامل هذا القرآن من ربه لتبليغه الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فليس جبرائيل إلا مبلغ لكلام الله وإيحائه إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أنه هناك طرق أخرى لتلقي القرآن بالإضافة إلى جبرائيل (عليه السلام) والتي نستط يع أن نتعرف عليها من خلال الآية المباركة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [289] فمنها إلقاء المعنى في القلب فهي التي تسمى وحياً أي نفث في روعه وهو القلب والخاطر [290]، فقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم):((إنروحالقدسنفثفيروعيأننفساًلنتموتحتىتستكملأجلهاوتستوعبرزقهافاتقواالله وأجملوافيالطلب))[291] وهذه صورة من صور التلقي لا يتراءى فيها جبرائيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عياناً، وأيضاً هناك صورة أخرى لتلقي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ألا وهي التكلم من وراء حجاب فلا يرى المتكلم [292]، وغيرها من صور الوحي الأخرى ، فالمهم أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من تلقّى هذا الكتاب والذي ينبغي على الناس قراءته والتدبر فيه وتحليله وتفسيره ليصبح المصدر الأعلى لكل معرفة صحيحة والمعيار الأعلى لكل سلوك مستقيم .

فخطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كثير من الآيات كان بألفاظ مختلفة ولكل لفظ غاية وإشارة معينة يريدها عزوجل فمرة يكون الخطاب موجهاً له (صلى الله عليه وآله

([288]) سورة القيامة : الآية ١٦-١٧ - ١٨ - ١٩ .
([289]) سورة الشورى : الآية ٥١.
([290]) ينظر : عدنان زرزور ، القرآن ونصوصه : ص ٤٩.
([291]) المجلسي، بحار الأنوار: ٥٢/١٩٨ .
([292]) ينظر : عدنان زرزور ، القرآن ونصوصه : ص ٤٩.

وسلم) مباشرة وهو المعني بذلك كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ. . . ﴾ [293] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [294]،وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [295] ‘وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [296]‘ ومرة أخرى يكون الخطاب موجه اً للأمه وهم المعنيّون بذلك ولكن اللفظ مفرد بلسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [297]، أي هو خطاب له لفظاً، وهو لأمّته [298]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [299] فهنا تخصيص الخطاب بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لفظاً، وعمومه لأمته،فالقصد هنا تشريف له واظهار لجلالة منصبه فهو بمثابة الرئيس لهم [300]ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [301] ،وهذه الاختلافات في طرق الخطاب كلها لها دلالات تفسيره معينه وأنها موجه لخاتم الأنبياء ، وهو الأقدر من غيره للتعرف إلى مراد الله بمعانيه ومراميه سواء كان الخطاب له فيُطبق على نفسه أولاً ما تلقّاه من الباري لأنه بشر أيضاً، وسواء للناس فيتحول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من دور المتلقي للنص إلى دور المبلغ لهذه الأمانة من دون نقصان ولا زيادة ، وذلك ببيان الأوامر والنواهي والمعاني

([293]) سورة المائدة:الآية ٦٧.
([294]) سورة الأنفال: الآية ٦٤.
([295]) سورة المزمل: الآية ١.
([296]) سورة المدثر: الاية ١.
([297]) سورة الأحزاب: الآية ١.
([298]) ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير :٥٤/٤.
([299]) سورة الطلاق: الآية ١.
([300]) ينظر : الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥٩/٢١.
([301]) سورة التوبة: الآية ٧٣.

والعلوم التي أوحاها من غير تبديل ولا تغيير [302]حيث قال تعالى ﴿ . . وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [303] ، كما عبّر القرآن الكريم عن عملية التواصل بين مبدع النص القرآني والمتلقي بالإلقاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ [304] وتُكمل هذه العملية (بالقول) أي الكلام؛ لأن الغرض منه هو التفكر والتبيّن في الآيات للحصول على تحليل دقيق لجميع ما أنزله الله عن طريق المتلقِ والمفسر الأول للقرآن الكريم ، فيعتبر الطريق الحق الذي أرشدنا إليه الباري عزوجل فمنه يعرف الصواب ويعرف مراد الله تعالى.

كما نجد أنّ أهل البيت (عليهم السلام)لا يختلف تلقيهم للنص القرآني عن تلقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا واضح جلي من خلال تفسيرهم لتلك النصوص القرآنية ، هو تفسيره بالصورة الصحيحة لمعرفة تعاليم الله التي يريدها ، فمن كان مؤهلاً للتلقي كان فهمه لما تلقّاه صحيحاً، فهم تلقوه من الله عزوجل و رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بدليل ما ورد في رواية إبراهيم بن عمر [*]حينما سأل الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: أخبرني عن العلم الذى تعلمونه أهو شيء تعلمونه من أفواه الرجال بعضكم من بعض، أو شيء مكتوب عندكم من رسول الله(صلى الله عليه وآلة وسلم)؟ فقال(عليه السلام): ((الأمر أعظم من ذلك أما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [305]، قال: قلت بلى، قال: فلما أعطاه الله تلك الروح علم بها وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد علم بها العلم والفهم تعرض بنفسه(عليه السلام)))[306]، والروح في الآية المباركة هي

([٣٠٢]) ينظر : محمد متولي الشعراوي ، معجزة القرآن : ١/ ٥٣.
([٣٠٣]) سورة النحل : الآية ٤٤.
([٣٠٤]) سورة المزمل : الآية ٥.
([*]) إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني، شيخ من أصحابنا، ثقة، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) . ينظر: النجاشي ، رجال النجاشي: ص ٢٢ .
([٣٠٥]) سورة الشورى: الآية ٥٢.
([٣٠٦])الصفار، بصائر الدرجات: ص ٤٧٩.

الملك[307]، فيكون يختص بهم كما هو حال الأنبياء (عليهم السلام)، مع الفارق كونه ليس بالوحي الرسالي .

كما أن الملائكة، والروح تنزل في كل ليلة قدر، وهو قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [308]، أي تنزل إلى الأرض [309]، فهي تنزل على الإمام (عليه السلام)، ويدفعون إليه ما قد كتبوه [310]، فقد سُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام) عن ليلة القدر، فقال(عليه السلام): (وكيف لا نعرف ليلة القدر والملائكة يطوفون بنا فيها) [311]، فالملائكة يتنزلون في بيوتهم، ويطوفون عليهم، ويدفعون لهم ما قد قدر في تلك السنة، وغيرها من الأدلة التي تثبت أن علمهم (عليهم السلام) لدنّي من الله .

فضلاً عن ذلك فإنَّهم تلقوا القرآن ومعانيه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو خصهم بذلك من دون غيرهم؛ لأنه يعلم أن الناس ليسوا سواسية بالفهم عند تلقيهم النص ، وعليه فقسم تفسيره للقرآن الكريم بحسب المستوى إلى مستويين المستوى الأول ما وضحه وبينه لعامة الناس، وأعني بهم من لا يدخل في جملة أهل البيت (عليهم السلام)، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لهم ما أشكل عليهم ، وما التبس في أذهانهم من القرآن الكريم من لفظ أو معنى من دون الغور في تبيان ذلك المعنى مما قد يلتبس على المتلقي منهم. وذلك لأن أسرار القرآن وعلومه يصعب على عامّة الناس حملها، والمستوى الثاني ما وضحه وبينه لخاصته أهل البيت (عليهم السلام) ، فإن للقرآن حملة خاصين أعدهم الله إعداداً مميزاً بما يتمتعون به من مؤهلات لذلك الإعداد ليحملوا هذه العلوم وهم أهل البيت (عليهم السلام) ولا أقول ان القرآن لا يفهمه أي متلقٍ له ولكن إنَّ للمتلقي مستويين من الفهم مستوى عامٌ يفهمه عامة الناس ومستوى خاصٌ لا يفهمه إلا أهل البيت عليهم السلام [312]، وهو الفهم الحقيقي للقرآن كما في قوله تعالى

([٣٠٧]) ينظر: الطبري، جامع البيان:٢١/ ٥٦٠ ، الطبرسي، مجمع البيان: ٩/ ٥٠ ، القرطبي، جامع الاحكام: ٣٧/١٦.
([٣٠٨]) سورة القدر: الآية ٤.
([٣٠٩])ينظر:الزمخشري، الكشاف : ١٣٦٩/٢، الطبرسي، مجمع البيان: ٣١٥/١ ، الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٣٣/٣٢ ، القرطبي، جامع الاحكام:٩٦/٢٠.
([٣١٠]) ينظر : القمي، تفسير القمي: ٣/ ١١٦٩.
([٣١١])القمي، تفسير القمي: ص ٧٦١.
(1) الصدر ، بحوث في علوم القرآن : ص١٤٨

﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[313] فقال الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لقد كنت الأذن الواعية، وفي

عيون أخبار الرضا عليه السلام من الاخبار المجموعة بإسناده عن الإمام علي (عليه السلام) قال: ((قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قول الله عز وجل (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال: دعوت الله عز وجل ان يجعلها أذنك ياعلي))[314] وأيضا روى عن الطبري قوله:(قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وتعيها أذن واعية) ثم ألتفت إلى علي فقال: ((سألت الله أن يجعلها أذُنك)) ، قال علي (عليه السلام) : فما سمعت شيئا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسيته))[315] وهذا كله دلالة على أن تلقي المعصوم (عليه السلام) للنص القرآني يعطي الفهم والبيان الذي يريده الباري عزوجل بلا إشكال[316].

ثانياً : التلقي لغير المعصوم (عليه السلام)

من المعلوم أن الناس غير المعصومين هم ايضاً يختلفون في تلقيهم للنص القرآني، فهم إما متلقٍ يؤمن بالقرآن الكريم ويستجيب له ويتأثر به ويعمل بمقتضاه وبكل ما أمره الله به أو متلقٍ يومن به بلسانه فقط لكن لا يعمل به ولا يستجيب له على الرغم من تأثره ، لذا يسمى مسلم اً وليس مؤمناً[317]كما في قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [318]، كما

أنهم يختلفون أيضاً في مستويات الإدراك فهم على درجات من ذلك كما أنَّ الشخص نفسه قد ينفتح له فهم لبعض الآيات ويتأثر بها، ويأتي في وقت آخر يقف أمام الآية وقد أغلقت دونه، فمعاني القرآن غزيرة وفي كل مرة نقرأه نجد معنى أروع، والقرآن الكريم كتاب أنزل لغاية

([313]) سورة الحاقة : الآية ١٥.
([314]) القمي ، محمد علي بن الحسين، عيون اخبار الرضا : ص ٢٥٢ .
([315])الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٧٩/٢٣.
([316])ينظر : الطبرسي، مجمع البيان :١٠٧/١٠، الحويزي، نور الثقلين : ٤٠٣/٥
(١) ينظر : ايمان عبد زيد ، مستويات التلقي للخطاب القرآني عند المفسرين (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور محمد البكاء : ١٠٣
([318]) سورة الحجرات: الآية :١٤.

وهو(كلام عربي منظوم يشتمل على تصور عقائدي يفسر الكون والإنسان ، ونظام تشريعي للعلاقات بين البشر، وقيم ومعايير أخلاقية ضابطة لسلوكهم.... وفيه منهج استدلالي موصل للإقناع وأخيراً له رؤية وتصديق)[319]وهذه المنظومة تختلف فيها مستويات التلقي.

فنجد مواضع متعددة في القر آن تبيّن دور الحجة في الإقناع وبطرق مختلفة بحسب قدرات الإنسان العاطفية والعقلية وما يناسب طريقته في التلقي، فبع ضرهم يحتاج لبرهان وأدلة قوية لكي يقنع ، وبعض لا يحتاج إلى ذلكفـبمجرد الفكرة وبتأثير العواطف يقنع ويهتدي إلى المعرفة، كما أنَّ هذا الأمر يتأثر بالحالات النفسية لكل فئة[320].

لذا يجب على المتلقي التدبر فيه وب آياته ويستمع له ويتفكر ويجعل الهدف الأساس من نزوله أمام أعينه وهو الهداية والصلاح، ولا تؤثر عليه نفسه الإنسانية المحيطة بالأهواء والظروف والغرائز فتجره نحو الفساد والابتعاد عن تنفيذ ما أراده الباري من تعاليم، فقد أشار القرآن بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [321] بأنَّ نتيجة غرور الإنسان وإصراره على الخطأ سوف يبتعد عن الله وعن تنفيذه لأوامره، وهنا فقد تعددت أساليب الخطاب في القرآن الكريم لغرض الحصول على مناهج موصلة للإقناع وإخراج النفس من دائرة الأنا، فأمر الله نبيه بمخاطبة الناس بصورة شاملة بأن الدعوة لعبادة الله جميعاً بقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [322] أي يا محمد قل للناس أنك رسول الله لهم جميعاً لا لبعض منكم دون مراعا ة القومية والجنسية والظروف والطبقات وغيرها فقد ناداهم بفطرتهم الإنسانية جميعاً على وجه العموم ليكون التلقي لهذه الرسالة واحد اً ولا يكون لأحد حجة بعدم

([319]) عبد الأمير كاظم زاهد الدكتور، تأملات في النص القرآني:ص ٧٤.
([320]) ينظر : حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه: ص ١٢٩.
([321]) سورة الانفطار : الآية ٦.
([322]) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

استجابه الدعوة[323] فبيّن أنه الحق وهو هديّه من الله فمن التزم به هدى ومن ابتعد عنه ضل كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[324].

فبعد انتقال الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى حصل الاختلاف في تلقي القرآن الكريم فقد تلقي الصحابة للقرآن في الزمن السابق يختلف عن التلقي في الزمن الحاضر وطرق التعامل معه والتي ليس المقصود منها طريقة التلقي العلمي الاسنادي، وإنما طريقة التلقي العملي الإيماني ، فقد أشار سيد قطب (ت:١٣٨٥هـ) في كتابه معالم في الطريق عن الاختلاف بقوله :(هناك عامل أساسي آخر غير اختلاف طبيعة النبع، ذلك هو اختلاف منهج التلقي عمّا كان عليه في ذلك الجيل الفريد ... إنهم – في الجيل الأول – لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع ولا بقصد التذوق والمتاع، لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلميّة والفقهية، محصولا يملا به جعبته، إنما كان يتلقّى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان (الأمر اليومي) ليعمل به فور تلقّيه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة؛ لأنه كان يحس أنّه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها) [325]، وهذا الفارق بين الصحابة والجيل الحديث.

أما بين الصحابة أنفسهم كان هناك اختلاف في التلقي مما أدى إلى تنوع وتعدد الأفهام للنص القرآني، فنجد أنّ بعض منهم انتهج طريق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته من بعده وهم أصحاب النفوس الطيبة الزكية الذين عملوا بالقرآن كما أراد الله تعالى فحللوا حلاله وحرموا حرامه وهم من يُسَمَّوْن بالمؤمنين ويُقصد بالإيمان هو إقرار باللسان وعقد في

([٣٢٣]) ينظر : الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل :٢/٢٥٨ .
([٣٢٤]) سورة يونس: الآية١٠٨.
([٣٢٥]) سيد قطب ، معالم في الطريق : ص ١٤.

القلب وعمل بالأركان والمقصود بالأركان الاقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والإمامة ، بينما المسلمون عندهم شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وليس له اعتقاد بالولاية والإمامة أي فقط النطق بالشهادتين دون الإيمان القلبي [326] كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [327].

فالمؤمنين لما تلقّوه فتح لهم من القرآن آفاقاً من المعرفة وبشكل ميسّر وسهل ؛ لأن الله لا يريد بالعباد التكلفة والتعب والعناء لفعل كل التكاليف حال تلبيهم للدعوة، فعندما تسلموا الرسالة من الله عن طريق رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتبروا أنَّ نزول القرآن هو لهم ويجب عليهم فهمه وتنفيذ كل ما أمرهم الله به لأنه فيه نجاتهم وفوزهم لأيمانهم الصادق الحقيقي بالله وحده وكل هذا الفهم والتلقي والتدبر والإخضاع لأمر الله إنما هي فتوحات من الله عزوجل يفتح بها على من يشاء من عباده ؛ لأن قلوبهم نظيفة فنوره عزوجل لن يصل إلى قلب مغطى بالحجب والموانع بل يشملها من آمن به وأطاعه [328] .

فالإنسان المؤمن هو الذي يستلهم من الروح الإلهية ويتكئ على الغيب من دون أن يرى ولا يعتمد على الأشياء المادية في تصديق الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [329]،أي: إنهم لا يعتمدون على الحس والتجربة بدلاً من الاستدلال المنطقي في معرفة الخالق وإثبات وجوده وتصديق دعوته [330]فيكون فهمهم حياً ويرجع ذلك للتلقي الصحيح للنص القرآني، والذي أراد الله تعالى من خلاله الوصول إليه والإيمان به وصولاً حقيقياً من دون أي شائبة بحيث يبعث إلى الاطمئنان التام، وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية التي

---

(٣٢٦) ينظر : المازندراني ، شرح أصول الكافي : ١٣٥/١٢.
(٣٢٧) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٣٢٨) ينظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي الدكتور ، مفاتيح للتعامل مع القرآن : ص ١٣٥.
(٣٢٩) سورة البقرة: الآية ٣- ٤.
(٣٣٠) ينظر : جوادي آملي، الوحي والنبوة في القرآن : ص ١١٥ .

تبشر المؤمنين بالجنة كما في قوله عزوجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [331] وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [332] وغيرها كثير فهي تشوّق المتلقي وتزيد من أستجابته للدعوة الإلهية[333] .

بينما نجد بعضهم الآخر انحرفوا في طريقة تلقيهم للنص فأثر في الفهم الصحيح للنص القرآني، ولعل من أسبلب ذلك الانحراف ضعف الإيمان في القلوب ، وضعف العقيدة، وضعف الانتماء الصحيح للشريعة الغراء، فيؤدي إلى انفصام بين الدين والحياة بل وبين المرء ومجتمعه فهذا الانفصام خطير في الشخصية المسلمة ؛ لأنه سوف يفقد العلاقة بين المسلم وخالقه حيث جعل الله القرآن واسطة بينهم ، فلو أخفق العبد في تلقيه وانحرف فإنه سوف ينحرف فهمه له فيضل وتأخذه أمواج الفتن والشهوات والشبهات لأنه أبتعد عن خالقه ولم يتجه بهد ي القرآن[334] فقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [335]، وفي الحديث((أما بعد ، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك إلي أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ،فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به وأهل بيتي)) وفي لفظ ((كتاب الله هو حبل الله المتين، من أتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة))(336)، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال : (وأهل بيتي)،ومن خلال ذلك يتبين أن من أبتعد عن كتاب الله والعترة الطاهرة فقد ابتعد عن شريعة الله وخسر وانحرف لان تلقيهم للقرآن هو التلقي الصحيح الذي أراده الله تعالى وكما قال

([331]) سورة الكهف: الآية ١٠٧.
([332]) سورة النساء: ص ٥٧ .
([333]) ينظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي الدكتور ، مفاتيح للتعامل مع القرآن : ص ١٤٧.
([6]) ينظر : الصدر ، بحوث في علوم القرآن : ص ١٤٠-١٤١.
([335]) سورة النور ، الآية ٤٦.
([336]) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٤/ ٢٢٢ .

تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [337] وهنا في الآية المباركة استثناء للمؤمنين فهم الفائزون لما اتجهوا الاتجاه الصحيح لتطبيق شرائع الله تعالى[338].

المقصد الثاني : غير المؤمنين بالنص القرآني

لا شك في أنَّ العملية التواصلية في النص القرآني ليست بالسهلة لتقبل رسالة المرسل بل تواجه صعوبات وتعقيدات في بعض الأحيان تحول دون استجابة المتلقي لما تلقاه، هذا في حال إذا كان المتلقي مؤمناً بالنص ، أما إذا كان غير مؤمن بالنص كما ه ي الحال في غير المسلمين الذين يعدون فئة من الفئات المتلقية للقرآن لكنه ا لا تعمل وسائل التلقي عندهم فهي عاطلة عن إدراك وجود الله تعالى لأن عقولهم معاندةمن دون الفهم ولا ينفعهم الإنذار لأنهم لا يريدون الاستجابة بتاتاً[339]كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [340] فنجد هؤلاء عند تلقيهم للقرآن كفروا به ولم يتقبلوه [341] فبيّن تعالى ذلك في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [342]ومعنى ذلك أن الخطاب القرآني واجه منذ نزوله هذا النوع من المتلقين المعاندين والمنكرين للنص لذا لجأ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الكشف عن مضامين النص القرآني لهم إذ شرع بتوضيحه وبيان خصوصياته أمامهم وتفسير ما غمض من كلام الله لهم لكن من دون جدوى فنجدهم يرفضونه ولا يستمعون له ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا

([337]) سورة العصر : الآية ١-٢.
([338]) ينظر : الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٤٣٣/٢٠.
([339]) ينظر : ايمان عبد زيد ، مستويات التلقي للخطاب القرآني عند المفسرين (رسالة ماجستير) باشراف الدكتور محمد البكاء: ص١٢٣.
([340]) سورة الجاثية: الآية ٢٤.
([341]) الطبرسي ، مجمع البيان : ١١٧/٩.
([342]) سورة فصلت : الآية ٢٦.

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [343].

لذا فقد أستعمل الباري أساليب العنف والشدة والغلظة في السياق القرآني فعندما تلقوها أرهبتهم وزادتهم خوفاً ، وكل ذلك نتيجة عنادهم وعدم تقبلهم للحق رغم أنه واضح أمامهم وضوح الشمس بل بعض منهم اعترف بأنَّ القرآن الذي نزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) معجز وهو ليس ككلام العرب وفيه دلالات إلهية ذات هدف إلهي، فهذا هو الوليد بن المغيرة يجيب قريشاً:((لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطه، فما هو بالشعر قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ماهو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم؛ قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإنَّ أصله لعذق، وإنَّ فرعه لجناه)) [344] .

كما أنهم يعترفون أنه كلام يؤثر بالنفس ويشهدون بذلك، لكنهم بسبب غرورهم وتغلغل الشيطان في أفكارهم ابعدهم عن الدعوة الإلهية في توحيده والاعتراف بما أنزله وغيرها من تعاليمه وشرائعه ،كما نرى شهادة بعض من العلماء غير المسلمين لأثر القرآن بالنفس (يقول المستشرق آرثر أربري: عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي ، ويقول غوته: إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة فالقرآن كتاب الكتب وإني أعتقد هذا كما يعتقده كلّ مسلم... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي داخل جسمي)[345].

وقد ظهر في القرآن الكريم أنَّ غير المؤمنين بالنص القرآني عدة منهم أهل الكتاب ، فهم من توجهت إليهم الدعوة الإسلامية أيضاً لأنها موجة للبشر كافة ويُقصد بأهل الكتاب *، أي هم اليهود والنصارى بفرقهم المختلفة ـ والمجوس والصابئة [346] فقد شملتهم الدعوة الإسلامية بتوحيد الله تعالى فبعضهم من رفضها ولم يتلقاها بقلب رحب ولم يتولوها فثبت عدم اسلامهم

([٣٤٣]) سورة يونس : الآية ١٥.
([٣٤٤])الرازي،مفاتيحالغيب: ٣٠ / ٧٠٧.
([٣٤٥]) دكتور عبد المعطي الدالاتي، القران في عيون غربية منصفة (بحث منشور على الشبكة العنكبوتية)www.saaid.net/Doat/dali/40.htm
([٣٤٦]) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ص ١٤٠.

لمعارضتهم وكتمانهم للحق؛ بسبب تكبرهم واستعلائهم وعدم تقبلهم نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [347] ولا نقول بأن كل أهل الكتاب هم من انكروا رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن هناك بعض منهم الذين صدّقوا بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [348] فقد كانوا يعرفون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حق معرفة مما جعلهم لا يشكون به ولا يمترون ويتقبلون ما يريده منهم [349] كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [350].

وإنَّ المشركين أيضاً تلقوا النص القرآني وهم ممن كفروا بالله تعالى، ونصبوا بأيديهم أوثاناً من الحجارة والخشب ولا يستندون إلى أي قاعدة اعتقادية أو دينيه [351]، وجعلوا لها أسماء فكان تلقيهم للخطاب الإلهي بلا تعقل وتدبر فهم لا يؤمنون بالغيب، بل هم ماديون يؤمنون بالأشياء الملموسة ومن ثم أختلف فهمهم للنص القرآني فالقاري هنا الذي يختلف إدراكه وأسلوبه لتلقي النص القرآني سوف يؤدي به إلى الهلاك لأنه خاض الطريق غير الصائب فأدى به الى نار جهنم وبئس المصير .

([347]) سورة آل عمران : الآية ٦٤.
([348])سورة آل عمران: الآية ١٩٩ .
([349]) ينظر : الواحدي، اسباب النزول : ١:٢٧، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :٧٢/١.
([350])سورة البقرة: الآية ١٤٦.
([351]) ينظر : جوادي آملي، التوحيد في القرآن: ص١٠١ .

كما أنَّ الملحدين المنكرين توجه لهم أيضا الخطاب القرآني، وهم الذين لا يؤمنون بالله ولا بالرسول قلباً ولسانا فمهما توسعت لهم وسائل الإلقاء وجُهّزوا بكل ما يساعدهم على معرفة الضرر والنفع ويجعلهم يميزون الصح يح من الخطأ كما هو في السمع والأبصار، وبرغم ذلك يجحدون بآيات الله عند تلقيها، ولا يستجيبون لها كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [352].

وعليه يرى البحث أنَّ لعملية التلقي أثر اً في تفسير النص القرآني ؛ لأن المسألة ترتبط بالمكوّن للنص والنص نفسه وبمعرفة المتلقي وعلومه فيوظفهن في عملية التلقي ، فضلاً عن تعدد وجهات نظر المفسرين للنص الواحد ؛ وذلك بحسب تخصصاتهم وعلومهم ونفسياتهم وعقائدهم وغيرها ، فنجد المتلقي للنص يتتبع آياته ويحللها آية آية ويتدبر بها فتتوضح لديه ، معانيها ويلج في دروب النص كاملاً فيلتمس في نفسه مناحي اعجازه .

([٣٥٢]) سورة الأحقاف: الآية ٢٦.

المبحث الثاني

التفسير التحليلي وعلاقته بالقراءة المعاصرة للتأويل

قبل البحث في التأويل، لابد من تحديد معنى التأويل انطلاقاً من اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول : تعريف التأويل لغةً واصطلاحاً .

المقصد الأول : معنى التأويل لغةً .

التأويل في اللغة (من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا) [353]، فهو التغير، واصله المرجع والمصير [354]، وهو مأخوذ من الأول وهو الرجوع، وآل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأوَّل الكلام وتأوله دبره وقدَّه، وأوله وتأوله: فسره[355]، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه.

قال الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها تأول ربعي السقاب فأصحبا

أي كان حبها صغيرا فآل إلى العظم كما آل السقب و هو الصغير من أولاد النوق إلى الكبر[356].

فيكون معناه في اللغة من المرجع والمصير وما يؤل إليه الشيء أي عاقبته .

المقصد الثاني : معنى التأويل في القرآن الكريم

---

(٣٥٣) الراغب الأصفهاني، المفردات: ص ٥٠ .

(٣٥٤) ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، ١/ ٢٦٤ ، الرازي، مختار الصحاح: ٢/ ٣٣ .

(٣٥٥) ينظر: المصدر نفسه

(٣٥٦) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: ص٨٢ ، ابن منظور ، لسان العرب: ١/ ٢٦٤ .

للتأويل معانٍ متعددة في القرآن الكريم وقد ذكر في سبعة عشر موضع تختلف معانيها بحسب الموضع الذي وردت فيه، ومنها:

أ -التفسير: وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[357] أي لم يدركوا علمه ولم يأتهم تفسيره [358]، فكذبوا به قبل أن يفقهوه ويعلمون منه أمره، ويقفوا على معانيه[359].

ب - العاقبة، كما جاء في الآية التي يحث الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين على طاعته وطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأولي الأمر منهم، ويأمرهم بالعودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عند النزاع والخلاف فقال تعالى :﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[360] أي عاقبة وهذا المعنى مروي عن قتادة ومجاهد بن زيد [361]، وفي آية أخرى ورد سؤال عما ينتظره الذي تركوا العمل بأحكام القرآن الكريم فقال تعالى:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾[362] أي عاقبة يوم القيامة. وهذا المعنى مروي عن الحسن و قتادة ومجاهد والسدي [363]،وبهذا المعنى أيضاً عندما أمر الله عز وجل عباده بإيفاء الكيل والوزن عند البيع والشراء في قوله تعالى :﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [364] ،فالتأويل هنا بمعنى العاقبة كما روي عن قتادة[365].

---

(٣٥٧) سورة يونس : الآية ٣٩ .
(٣٥٨) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ١٩٥/٢.
(٣٥٩) ينظر: الزمخشري ، الكشاف: ٢٣٨/٢.
(٣٦٠) سورة النساء : الآية ٥٩ .
(٣٦١) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ٥/ ٩٦.
(٣٦٢) سورة الأعراف : الآية ٥٣.
(٣٦٣) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ٩٥/١٥.
(٣٦٤) سورة الإسراء: الآية ٣٥.
(٣٦٥) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ١٥/ ٦١.

ت - الجزاء، ويؤكد ذلك قول مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [366] إن الله عز وجل أراد بالتأويل الجزاء على الأعمال [367]،وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ [368]، قال: جزاؤه[369].

ث - الثواب: جاء التأويل بمعنى الثواب كما روي عن قتادة في قوله تعالى: {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [370] قال: ثواباً[371] وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ [372] قال ثوابه[373].

ج - تعبير الحلم وعلى هذا المعنى جاءت بعض معاني آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ [374]، أي بتعبير الأحلام بعالمين[375].

المقصد الثالث : التأويل اصطلاحاً

كان التأويل يطلق في القرون الأولى ويعنى به تفسير القرآن الكريم من دون تمييز بين الكلمتين في البحوث القرآنية وهذا المعنى بقي سائداً ولعل الاختلاف بين المفسرين كان منصباً في تحديد مدى التطابق بينهما [376]، حتى فرق بينهما المفسرون المتأخرون من الفقهاء والكلاميين والمتصوفة فتخذوا به منحى اصطلاحياً جديداً فهو يعني عند المتقدمين تفسير الكلام وبيانه سواء وافق المعنى ظاهر القرآن الكريم أم لم يوافقه [377]، وقد نقل الألوسي (ت:

---

(٣٦٦) سورة النساء : الآية ٥٩ .
(٣٦٧) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ٩٦/١٥.
(٣٦٨) سورة الأعراف : الآية ٥٣ .
(٣٦٩) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ١٤٥/٨.
(٣٧٠) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٣٧١) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ٩٦/٥.
(٣٧٢) سورة الأعراف : الآية ٥٣.
(٣٧٣) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٥/٨.
(٣٧٤) سورة يوسف : الآية ٤٤.
(٣٧٥) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان: ٣١٧/٥ .
(٣٧٦) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٥ ، الذهبي، التفسير والمفسرون: ١/ ١٦ ، خضير جعفر، الشيخ الطوسي مفسراً: ص٢٥٧
(٣٧٧) ينظر:الذهبي، التفسير والمفسرون: ١/ ١٦ خضير جعفر، الشيخ الطوسي مفسراً: ٢٥٩ ص .

١٢٧٠هـ) عن أحد الفضلاء قوله: (كل من فسر فقد أول وكل من لم يفسر لم يؤول لأن التأويل هو التفسير) [378]، ولعل هذه النظرة لم تختلف بكثير عن المتقدمين فهم من جهة وأخرى يجعلونهما مترادفان أو بينهما علاقة خصوص وعموم .

ثم تطور المصطلح حتى أصبح يعني حمل اللفظ على خلاف الظاهر، وهذا ما أشار إليه الطبطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) بقوله: (التأويل الذي يراد به المعنى المقصود الذي يخالف ظاهر الكلام من اللغات المستحدثة في لسان المسلمين) [379]، ولهذا سوف نعرض بعضاً من تعريفات المتقدمين، ثم بعضاً من تعريفات المتأخرين، وكما يأتي:

عرفه الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) بقوله: (رد أحد المعنين وقبول معنى آخر بدليل يعضده، وإن كان الأول في اللفظ أظهر) [380]، وعرفه الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) بقوله:(التأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر) [381]، فجعل للنص أكثر من احتمال ويأخذ بما يوافق الظاهر لا ما يخالفه فكان معيار القبول والرد لديه موافقة الظاهر، وبهذا يكون هو التفسير حيث أشار في موضع أخر بقوله: (التأويل: التفسير وأصله المرجع والمصير) [382]، وقال ابن تيمية(ت ٧٢٨هـ) (التأويل نفس المراد بالكلام؛ فان كان الكلام طلباً، كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وان كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخبر به) [383]، أي أن التأويل هو المصداق الخارجي للكلام ولا يختلف عن التفسير حيث إن التفسير هو الكشف عن مراد الله والتأويل نتيجة ذلك الكشف وهو مصداقه الخارجي .

ح لما المتأخرون فقد فرقوا بين التأويل والتفسير، فقد قال أبو الحسن الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) : (صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة) [384]، ونقل الزرقاني(ت ١٣٦٧هـ) أنه: (ترجيح أحد المحتملات بدون قطع)[385]، وقال محمد حسين الذهبي (ت: ١٩٨٢م) : (ترجيح احد محتملات اللفظ بالدليل ،

---

(٣٧٨) الآلوسي، روح المعاني: ٨/ ٤٧٦ .
(٣٧٩) الطبطبائي ، تفسير الميزان: ١/ ١٠ .
(٣٨٠) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ٢٦٥ .
(٣٨١) الطبرسي، مجمع البيان : ١١/١.
(٣٨٢)الطبرسي، مجمع البيان : ١/ ١٩٤.
(٣٨٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢ /١٠٨-١٠٩.
(٣٨٤)الجرجاني،علي بن محمد ، التعريفات: ص٥٤ .
(٣٨٥) الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٥ .

والترجيح يعتمد على الاجتهاد) [386]،وقال آخرون أنه: (صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به) [387]، وقد عرفه السيد الطباطبائي في العرف القرآني بقوله: (ان التأويل في عرف القرآن هي * الحقيقة التي يتضمنها الشيء ويؤول إليها وينتهي عليها كتأويل الرؤيا وهو تعبيرها، وتأويل الحكم وهو ملاكه وتأويل الفعل وهو مصلحته وغايته الحقيقية، وتأويل الواقعة وهو علتها الواقعية) [388] ، وعرفه محمد باقر الحكيم بقوله: (تفسير معنى اللفظ والبحث عن استيعاب ما يؤول إليه المفهوم العام، ويتجسد به من صورة ومصداق)[389].

وقد قسم الترجيح ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) على ثلاثة فقال: (فإن حُمِلَ لدليل فصحيح، أوْ لِمَا يظن دليلًا ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل) [390]، والمقبول هو الأول وأما الأخريان فباطلان ولا يعول عليهما.

ومما تقدم يتضح أن للتأويل في الاصطلاح معنيين:

المعنى الأول: وهو يجسد ما ذهب إليه القدماء، وهو أن التأويل هو نفسه التفسير والكلمتان بمعنى واحد ولا فرق بينهما.

المعنى الثاني: وهو يجسده ما ذهب إليه المتأخرون، وهو أن التأويل يختلف عن التفسير وأنهما متغايران، فالتأويل حمل اللفظ على المعنى المرجوح لدليل يدل عليه، مع احتمال غيره .

المطلب الثاني : الفرق بين التفسير والتأويل

إنَّ التفريق بين التفسير والتأويل لا يخلو من صعوبة، حيث تداخل المصطلحين من جه، واختلاف تعريفهما عند القدماء والمحدثين من جهة أخرى، حيث اختلفوا في نقاط الالتقاء والافتراق وتحديد النسبة بينهما، وبما أن تعريف التفسير مر سابقا ولم يتعرض البحث له، وأما

---

(٣٨٦) الذهبي : ، التفسير والمفسرون : ١ / ١٩.

(٣٨٧) خضير جعفر، الشيخ الطوسي مفسراً: ٢٥٨ ، فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن: ص ٤٠٢ ، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن: ص ٢٢٣ ، ينظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون: ١/ ١٨ ، مساعد بن سليمان الطيار، مفهوم التفسير والتأويل: ص١٠٥ .

* (هي) هكذا وجدت في المصدر ، ولعل الأصح الضمير (هو) لأنه ينوب عن التأويل .

(٣٨٨) الطبلطبائي، الميزان: ١٣/ ٣٤٥ .

(٣٨٩)الحكيم، علوم القرآن: ص ٢٥٤ .

(٣٩٠) ابن العربي، قانون التأويل: ص ٢٣٣ .

الفرق بينهما فقد عدَّ العلماء عدة فروق بين التفسير والتأويل تختلف باختلاف قائلها وتنقسم على قولين وكما يأتي:

القول الأول/ إنَّ التفسير والتأويل مترادفان: أي أنهما بمعنى واحد، وهو قول متقدمي المفسرين وابن عباس، ومجاهد، و ثعلبة، وأبو عبيدة، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وابن إسحاق، وابن قتيبة، والربيع بن أنس، والضحاك، والنووي، وابن الحاجب، وهو رأي والمبرد[391].

وعلى هذا فالتأويل يعلمه الراسخون في العلم، ومنه دعوة الرسول صلى الله عليه واله وسلم لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) [392]، وقول ابن عباس: (أنا ممن يعلم تأويله)[393]، وقول مجاهد: (الراسخون في العلم يعلمون تأويله) [394]، أي إن الراسخون في العلم يعلمون التأويل ومرادهم به التفسير [395].

القول الثاني/ أن التفسير والتأويل متغايران: أي أنهما ليس بمعنى واحد، واختلافهما يكون في بعض الحدود، أما في المجال أو الحكم أو طبيعة الدليل [396]، وكما يأتي:

١- التمييز بينهما من حيث المجال المفسر: أي أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، فالتأويل كل كلام له معنى ظاهر فيحمل على غير ذلك المعنى[397]، فيكون هذا الحمل تأويلاً، والتفسير أعم منه لأنه بيان مدلول اللفظ مطلقاً سواء أكان هذا المدلول على خلاف المعنى الظاهر أم لا [398]، وهو ما أشار إليه الراغب الأصفهاني بقوله: (التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل: في

---

(٣٩١) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان: ١/ ١١ ،الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٥، فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن: ص ٣٩٩ .

(٣٩٢) احمد بن حنبل، مسند احمد: ٥/ ٢١٥.

(٣٩٣) الطبرسي، مجمع البيان: ١٢٢/٣؛ القرطبي، جامع الأحكام: ٤/ ١٦، السيوطي، الإتقان:٦/٣.

(٣٩٤) القرطبي، جامع الأحكام: ٤/ ١٥، الزركشي، البرهان: ٧٣/٢.

(٣٩٥) ينظر: فهد الرومي ، دراسات في علوم القرآن: ص ٣٩٩ .

(٣٩٦) ينظر: الحكيم، علوم القرآن: ص٢٥٠ .

(٣٩٧) ينظر:الذهبي ، التفسير والمفسرون: ١/ ١٨ ، خضير جعفر، الشيخ الطوسي مفسراً: ص ٢٥٨ ، فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن: ص ٤٠٢ ، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن: ص ٢٢٣ ،، مساعد بن سليمان الطيار، مفهوم التفسير والتأويل: ص ١٠٥ .

(٣٩٨) ينظر: الحكيم، علوم القرآن: ص ٢٥٠ .

المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل: يُستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يُستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير: أكثر يُستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره (يُستعمل) في الجمل)[399]، فكان تميزه بينهما من خلال المجال المفسر .

٢- التمييز بينهما من حيث نوع الحكم : أي أن التفسير القطع بان مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، وهذا يعني أن المفسر أحكامه قطعية والمؤول أحكامه ترجيحية [400]، وهو ما ذهب إليه الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) بقوله: (التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُحْتَمِلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ)[401]، فيكون ما ليس له إلَّا احتمال واحد هو تفسير، وما له أكثر من احتمال مع رجحان أحدها على أن لا ينفي ما عداه تأويلاً .

٣- التمييز بينهما من حيث الدليل : بأي أن التفسير بيان مدلول اللفظ اعتماداً على دليل شرعي، والتأويل بيان اللفظ اعتماداً على دليل عقلي [402]، أي أن التفسير ما وردت به رواية، والتأويل عملية اجتهادية عقلية [403]، حيث قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) : (كَأَنَّ السَّبَبَ فِي اصْطِلَاحِ بَعْضِهِمْ عَلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمَنْقُولِ وَالْمُسْتَنْبَطِ لِيُحْمَلَ عَلَى الِاعْتِمَادِ فِي الْمَنْقُولِ وَعَلَى النَّظَرِ فِي الْمُسْتَنْبَطِ)[404]، فكان أساس التفريق بينهما هو الدليل الذي يعتمده العامل في النص القرآني .

ولعل هذه هي أهم الفروق وهناك فروق اخرى لم يذكرها البحث خشية الإطالة[405].

المطلب الثالث : شروط التأويل

قد اختلف في التأويل بين رافض له ومؤيد بل وكان الخلاف بين المؤيدين من حيث المقبول منه والمردود وكيفية التأويل وما هو مؤول دون سواه، وهذا كله يتبع معتقد الشخص ومتبنياته، فمن قال بالتجسيم لا يؤول آيات الصفات بينما من قال بعدم التجسيم يؤول آيات

---

(٣٩٩) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ١١ .
(٤٠٠) ينظر : الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٢٥ ، الحكيم ، علوم القرآن: ص ٢٥٠ .
(٤٠١) السيوطي ، الإتقان: ٤/ ١٩٢ .
(٤٠٢) ينظر : الحكيم: علوم القرآن :ص٢٥٠ ، مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن: ص٣٣٨ .
(٤٠٣) ينظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون: ١/ ١٩ .
(٤٠٤) الزركلي ، البرهان: ٢/ ١٧٢ .
(٤٠٥) ينظر: الزركشي، البرهان: ٢/ ١٤٩ ؛ السيوطي ، الاتقان: ٤/ ١٩٢ .

الصفات وهذا التأويل يختلف من شخص لآخر و (لعل وراء ذلك التعدد والاختلاف طبيعة التأويل ذاتها، اذ ان التأويل يعني مجاوزة النص ويعد مظهراً لاستخدام النظر العقلي في الدين)[406]، ولعل هذا الاختلاف مصدره الاجتهاد إذ إن هناك من عد الفرق بينه وبين التفسير هو الدليل، فالتفسير دليله نقلي والتأويل دليله عقلي [407]، ومما لا شك أن هناك اختلافاً بين مستوى تفكير وقدرات البشر العقلية وهم غير متساوين بها، فيرون أنه كان النص يتقاطع مع العقل فلابد من التأويل.

وقد قسّموا الشروط على ثلاث مستويات النص والمؤول والمتلقي [408]:

المستوى الأول/ مستوى النص: فقد يرون انه يجب أن يكون النص مخالفاً للعقل، ومن دونه يكون كل نصٍ يؤول وهو خلاف منطق العقل، كما قال ابن رشد : (نحن نقطع قطعاً كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي. وهذه القضية لا يشك فيها مسلم، ولا يرتاب بها مؤمن) [409]، والعقل هنا ليس كل عقل قطعاً بل العقل الحصيف، وليس أي عقل بل العقل الكامل، وأمثلة ذلك كثير منها قوله تعالى : ﴿ . . .يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . . ﴾[410] أي قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أي امدادهم بالقوة والعزم لمواجهة العدو؛ لأنهم إنما بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على نصرته على العدو [411]، فهو مخالف للعقل في ظاهرة، أنّ لله يد ويضعها فوق أيديهم ، منه يستلزم التجسيم ، وهذا يستلزم المحدودية والحيز، وهو محال على الله عقلاً ، وما هذا الدليل العقلي هو وحده فقط بل هناك عدة براهين مثل اللغة و قبوله للتأويل واحتماله للمعنى وغيرها وذكرنا الدليل العقلي للمثال لا للحصر .

---

(٤٠٦) محمد شبل الكومي الدكتور، المذاهب النقدية الحديثة : ص٢٨٨.

(٤٠٧) ينظر : الحكيم ، علوم القرآن : ص ٢٥٠ ، مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن:ص٣٣٨ .

(٤٠٨)مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن:ص٣٣٨

(٤٠٩) القرطبي ، فصل المقال : ص ٣٣.

(٤١٠)سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٦) ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢١٠/٢٢، الطبرسي ، مجمع البيان : ١٤٤/٩.

المستوى الثاني/ مستوى المؤول: فقد جعلوا للمؤول شروط اً يجب توافرها ليتمكن من التأويل الصحيح غير المنهي عنه بالقرآن الكريم فـاشترطوا أن يكون من (العلماء الذين خصهم الله بالتأويل .... ان تجتمع له أسباب الاجتهاد وهي معرفة الاصول ، ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول) [412]، فمن لم يخصه الله تعالى بهذه الخاصية لا يحق له التأويل والقول بكتاب الله تعالى .

المستوى الثالث/ مستوى المتلقي: فلابد من مراعاة المتلقي ومداركه ومؤهلاته في التأويل فأن التأويل هدفه إيصال المعلومة للمتلقي، فيجب مراعاته بهذا التأويل لتتحقق المنفعة فقد قسم ابن رشد (ت:٥٩٥هـ) مستويات المتلقي على ثلاث فقال: (الناس في الشريعة على ثلاثة اصناف : صنف ليس من أهل التأويل اصلاً وهم الخطابيون... وصنف من أهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليون... وصنف من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون... والتأويل ليس ينبغي ان يصرح به لأهل الجدل، فضلاً عن الجمهور، ومتى صرح بشيء منالتأويلات لمن هو من غير أهلها وبخاصة التأويلات البرهانية...أفضى ذلك بالمصرَح له والمصرِح إلى الكفر) [413]، فلابد من مراعات المتلقي في التأويل وإلا لضاع الهدف المنشود من الرسالة وهو هداية الناس .

وهذا التأويل يكون عندما يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معروفة من الدين بالضرورة و مخالفاً لما هو أقوى منهُ سنداً ، فيؤول النص إنْ أمكن التأول وإلا يرد، ان يكون مخالفاً لما هو أقوى منهُ دلالة[414].

المطلب الرابع : أقسام التأويل

---

(٤١٢) ابن رشد : فصل المقال: ص٤٤- ٤٥ .
(٤١٣) المصدر نفسه : ص ٥٨ .
(٤١٤) ينظر: محمد ابو زهرة ، اصول الفقه : ص ١٣٥ .

قسم العلماء التأويل بعدة تقسيمات تختلف عن بعضها من حيث المعيار أو الاعتبار التي يقسم من خلاله التأويل، وإن اختلفوا في بعض مصاديق تلك الاعتبارات إلا أنهم اتفقوا على كون الاعتبار واحداً، ومن تلك الاعتبارات ما يأتي :

الاعتبار الأول / اعتبار القرب والبعد في التأويل، فقسم التأويل باعتبار قربه وبعده على قسمين:

القسم الأول / التأويل القريب: وهو التأويل الذي تتضح وتتبين حقيقته ومعناه، بأبسط دليل يدل عليه، أو بيان يبنه للمتلقي، فهو يترجح بأدنى مرجح يدل عليه، أي أنه لا يتردد فيه المتلقي عند سماعه، لوضوحه وظهوره، ولهذا سمي بالقريب [415] .

القسم الثاني/ التأويل البعيد : وهو التأويل الذي لا تتضح وتتبين حقيقته ومعناه، بأبسط دليل يدل عليه، أو بيان يبنه للمتلقي، فهو لا يترجح بأدنى مرجح يدل عليه، بل يحتاج لدليل أقوى من الظاهر حتى يؤول الظاهر عليه، فالسامع يتردد كثيراً فيه عند سماعه، بل ربما أنكره لبعده، ولا يستوعبه ويتفهمه الا بدليل أقوى من ظاهره، وقد يرد لتعذر نهوض الدليل [416]، ومن هذا القسم ما روى مقاتل والكلبي عن ابن عباس أنَّ(استوى) بمعنى (استقر) وهذا إن صح فإنه يحتاج إلى تأويل لأن الاستواء يشعر بالتجسيم(417)، يكون تأويله بعيداً حيث يحتاج إلى تأويل آخر لأن التأويل فيه لبس ويحتمل معاني عدة منها ما هو مرفوض وغير جائز وهو التشبيه.

الاعتبار الثاني/ اعتبار القبول والرد أو الصحة والفساد في التأويل، فقسم التأويل باعتبار القبول والرد أو الصحة والفساد على قسمين:

القسم الأول / التأويل الصحيح : وهو التأويل الذي يكون بدليل، أي حمل اللفظ الظاهر على معناه المرجوح بدليل يدل على ذلك، فهو التأويل الصحيح [418]، وهو ما دأب العلماء عليه، مثل حمل لفظ الاستواء في قوله تعال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (419)، فقد تأول الطبري

---

[٤١٥] ينظر: السبكي، تاج الدين ، تشنيف المسامع بجمع المجامع: ٢/ ٨٢١ ، أمير باد شاه ، تيسير التحرير:١٤٣/١١ .

[٤١٦] ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٨٢١ ، المصدر نفسه:١٤٣/١١ .

[٤١٧] ينظر: الزركشي، البرهان ، ٨٠/٢ ، السيوطي ، الإتقان، ٧/٢.

(٤١٨) ينظر: ابن العربي، قانون التأويل: ش٢٣٣ ، أمير باد شاه ، تيسير التحرير : ١٤٣/١١ .

[٤١٩] سورة طه: الآية ٥.

(ت: ٣١٠هـ) الاستواء بأنه العلو والارتفاع(420)، وأما أهل اللغة كالفراء والأشعري وجماعة من أهل المعاني أن معنى استوى: أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه فسماه استواء كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (421) أي قصد وعمد إلى خلق السماء ، وقال الأشعري على هنا بمعنى فيه كما قال تعالى : ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ (422) ومعناه أحدث الله تعالى في العرش فعلاً سماه استواء(423) وقال ابن اللبان الاستواء المنسوب إليه تعالى بمعنى اعتدل أي قام العدل كقوله تعالى :﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(424) وهذا استواؤه ومعناه أنه أعطى بعزته كل شيء خلقه(425).

فكان تأويلهم ونقلهم اللفظ عن ظاهره بدليل بل واستدلوا على عدم امكانية بقاء اللفظ على ظاهره لتنزيه الذات المقدسة عن التجسيم .

القسم الثاني/ التأويل الفاسد أو المردود: أما الفاسد فهو التأويل الذي يصار إليه بما يظنه المؤوِّل باعتقاده دليلاً، وهو ليس كذلك في الواقع ، ولذلك نحكم بصحة صلاة المصلي إذا اعتقد استجماعها لشرائطها بناءً على اعتقاده، وإن كانت فاسدة في الواقع ، لعدم استجماعها للشروط فيه، وأما التأويل المردود: وهو التأويل الذي يصار إليه بلا دليل، بل هو لعب، وعبث [426]، مثل تأويل بكتاب الله بالرأي وعدم الدليل .

وهو ما جنح إليه أصحاب الأهواء، من الملاحدة، والباطنية، والمجسمة، وغيرهم، لأنه حملٌ للكلام على غير مدلولاته، ولو فتح هذا الباب لأدى إلى ضياع الشريعة، واندثار المعارف، بل لأدى إلى السفسطة .

---

(٤٢٠) ينظر: الطبري، جامع البيان ، ١٥٠/١.
(٤٢١) سورة فصلت: الآية ١١.
(٤٢٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٤٢٣) ينظر: الزركشي، البرهان : ٨٣/٢.
(٤٢٤) سورة آل عمران: الآية ١٨.
(٤٢٥) ينظر: السيوطي، الإتقان: ٧/٢.
(٤٢٦) ينظر: ابن العربي، قانون التأويل: ص٢٣٣ ، أمير باد شاه ، تيسير التحرير : ١٤٣/١١ .

المطلب الخامس : الهرمنيوطيقا وعلاقتها بالتأويل

يعود أصل كلمة (هرمنيوطيقا) إلى الكلمة اليونانية (Herme) التي تضم حقلاً من الدلالات المتقاربة من بعضها، وهي تعود في أصل وجودها في الفكر اليوناني إلى (هرمس)[427] .

وقد تعني الهرمنيوطيقا (Hermeneutics)يراد بها في الفلسفات القديمة تلك الدراسات اللاهوتية التي تختص بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية و رمزية، ولم يكن تأويلاً حرفياً مباشراً، فهي تحاول البحث عن المعاني الحقيقية و التعمق في أغوار النص المقدس، و قد أخذ مفهوم (الهرمنيوطيقا) في العصر الحديث بالتطور فانتقل من البحث في الالوهيات إلى مجالات أخرى، لتشمل العلوم الإنسانية كالتاريخ و علم الاجتماع و النقد الأدب [428].

فتكون الهرمنيوطيقا ذات أصول دينية محضة وقد أملتها الحاجة إلى تأويل الكتاب المقدس (الانجيل) [429]، وهي تشير إلى مجموعة من القواعد والأسس التي ينبغي للقارئ المفسر أن يتبعها ليفهم النصوص المقدسة[430] .

و قد ارتبطت (الهرمنيوطيقا) عند اليونان بتفسير النصوص المقدسة و نقلها من مستوى اللاهوتية إلى مستوى البشرية [431]، وكانت غايتها الأساس الإجابة عن أسألة كثيرة ومعقدة، وهذه الأسئلة تربط بين الوجود الحسي والمعنوي للأشياء، وتحريك ردود أفعال بين القراء، ودراسة كيفية انتقال المعنى من المؤلف إلى القارئ من خلال اللغة المتجسدة بالنص، وعلاقة المؤلف والقارئ باللغة ومدى تأثير هذه العلاقة بفهم النص [432].

وفن التأويل كمصطلح عربي يقابل الهرمنيوطيقا [433]، فالتأويل أو علم التأويل (مقا م المصطلح الأجنبي المعرب (هرمنيوطيقا) والتأوليات عبارة عن النظر في وجوه تحصيل الفهم للنصوص)[434]، فقد مثل التأويل أهمية بالغة منذ المحاولات الأولى لفهم النصوص الدينية

---

[٤٢٧] ينظر: محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة واشكالية تحديد المعنى في النص القرآني : ص١٦٨ .
[٤٢٨] ينظر: عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا: ص ٣٤.
[٤٢٩] ينظر: ابرامز ، التفسير والتأويل: ص ٧ ، محمد بن أحمد بن عجلان، فعالية القراءة: ص١٦٩ .
[٤٣٠] ينظر: محمد بن أحمد بن عجلان، فعالية القراءة: ص١٦٨ .
[٤٣١] ينظر: عادل مصطفى، فهم الفهم: ص ٢٤ .
[٤٣٢] ينظر: محمد بن أحمد بن عجلان، فعالية القراءة: ص ١٦٩ .
[٤٣٣] عبد الكريم شرقي ، من فلسفة التأويل إلى نظرية القراءة: ص١٧ .
[٤٣٤] عبد الرحمن طه ، فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة): ص٣٨ .

الواردة في الكتب السماوية، فهو ذو صلة وثيقة بالدلالة الأسلوبية للوصول إلى الغاية المطلوبة[435]، ومن هنا نرى مدى مقابلة الهرمنيوطيقا للتأول في اللغة العربية .

وقد تطورت (الهرمنيوطيقا) عند (شليرماخر) حيث اتسع مجال (الهرمنيوطيقا) وأعطيت له دلالات أخرى، فحول المصطلح من نطاق اللاهوت و تفسير النصوص الدينية، إلى تفسير كل النصوص، حيث قال:(إن مهمة الهرمنيوطيقا هي فهم النص كما فهمه مؤلفه، بل أفضل مما فهمه)[436]، فعنده تعني (فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم)[437].

فتكون علاقة الهرمنيوطيقا بالتأويل علاقة وثيقة حيث كل منهما يحاول كشف خفايا النص والوصول إلى قصدية المؤلف، سواء أكان هذا النص ديني اً أو غير ديني، وهذا الوصول على قواعد وأسس وضوابط لأجل الوصول إلى النتائج السليمة وعدم الوقوع بالخطأ .

---

[٤٣٥] ينظر: فتحي بو خالفة ، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة : ص١٧ .

[٤٣٦] سعيد توفيق: في ماهية اللغة و فلسفة التأويل: ص ٨٧ .

[٤٣٧] تيري ايكلتون، نظرية الأدب: ص١١٨ .

المطلب السادس : انموذجات تطبيقية من التأويل وعلاقتها بالتفسير التحليلي

كما تقدم أن للتأويل إرتباطاً وثيقاً بالتفسير التحليلي تكاد تكون هذه العلاقة لا تنفك في حال من الأحوال، فالمؤول يربط بين التأويلات والظواهر بالأدلة ليكون تأويله مقبولاً، وتركن النفس إليه أما التفسير التحليلي يقوم بالبحث عن تلك الأدلة وتحليلها ليرى مدى مطابقتها أو نسبة مقبوليتها، لدى الأوساط العلمية، لتكون أوجه تأويلية ذات مقبولية أو لا، وكما يأتي:

1 - موافقة المعاصرين للمتقدمين بالتأويل : هناك جملة من المعاصرين قد وافقوا المتقدمين في تأويلاتهم كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾[438]، في الآية المباركة نداء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)) فحرف النداء (يَا) هو أكثر حروف النداء استعمالاً، وهو لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً [439]، و(أَيُّ) منادى مفرد بني على الضم و(ها) زائدة و(النَّبِيُّ) صفة لـ(أَيُّ) [440]، وجاء بعدها الخطاب الإلهي موجه لعامة الأمة فقال تعالى: { إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} فقد اختلف ارباب التأويل من القدامى في سبب ذلك على أراء منها :

أ - النداء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والخطاب لأمته، لأنه السيد المقدم وإمام أمته فخاطب الله عز وجل الجمع معه [441]، كما في قوله تعالى: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} [442]، فأفرد موسى (عليه السلام) في النداء، وذلك لأنه أجل الاثنين، وعم الخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم، وهذا النداء إظهاراً لتقدمه وترؤسه عليهم، وأنه لسان القوم الذي يصدر عنه رأيهم، ولا يستبدون برأي دونه، فكان بحكم الكل [443]، والمغايرة هنا اللفظ من خطاب النبي (صلى الله

---

[438] سورة الطلاق : الآية ١ .

[439] ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب : ٢/ ٣٤ .

[440] ينظر: ابن عقيل ، شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٤٥ .

[441] ينظر: الطوسي ، التبيان: ١٠/ ٢٩ ، البغوي ، معالم التنزيل : ٥/ ١٠٦ ، الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٢٨ ، الرازي ، مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٥٨ .

[442] سورة طه : الآية ٤٩ .

[443] ينظر: الزمخشري ، الكشاف: ٤/ ٥٥٢ .

عليه وآله وسلم) إلى أمته لفصاحة القول كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[444]، فهو تعبير بلاغي [445]، وبهذا يكون النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) داخل في الخطاب ومشمول فيه [446].

ب - النداء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والخطاب لأمته، على نحو المجاز، وتقديره (يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء) أي ار دتم تطليقهن، وهو كما في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[447]، أي إذا أر دت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقوله تعالى: ((ا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ)) [448]، أي إذا أردتم القيام للصلاة، فهو نداء للنبي مجازاً لا حقيقةً، وبهذا يكون النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) غير داخل في الخطاب وغير مشمول فيه[449].

ت - النداء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والخطاب لأمته، ملاطفة منه تعالى لرسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخاطبه وأراد المؤمنين، فإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى للنبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى له : يا أيها الرسول [450].

وقد وافقهم على هذه الآراء التأويلية من المعاصرين منهم السيد الطب اطبائي (ت:١٤٠٢هـ) [451]، ومحمد الأمين الهرري[452]، و ناصر مكارم الشيرازي[453].

2 - مخالفة المعاصرين بتأويلهم لتفسير المتقدمين: هناك جملة من المعاصرين في تأويلاتهم قد خالفوا المتقدمين فيما فسروه من كتاب الله تعالى، كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ

---

[444] سورة يونس : الآية ٢٢ .
[445] ينظر : القرطبي ، جامع الأحكام : ١٤٨/١٨ .
[446] ينظر: الطوسي، التبيان: ١٠/ ٢٩ .
[447] سورة النحل : الآية ٩٨ .
[448] سورة المائدة : الآية ٦ .
[449] ينظر: الطوسي، التبيان: ٢٨/١٠ ، البغوي ، معالم التنزيل : ١٠٦/٥ ، الطبرسي، مجمع البيان: ٢٨/١٠ ، الرازي ، مفاتيح الغيب: ٥٥٨/٣٠ ، القرطبي ، جامع الأحكام : ١٤٨/١٨ .
[450] ينظر : القرطبي ، جامع الأحكام : ١٤٨/١٨ .
[451] ينظر: الطبطبائي، الميزان: ١٩/ ٣٢٦ .
[452] ينظر : محمد الأمين الهرري ، حدائق الروح والريحان : ٤٠٢/٢٩ و ٤٠٣ .
[453] ينظر : الشيرازي ، الأمثل : ١٨ / ٤٠٢ .

مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ في الآية المباركة تفصيل في أحكام النساء المطلقات من بين الأحكام المستفادة من الآية بيان مقدار العدة بعد الطلاق ، ولما بين قوله تعالى من سورة البقرة حكم العدة للنساء اللاتي يرين العادة الشهرية وذلك بأن تعد ثلاث دورات شهرية متتالية وبمشاهدة الثالثة تكون المرأة قد أنهت عدتها فقد قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[454]، فقد ذكرت الآية محل البحث حكم النسوة اللواتي لا حيض وذلك لأسباب معينة، أو الحوامل وبيان مقدار العدة، فقد تختلف العدة باختلاف أحوال، فاليائس والتي لا تحيض وهن من لم يبلغن المحيض فعدتهن ثلاثة أشهر، وأما أولات الأحمال فعدتهن وضع حملهن [455]، وهذا بعد أن طالبت الآيات السابقة بالالتزام بالعدة شرعت هذه الآية ببيانها [456]، النساء فتكون هذه الآية مع آية سورة البقرة حلقة متكاملة لبيان مقدار عدة كل من النساء المطلقات .

وقد رأى الدكتور محمد شحرور وهو من المعاصرين أن للآية تأويلاً غير ما فسره القدامى، حيث يقول إذا كان التأكد من عدم الحمل بالفحص الدقيق تنتهي العدة [457].

---

[٤٥٤] سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

[٤٥٥] قيل هي في المطلقات خاصة ، وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أبعد الأجلين ، أي أن وضعت الحمل قبل الأربعة أشهر وعشرة أيام تنتظر إلى حين استكمال الأربعة أشهر وعشرة أيام، وإن أكملت أربعة أشهر وعشرة أيام ولم تضع حملها تنتظر حتى تضع حملها وهو رأي الإمامية، وهناك من رأي هي في المطلقة والمتوفى عنها زوجها عامة بأن تنقضي عدتها بوضع حملها . ينظر : الزمخشري، الكشاف: ٤/ ٥٥٧ ، الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٣٣ .

[٤٥٦] ينظر : الطوسي، التبيان: ١٠/ ٣٤ ، البغوي ، معالم التنزيل: ٥/ ١١٠ ، الزمخشري، الكشاف: ٤/ ٥٥٧ ، الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٣٣ ، القرطبي ، جامع الأحكام: ١٨/ ١٦٢ .

[٤٥٧] ينظر : الشبكة العنكبوتية (الأنترنيت) لقاء الدكتور محمد شحرور مع منتدى الشرفة – الجزء الثاني، منشور بتاريخ / ٢٥ فبراير ٢٠١٠ *http://shahrour.org/?p=1424*.

فقد جعل الدكتور شحرور علة العدة هو التأكد من الحمل إن كان موجوداً أو لا فقط، ولا يوجد أمر آخر، بأن يجعل الآية تقول: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ مع عدم التمكن من التأكد من وجود الحمل، وهذا بلا شك تقدير مرفوض لأمر منها:

1 - تقدير شرط للنص من غير دليل .
2 - حصر علة تشريع العدة بالتأكد من وجود الحمل بلا دليل .
3 - تجاهل الأمر النفسي في تشريع العدة، وذلك أن الأحكام الشرعية تراعي الجانب النفسي للمكلف مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[458]، فهذا كله مراعاة للجانب النفسي لهما [459]، فلم يتجاهل الإسلام الحالة النفسية لهما وراعها، وكذلك العدة فيها جانب نفسي لكلا الشخصين، من إمكانية الصلح والمراجعة والعيش معاً، أو بعد هذه المدة والانفصال يمكن تناسي هذه النكبة التي عصفت بالعلاقة الزوجية و اطاحت بها، والعيش بسلام وأمان بالحياة التي تنتظرهما كمطلقين، فيكون الانفصال بشكل تدريجي، الأول انفصال مع إمكانية الرجوع والعودة للحياة الزوجية، والثاني الانفصال الدائم، ومع هذا جعل الإسلام لهما حق الرجوع إلى بعض بعد أن يطأ المرأة زوج أخر وتنفصل عنه[460] .

---

[٤٥٨] سورة الضحى : الآية ٩ – ١٠ .
[٤٥٩] ينظر: الرازي ، مفاتيح الغيب: ٣١ / ٢٠٠ .
[٤٦٠] ينظر: الشيرازي، الأمثل : ١٨/ ٤١٦ .

الفصل الثالث :

آليات التفسير التحليلي دراسة تطبيقية في سورة الطلاق

*** المبحث الأول:**
آليات التفسير التحليلي اللغوية في سورة الطلاق.

*** المبحث الثاني:**
آليات التفسير التحليلي الأصولية في سورة الطلاق.

*** المبحث الثالث:**
آليات التفسير التحليلي بعلوم القرآن في سورة الطلاق.

المبحث الأول

آليات التفسير التحليلي اللغوية في سورة الطلاق

توطئة:

إنَّ الله تبارك وتعالى من سنته أن يُرسل الرسول بلسان قومه ، ويُنزل الكتاب بـلغتهم نفسها؛ ليُفهم ما يقوله لهم ويوجههم به ،إذ يفهموا خطاب الله لهم عن طريق الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فقد أرسل الله تعالى نبينا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) الى العرب، وأنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين ، فلا شك أنه لا يصح فهمه وتحليله إلّا عن طريق اللسان ذاتهالذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون مبيناً واضحاً ظاهراً وقاطعاً للعذر مقيماً للحجة عليهم ؛ لأنه لو كان بغير لغتهم لاحتاجوا إلى ترجمان له ولصَعُبَ عليهم واحتجوابعدم فهمهم، له كما في قوله تعالى :﴿ . .بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . . ﴾[461]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [462] .

وكما أنّ هذا الخطاب الرباني المتمثل بالتعبير القرآني يحتوي على صياغات لغوية وتركيبات متباينة بأدوات لغوية متنوعة ومتقنة لتتناسب والمراد الإلهي المنتخب لها وهذه الهيمنة الاعجازية للنص القر آني لم تنحصر بمضمونه فحسب بل كانت لمنهجيته البنيوية المصاغة بأرفع الأساليب الأثر الكبير في استحواذ العقل بالاطمئنان به وكم من شبهات بُنيت على مغالطات لا يحلها إلا الاستعمال العربي الفصيح [463]، وبما أن العرب هم منشأ هذه السليقة للّغة فنزل القرآن بلغتهم كما بيّن أبو عبيده (ت: ٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن) مدى ارتبا ط القرآن بكلام العربفقال:(ففي القرآن مافي الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل

([٤٦١]) سورة الشعراء : الآية ١٩٥.

([٤٦٢]) سورة الزخرف : الآية ٣.

(٣) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابي ، مناهج تفسير النص القرآني : ص ٦١.

من مجاز ما أختصر، ومجاز ما حُذِفَ، ومجاز ما كفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجمع ومجاز ما جاء على الجمع ووقع معناه على الأثنين) [464].

فهي من أهم المصادر وأوثقها في فهم كلام الله تعالى فلا بد للمشتغلين في مجال الخطاب الإلهي المعجر اقتناص الدلالات والمعاني التفسيرية بمستوياتها اللامتناهية واللامحدودة، وكما قال ابن فارس(ت: ٣٩٥هـ)في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: (إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لاغناء بأحد منهم عنه ؛ وذلك أن القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله، صلى الله عليه وآله سلم، عربي فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب - لم يجر من العلم باللغة بُدّا)[465] فمن هنا وُظِفَتْ اللغة العربية أروع توظيف لتوصيل المراد الإلهي للمتلقي لأنها في ذاتها أداة التعبير ولا يمكن الإستغناء عنها في أي منهج [466] فإذا أراد المفسر أن يفسر آية من كتاب الله فلا بد له أن يعرف مدى ارتباط الآية الأولى بالتي تليها ومتى يقطع وكيف يأتنف (أنه لا يقوم بالتمام إلا عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القران)[467].

ونظراً لسعة دلالة مفردات العربية فإن المفَسِّر يحتاج إلى معرفة دلالات الألفاظ بلسياق لأنه يحدد الدلالة المطلوبة من دلالة المفردة بالنظر الى اتساق الكلام وتتابع الجمل أي عند استعمال المفسر المنهج اللغوي ومشاربه (البيان، البلاغة، النحو..) وغيرها لتفسير النص القرآني عليه أن ينظر إلى أمرين [468] :

الأول : المستوى السياقي للنص ونعني به عملية أتساقه وانسجامه وتركيبه مفردةَ مفردة، وكيفية هذا الاتساق أ هو بأسلوب خبري ، أم بأسلوب انشائي ثم يلاحظ عملية التقديم والتأخير وأثرها في المعنى، وينظر إلى صيغة هذا الأسلوب بأي مستوٍ بلاغي جاءت أ عبر بلإنشاء أم

([٤٦٤]) ابو عبيدة، مجاز القرآن : ١٨/١.

([٤٦٥]) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة : ١٠/١

([٤٦٦]) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابيالدكتور ، مناهج تفسير النص القرآني : ص٦١، عثمان حسين عبد الله الفراجيالدكتور ، التفسير اللغوي وأثره في اظهار المعاني القرآنية :ص١٥.

([٤٦٧])النحاس، القطع والائتناف : ص ٩٥.

([٤٦٨]) ينظر : مساعد بن سليمان الطيار الدكتور، التفسير اللغوي للقران الكريم : ص ٥، عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري ، السياق القرآني واثره في التفسير (رسالة ماجستير) بلشراف خالد عبد الله القرشي: ص ١٣٠

الخبر وماهي الأغراض المجازية للخبر والإنشاء، ثم ينظر للمستوى السياقي بأي نوع من أساليب البيان فلو دققنا في قوله تعالى ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [469] فنشاهد سياق النص جاء بأسلوب القسم ، واحتوى على أسلوب الاستعارة المكنية فكان التشخيص حاضراً لدينا في السياق؛ لأنه جعل الصبح يتنفس كالإنسان من حيث أراد تمدد الظل[470] .

الثاني : ينظر إلى مستوى المعنى ونعني به المعنى المترشح من السياق ودلالاته الإيحائية ووظائفه الإفهامية بالنسبة للمتلقي كما في قوله تعالى ﴿ . . .فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [471] هنا في الآية المستوى السياقي جاء عبر الخبر والخبر ابتدائي لأنه خلا من التوكيد لكن مستوى المعنى تحقق لنا عبر الاستعارة المكنية لأن الإذاقة لا تنسب إلى اللباس وإنما أراد بها (كساها)[472] .

وقد شكَّل النص القرآني قيمة جمالية وقيم أخرى عند المتلقين منذ بداية نزوله بالرغم أنه نزل باللغة العربية فإنه وكما قال مالك بن نبي(ت: ١٣٩٣هـ) في كتابه الظاهرة القرآنية (طريقة فجائية وغريبة)[473]تقتضيها طبيعة الرسالة الإسلامية،فكثيراً ما نجد في السياقات التحليلية وجود العدول الذي هو الانزياح* في الأداة اللغوية الفنية فيخرج بدلالة العبارة من معنى إلى آخر لكنه يأتي بمستوى سياقي ينتج دلالة إيحائية أو تأويلية (المستوى التوليدي)، فالعدول كثيراً ما نجده في القرآن الكريم لكنه ليس المقصود بظاهره وإنما ما يوحي إليه بدلالته كما في المثاليين السابقين ولعل أول من قال بالإنزياح في القر آن هو ابو عبيدة(ت: ٢١٠هـ) في كتابه

([٤٦٩]) سورة التكوير : الآية ١٨.
([٤٧٠]) ينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القران : ٢٧٧/١٠.
([٤٧١]) سورة النحل: الآية ١١٢.
([٤٧٢]) ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القران : ١٨٨/١٢.
([٤٧٣]) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية : ص ١٩١.
*الانزياح او ما يسمى بالعدول هو تجاوز كلام الإنسان الاعتيادي المصرّح باللفظ والعدول إلى كلام ذي دلالة خفيّة غير مصرّحة تفهم من المعنى أي انه يعرف بأنه انزياح عندما نرى اللفظ قد خرج عن القاعدة اللغوية وهذه ميزة تميّز بها النص القرآني وفيه التحدي للعرب بانه بلغتهمنفسها إلا أنهم لا يستطيعون الاتيان بمثله. ينظر : عياشي المنذر ،الاسلوبية وتحليل الخطاب: ص٧٥-٧٦ ،احمد محمد ويس، الانزياح في منظور الدراسات الاسلوبية :ص ٧٥.

مجاز القرآن كما ذكرنا في الاستشهاد السابق لترابط كلام العرب مع القر آن الكريم حيث ذكر لفظ (مجاز) يقصد به الانزياح ، او العدول حيث يرى ان في اسلوب القران مجازاً وانتقالاً على طريقة العرب في الانتقال والرخصة في التعبير [474] ، وكما أن الدراسة في سورة الطلاق استشهاد لهذا الموضوع منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ . . ﴾ [475]

فإن الله تعالى حصر اسلوبين هما (النداء والشرط)، وهذان الاسلوبان اقتضيا جواباً ليقدم وظيفة إفهاميه الى السامع من خلال سياق النص الذي هو خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حين هو للأمة جمعاء ومن خلال ما يترشح ويتولد من معنى السياق وما يراد من هذا المعنى فكان الجواب (طلقوهن ، أحصوا) وهو حكم عبر اسلوب الإنشاء بالأمر أنجز لنا دلالة الأمر على الوجوب[476].

ومن هنا سوف نبدأ بدراسة علاقة اللغة بالتفسير التحليليفي سورة الطلاق وهو على النحو الآتي :

المطلب الأول : دلالة المفردة

المقصد الأول : المعنى المعجمي

إنّ من المعاجز التي تكمن في النص القرآني أنه أستعمل الألفاظ بدلالاتها المعجمية فهو يوظف اللفظة بمعناها المعجمي الأصلي لإعطاء النص القرآني دلالة يبتغيها هي تحديدا دون غيرها ودون الالتفات إلى ما يطرأ عليها من إضافات وقيود تخرجها عن المعنى التي وضعت له فظهر ذلك من خلال حلوله لأزمات عقائدية [477] منها اتهام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ عليه ذنوباً عندما أبلغه الله تعالى بأنه دفع عنه وزره الذي كان عليه بسبب هذهالذنوب السابقة مستدلين على ظاهر قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ

([٤٧٤]) ينظر : احمد غالب النوري ، اسلوبية الانزياح في النص القرآني (رسالة ماجستير) بأشراف الدكتور زهير المنصور: ص ٣٠

([٤٧٥]) سورة الطلاق: الآية ١.

([٤٧٦]) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٣/١٠

([٤٧٧]) ينظر : سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور ، تاريخ القران وعلومه: ص ٥١-٥٣.

وِزْرَكَ* الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [478]فلفظ (وزرك) تدل على الذنب أي إن الرسول لديه ذنوبو هذا

المعنى يهدد بعقيدة كل من لا يفهم دلالة اللفظ الأصلي ولايكلف نفسه معرفة المعنى المعجمي لها، ولكن من معاجز القران الكريم وضع لكل لفظ دلالة لايريد غيرها فلو تتبعنا معنى الوزر في أصل اللغة لوجدناها تدل على الثقل [479]، فالوزر يدل على حمل الثقل فكل ما يثقل على الإنسان من جهد وغم وأذى وتعب يسمى اوزاراً فهي الثقل الحقيقي [480] فهنا أفادنا المعنى المعجمي في إبعاد التهمة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتنزيهه عن المعاصي والذنوب لأنه معصوم والمعصوم لا يتهمبالذنوب.

وسوف نتناول جملة من الألفاظ الواردة في سورة الطلاق وبيان دلالاتها المعجمية الأصلية التي وردت فيها منها لفظ (بلغن) في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [481]اتفق علماء اللغة بما فيهم الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) في الصحاح و ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) في كتابه معجم مقاييس اللغة وغيرهم أن بلوغ الشي هو القرب منه ، بلغت المكان بلوغاً : وصل إليه وكذلك إذا شارفن عليه و قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ . . ﴾ أي قاربنه [482]، فهنا أعقب تعالى الطلاق ببلوغ الأجل؛ لأنه لا يأتي إلا بعد الطلاق مباشرةً فنجده عزوجل أستعمل الفاء ومن دلالاتها التعاقب ويؤيد ذلك مجيء (امسكوهن ، فارقوهن) بصيغة الأمر الذي يدل على وقوع الفعل في زمان المستقبل فدلالتها على المقاربة لا على الانقضاء أدق؛ لأنه لو أنقضت سيكون خلاف الإمساك ولذلك أختار هذه اللفظة عن غيرها

([٤٧٨]) سورة الشرح :الآية ١-٣

([٤٧٩]) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٢٨٢/٥

([٤٨٠]) ينظر : المرتضى ، تنزيه الأنبياء : ص ١٦١.

([٤٨١]) سورة الطلاق: الآية ٢.

([٤٨٢]) ينظر : الجوهري ، الصحاح في اللغة:٥٣/١ ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٢٨٠/١ ، ابن منظور ، لسان العرب : ٤١٩/٨.

من الألفاظ المقاربة لدقة المعنى المراد منه تعالى[483] فلم يقل مثلا (وصلن) أي وصل : وصلتُ الشيءَ وَصْلاً وَصِلَةً. ووَصَلَ إليه وُصُولاً فهنا يكون الوقت انتهى ووصل الى الوقت المعلوم أي الوصول إلى الشيء تاماً [484] حينها لا يحق للزوج ارجاع زوجته إن أراد ذلك لوصول وانتهاء وقت العدة على عكس (بلغ) من باب الاتساع فإذا بلغت المعتدات أجلهن أي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصم ة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده أو أن يطلقها وتتزوج بعد انتهاء العدة إن ارادت ذلك[485] .

وايضاً فقد أختار تعالى لفظ (إنْ ارتبتم) في قوله : ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ..﴾[486] فالريب وكما بينوه علماء اللغة بأنه الشك والحاجة وارتبت الأمر تخوفت عاقبته وأَرابَ الرجلُ: صار ذا رِيبَةٍ، فهو مُريبٌ. وارتاب فيه، أي شَكَّ [487]، كما قيل إنَّ الريب هو التهمة، ارتاب به اتهمه، وارابني إذا ظننت ذلك به[488] .

بعد البحث في المعاجم اللغوية للفظة (ارتبتم) تبين للبحث مدى دقة اختيار العبارات من دون غيرها في القرآن الكريم ، وسعة دلالتها كان لهاإصابة المعنى المراد، فعندما قال تعالى (إن ارتبتم) ولم يقل إن شككتم أو أي لفظ آخر قريب من المراد الإلهي بالمعنى فإنَّ الشك هو نقيض اليقين[489] معنى أنك إن شككت بشي فإنّك لم تتحقق معرفتك به ولا يُصاحب الشك خوف واتهام وحذر فلذا خاطب الرجال من دون النساء بالضمير ؛لأن الريب مصاحب للخوف من وقوع الشيء فالرجال هم المعنيون في ذلك ب أن المرأة يئست ام لا لخوفهم أنه يحملن في

([٤٨٣]) ينظر : عادل النصراوي الدكتور ، التوجيه الدلالي ، ص ٢٤١-٢٤٢.
([٤٨٤]) ينظر : الجوهري ، الصحاح في اللغة : ٢٨١/٢،
([٤٨٥]) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣١/١٠-٣٢، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١٤٥/٨، مغنية ، التفسير الكاشف : ٣٤٩/٧.
([٤٨٦]) سورة الطلاق : الآية ٤.
([٤٨٧]) ينظر : الصاحب بن عباد ، المحيط باللغة : ٤٣٩/٢، الصحاح في اللغة:١/ ٢٧٩،الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ٧١/١.
([٤٨٨]) ينظر : ابن دريد ، جمهرة اللغة :١٤٩/١.
([٤٨٩]) ينظر : الفراهيدي ، العين : ٤٢٢/١.

أرحامهن ما يكون ولد لهم أي إنّ انقطاع الحيض أهو ليأسهنّ أم بسبب علوق الحمل لذا جاء اللفظ بـ (إنْ) الشرطية الدالة على الظن وعدم وقوع الحدث مما سبب الارتياب [490] .

ومن الأمثلة الأخرى في قوله تعالى ﴿ .. وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ..﴾[491] ،

..﴿...وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ...﴾[492]فقد وردت لفظ (يضعن) في

سورة الطلاق مرتين وفي كلتاهما كانت لبيان حكم معين فعند البحث في المعاجم اللغوية حول هذه المفردة من حيث جذرها الأصلي نجد أنها من وضَعَ يضَع ، ضَعْ ، وَضْعًا ، فهو واضع ، والمفعول مَوْضوع ، ويقال وضع الشي : انحطاطه وتقليله وتنقيصه ، وقيل وضَع عَصَاهُ : توقّف عن السير وأقام، وضَعت الحربُ أوزارَها : انقضت وانتهت، وضَعَ :أسرع في سيره ، وضَع الشَّيءَ أو الأمرَ : ألقاه منْ يديه وحطَّه [493]، ومن هنا وبعد البيان المعجمي للمفردة يتبين أنها تدل على انتهاء الشي ولهذا السبب يكون اختيار الباري لهذه اللفظة في الآية الأولى من دون غيرها لانتهاء عدة المرأة بانتهاء حملها فنجده لم يقل (يلدن) و لَدَ من يَلِد ، لِدْ ، وِلادَةً ووِلادًا ، فهو والد ، وهي والدٌ، ووالدةٌ والمفعول مولود، ولَدتِ الأُنْثَى : وضعت حَمْلَهَا في نهاية مُدَّة الحمل ، أنجبت مولودًا، ولَّدتِ القابِلةُ المرأةَ :أولدتها ، تولَّت إخراج الجنين من بطنها ، ساعدتها على الولادة [494] ، فهنا لابد في الولادة أن يكون جنيناً كاملا، ونلاحظ الدقة الكبيرة في التعبير فقوله عزوجل وضع الحمل ولم يقل الولادة لأن وضع الحمل يمكن أن يكون بالولادة أوالاجهاض ، فإن حصلت الولادة فالعدة منتهية وإن حصل الإجهاض فالعدة منتهية أي الغرض من ذلك أن المرأة الحامل تنتهي عدة الطلاق عندها ويُزال وجوب الإنفاق عليها بوضع الحمل أياً كان نوعه وهناك روايات كثيرة تبين أنّ وضع الحمل يشمل الولادة والإجهاض: فقد ورد عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن عليه السلام قال : ((سألته عن الحبلى إذا

([٤٩٠]) ينظر : الاندلسي ، البحر المحيط : ٣٩٧/٨.

([٤٩١]) سورة الطلاق: الآية ٤

([٤٩٢]) نفس السورة : الآية ٦

([٤٩٣]) ينظر : احمد بن فارس ، مقاييس اللغة : ص ١٠٥٥، الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن : ص ٥٤٩ ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ص٧٧١

([٤٩٤]) ينظر : ا بن منظور ، لسان العرب : ٤٦٧/٣

طلّقها زوجها فوضعت سقطاً تمّ أو لم يتمّ ، أو وضعته مضغة، قال : كل شي ء وضعته يستبين أنه حمل ، تم أو لم يتم، فقد انقضت عدتها وإن كان مضغة))[495] .

وأيضا في قوله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ . . ﴾[496]فنلاحظ لفظ (قُدِرَ) في المعنى المعجمي لها من قَدَرَ يقدر قدراً ومقدرة وقدرة ، قَدَّرَ مِسَاحَةَ الأَرْضِ : قَاسَهَا ، وقَدَرَ الله الرِّزق قدراً يَقدِرُه أي يجعله بقَدْرٍ [497] ، وتقدّر له كذا: تهيّأ له، وإذا وافق الشيء قالوا: جاء على قدرٍ. وقدر عليه رزقه. وقدّر: قتّر. وقدّر الشيء بالشيء: قاسه به وجعله على مقداره ، قدر الله الرزق على فلان : ضيقه عليه [498]ومن خلال ما ورد في آراء بعض علماء اللغة حول لفظ قدر فإنها تدل على التضييق في الرزق حسب مقدرة وشأنية الإنسان أي ما يليق بحاله مقدّرا عليه [499]كما في قوله : ﴿ . . وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ . . ﴾ [500]

فلذلك أمر الله الرجل إذا طلق زوجته وهي تولت رضاعة طفله عليه دفع النفقة لها من بعض ما قدره الله له الرزق فلو قال تعالى (ضيق) التي هي عكس السعة، ضاق يَضيقُ ضَيْقاً بالكَسْرِ ويُفْتَح وأضاقَ فهو مُضيق:إذا ضاقَ عليه معاشُه وذهَب مالُه وافْتقَر [501]، إذن فهي تدل في المعاجم على الضيق الشديد والألم والحزن والتعب والحاجة وهنا لا يوجّب على الإنسان أمراً لا يستطع عليه،وانما اوجب النفقة عليه بحسب ما يستطيع وما يتمكن عليه [502] .

المقصد الثاني : المعنى الصرفي

([٤٩٥]) الكليني ، الكافي : ٥٣/٦.
([٤٩٦]) سورة الطلاق : الآية ٧.
([٤٩٧]) الفراهيدي ، العين :٣٨٩/١.
([٤٩٨]) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٥/ ٧٤، الصاحب بن عباد ، المحيط في اللغة : ٤٦٠/١، الزمخشري ، اساس البلاغة : ٣٦٨/١.
([٤٩٩]) ينظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ص٤١٢.
([٥٠٠]) سورة البقرة : الآية ٢٣٦.
([٥٠١]) الأزهري، تهذيب اللغة : ١٨٣/٣ .
([٥٠٢]) ينظر : الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن : ٣١٨/١٩.

إنَّ اللغة العربية لغةٌ خادمةٌ للقرآن الكريم وصائنة للسان من الزلل واللحن فيه تقرباً لفهم النص القرآني وتحليله وتفسيره وهي لغة شرّفها الله تعالى بذلك وتمتاز بالرقي وتعتبر وسيلة للتفاهم والتخاطب البشري فهي لغة متصرفة ففيها مصدر، وفيها فعل ماض، وفعل مضارع، وفعل أمر، واسم فاعل، واسم مفعول، واسم آلة، واسم تفضيل، وما إلى ذلك، أي يحيطها وعاء متى ما صُبّت فيه منحها دلالات إضافية لا تتحقق من دونه وهذا الوعاء هو الصرف وه و من أشرف العلوم لأنه يحتاج إليه جميع المفسرين في تحليل وتفسير دلالة المفردة والوصول إلى معناها الدقيق بوضوح وله الأثر في تقويم اللسان وصيانة اللغة من الزلل فهو يعني في إبراز أبنية الكلمات والصيغ ومعرفة المزيد منها والأصيل [503]

إنّ الألفاظ التي توضع في صياغة معينة تسهم في تكوين مضمون جديد يضاف إلى دلالة النص بفعل تلك الصياغة الصرفية وكما بين العلماء ذلك (إنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه)[504].

وعليه فكل لفظ له معنى لغوي يفهم من المادة التركيبية المصاغة له أي من حركاته وترتيب حروفه، وهذا يساعد في فهم الألفاظ القرآنية ومعرفة الغرض من وضعها بهكذا هيئة [505].

ومن خلال سورة الطلاق سوف تتوضح فكرة تفسير وتحليل اللفظة القرآنية باستعمال المعنى الصرفي وبيان صيغة المفردة، ومن الصيغ التي وردت في سورة الطلاق (اسم الفاعل) وهو مصطلح دال على الذات ويستعمل استعمال الفعل في الجملة فيمكن حذفه ووضع الفعل مكانه مع بقاء المعنى صحيحا وإنّ صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعاً متجدداً

([٥٠٣]) ينظر : الأشبيلي ، المتمتع في التصريف : ص ٢٧، سيروان عبد الزهرة الجنابي الدكتور ، مناهج تفسير النص القرآني : ص ٧٤-٧٥، مجاهدي صباح ، أثر التوظيف الصرفي في تيسير التفسير لأحمد بن يوسف اطفيش (رسالة ماجستير) بأشراف بوعناني مختار، مجاهدي صباح : ص ١٣.

([٥٠٤]) ضياء الدين نصر الله : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٥٦/٢

([٥٠٥]) ينظر : عبد الحميد احمد يوسف الدكتور ، الاعجاز الصرفي في القران الكريم : ص ٩.

أي هو وصف دال على محدثه مع الاعتماد على الزمن [506]، كما وله دلالات متعددة منها الدلالة على الزمن الماضي والحالي وعلى الاستقبال وعلى المداومة والاستمرار وعلى الثبوت والملازمة وعلى النسب[507] ويصاغ بصورتين سنوضحها في المثال التطبيقي في السورة.

فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ . .إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ . . ﴾[508]فلفظة (مُبَيِّنَة) فهي من الفعل بيَّنَ يبيِّن ، تَبْيينًا وتِبيانًا ، فهو مُبيِّن ، والمفعول مُبَيَّن وهذا الفعل رباعي صيغ بأحد صيغ الصرف بإبدال حرف المضارع ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر وهي صيغة اسم الفاعل[509]، الذي يدل على الحدث والحدوث [510]، أي إنَّ اسم (مبيَّنة) يدل على البيان والوضوح والظهور ، وهذا هو الحدث ، اما الحدوث فهو التغيير فالبيان لا يكون ملازم اً للفاحشة،فهناك فواحش باطنة وغير ظاهرة، والفاحشة هنا ما فحش من الأمر ويدخل فيه دخولاً أولياً الزنا وكل ما فحش ،منالفاحشة المبينة الواضحة التي لا اختلاف فيها ولا إشكال في كون تلك الصفة منها تعتبر فاحشة مبيِّنة فلذلك قال الله تعالى (مبينة) بينها وأظهرها بحيث أشهد عليهن بها، فيجب على الزوج أن يتأكد من ذلك لأن الله نهاه عن خروج الزوجة من دون أي سبب ولكنه تعالى استثنى ذلك لجواز خروجها من بيتها إذا ظهر وبان إرتكابها الزنا مثلا أو غيرها من الفواحش[511] .

كما أنّ اسم الفاعل يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فاعل سواء كان متعدياً أو لازماً [512]، فمن أمثلة أسم الفاعل في الفعل المتعدي في السورة لفظة (بالغ) في قوله تعالى :﴿ . .إِنَّ

([٥٠٦]) ينظر : ابن هشام الانصاري ، اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك :٢٤٨/٢، سمير شريف اشتيتية الدكتور، اللسانيات (المجال والمنهج والوظيفة) : ص١٥٥.

([٥٠٧]) ينظر : مالك المطلبي ، الزمن واللغة :ص٤٦

([٥٠٨]) سورة الطلاق : الآية ١.

([٥٠٩])ينظر : ابن الناظم ، شرح ابن الناظم على ألفية أبن مالك :ص ٤٤٠ ، ابن عقيل ، شرح ابن عقيل : ١٣٤/٣

([٥١٠]) ينظر : فاضل السامرائي الدكتور ، معاني الأبنية في العربية : ص ٤٦ ، نسرين عبد الله شنوف الدكتورة ،معاني الأبنية الصرفية : ص ٣٧.

([٥١١]) ينظر : الزمخشري ، تفسير الكشاف : ٥٤٢/٤، الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠/١٠

([٥١٢]) ينظر : ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية أبن مالك :ص ٤٤٠ ، ابن عقيل ، شرح ابن عقيل : ١٣٤/٣.

اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [513]من الفعل بَلَغَ يبلغ بالغ ومن دلالات أسم الفاعل

أنه قد يأتي للزمان المستمر ، اي يدل على زمن الماضي والحاضر والمستقبل ، ولا ينحصر بوقت كما هو عليه في هذه الآية فإنه تعالى منفذ وعده وبالغ مراده ، أي يبلغ ما يريد ويشاء في كل وقت وزمان بمعنى أنّ أسم الفاعل متى ما نسب إلى الله تعالى فإنّه يدل على مطلق الزمان فهو قادر مطلق في كل وقت وأمره نافذ في كل شيء وتخضع جميع الكائنات لمشيئته وإرادته [514]

ومن الأمثلة الأخرى في السورة قوله تعالى :﴿ . .وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن

تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾ [515] فننظر للفظة (تعاسرتم) هي من الجذر عسر (والعُسُر ضد

اليُسْر وهو الضّيق والشدَّة والصعوبة)[516] لكنَّه عزوجل استعمل لفظ التعاسر وهو (تعاسر) الأمر اشتد وقَويَ والزوجان لم يتفقا [517] ، لذا قال عزوجل : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى

﴾ هذه احد الصيغ الصرفية للفعل الثلاثي المزيد وتكون على وزن تَفَاعَل وكما قال سيبويه

(ت:١٨٠هـ) في الكتاب (وأما تَفَاعَلَ فلا يكون إلا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا)[518]، أي دلالتها على المشاركة فتعاسر معناها اشترك كلاهما بالعسر (الرجل وطليقته) فاختلفا وتضايقا وكما قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في كتابه التحرير والتنوير (والتعاسر صدور العسر من الجانبين . وهو تفاعل من قولكم : عسرتُ فلاناً ، إذا أخذته على عسره ، ويقال: تعاسر البيِّعان إذا لم يتفقا فمعنى تعاسرتم اشتدّ الخلاف بينكم ولم ترجعوا إلى وفاق)[519]، ومن خلال بيان

([٥١٣]) سورة الطلاق: الآية ٣.
([٥١٤]) ينظر : الطباطبائي ، تفسير الميزان :٤٠/١ ، الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٤١٥/١٨.
([٥١٥]) سورة الطلاق: الآية ٦.
([٥١٦]) ابن منظور ، لسان العرب :٥٦٣/٤.
([٥١٧]) ينظر: ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط : ١٠٦/٢.
([٥١٨])سيبويه ، الكتاب : ٢٣٩/٢
([٥١٩])ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٦٢/١٥.

دلالة لفظة التعاسر تبين لنا أثر علم الصرف في بيان سبب استعمال الباري لهذه الصيغة دون غيرها .

وأيضا من المواضيع الصرفية المستعملة في سورة الطلاق المصدر الميمي والذي هو (كل أسم مبدوء بميم زائدة وغير منته بياء مشددة بعدها تاء مربوطة)[520] كما في قوله تعالى ﴿ . .وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾ [521]فلفظ (مخرجا) من (خَرَجَ خروجاً ومَخْرَجاً. وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج. يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُه)[522] ، فإن قاعدة المصدر الميمي هي(كلَّ فِعْلٍ ثُلاثيٍّ يكون مُضارعُه غيرَ مكسورٍ يأْتي منه المصدر والمَكَان والزَّمَان على المَفْعَل بالفَتْح)[523]وعلى هذه اللفظة طبّقت القاعدة والمراد بها الخلاص والنجاة اي من يتق الله عند نزول المصيبة يجعل الله له مخرجاً مِن الشدّة إلى اليسر وبين ذلك ابن عاشورفي كتابه التحرير والتنوير فقد وصفه وصفاً دقيقا ببيان دلالة المَخْرَج بقوله : (لمّا كان أمر الطلاق غير خال من حرج وغم يعرض للزوجين وأمر المراجعة لا يخلو في بعض أحواله من تحمل أحدهما لبعض الكره من الأحوال التي سببت الطلاق ، أعلمهما الله بأنه وعد المتقين الواقفين عند حدوده بأن يجعل لهم مخرجاً من الضائقات ، شبه ما هم فيه من الحرج بالمكان المغلق على الحالّ فيه وشبه ما يمنحهم الله به من اللطف وإجراء الأمور على ما يلائم أحوالهم بجعلِ منفذ في المكان المغلق يتخلص منه المتضائق فيه)[524] ومن هنا يتبين للبحث المخرج الذي وعده الله للإنسان لا بدّ من أن يكون مشروطاً بالتقوى فأمر بها ثلاث مرات ووعد في كل مرة نوعا من الجزاء فقال: أولاً يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويبيح له محبوبه من حيث لا يأمل وقال في الثاني يسهل عليه الصعب من أمره ويبيح له خيراً ممن طلّقها والثالث وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.

وبما أنّ سورة الطلاق سورة إرشادية تحاول تنظيم شؤون المرأة في المستقبل، لهذا جاءت أغلب صيغها الاسمية والفعلية تقريبا دالة على الزمن المطلق كما في اسم الفاعل مثلا

([٥٢٠])راجيالأسمر ،المعجمالمفصلفيعلمالصرف: ص ٣٨٣.
([٥٢١]) سورة الطلاق: الآية .٢
([٥٢٢])الجوهري ، الصحاح في اللغة : ١٦٦/١.
([٥٢٣])الزبيدي ، تاج العروس : ١٣٧٤/١ .
([٥٢٤]) ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٤٨/١٥.

فاحشة مبيّنَة ومخرجا ولاتخرجوهنّ وامسكوهنّ وانفقوا وتعاسرتم وغيرها كثير والأهم فيها أنّ أغلب آياتها تحث على تقوى الله لتهيئة المخرج . ومن هنا نجد التوظيف الصرفي له أثر كبير في تحليل المفردة القرآنية وفهمها وبيان دلالتها .

المطلب الثاني : دلالة التركيب

المقصد الأول : المعنى النحوي

يرتبط علم النّحو بالتفسير ارتباطاً وثيقاً، فعلم النّحو من أهم الأدوات التي يوظفها علم التفسير لفهم القرآن الكريم ؛ لأنه وسيلة لاستخراج كنوز القرآن من خلال معرفة معانيه، فمن خصوصياته أنه يعتني بأواخر الكلم وما يعتريها من اعراب وبناء كما يهتم بموضوعات أخرى كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والوصل والفصل وغيرها وكل ذلك يحتاج الى قوانين وأصول وقواعد [525]، وليس القصد التمسك بالقواعد وفق المفهوم المنطقي كما أملاه النحاة فلا بد من تتبع السياق؛ لأن لكل موضع دلالة خاصة حيث إنه لا يوجد خطأ أكبر من أن يظن أمرؤ أن اللغة بمفرداتها لا بتراكيبها ووضعها [526] فالسياق القرآني لا يراعي الرصف المفرداتي ولا يوجه الدلالة على وفق التنسيق بهيئاتلفظية مرتبة فقط، بل يتعدى إلى أمر أكثر أهمية وهو معرفة الدلالة عن طريق معطيات الوظائف النحوية للتركيب السياقي [527]، وعليه يكون معرفة النحو من مهام المفسرين ومحللي النص القرآني لاعتمادهم عليه بشكل كبير في معرفة وفهم دلالة التركيب في القرآن الكريم وكما قال الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ) في كتابه الفقيه والمتفقه:(يحتاج الناظر في علم القرآن إلى حفظ الآثار ودرس النحو وعلم العربية واللغة؛ إذ كان الله تعالى إنما أنزله بلسان العرب) [528].

فلو تتبعنا سورة الطلاق لوجدنا هناك الكثير من الموضوعات النحوية التي لابد للمشتغل بالتفسير التحليلي من معرفتها وبيان السبب التي وضعت من أجله، ونحن في هذا المطلب سنقف على بعض منها .

([٥٢٥]) ينظر : الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الاعجاز : ص ٧٧.

([٥٢٦]) ينظر : مصطفى الرافعي ، تحت راية القرآن : ص ٥٥.

([٥٢٧]) ينظر : سيروان عبد الزهرة الهكتور، مناهج تفسير النص القرآني : ص ٨١

([٥٢٨])الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه: ١٩٨/١.

إنّ أول موضوع ورد في السورة هو أسلوب النداء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ . . ﴾[529] والنداء هو : (طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ملفوظ به أو مقدر)[530] ويفيد في إقامة علاقة مع شخص آخر، إما للحوار معه وإما لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام وله جمالية بلاغية تأتي في دلالة سياق الآياتففيه توجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام حوله، وفيه ضربٌ من الإيجاز واختصارٌ للكثير من الكلام ، فضلاً أن فيه تليناً للكلام والتفاتا بليغا يرغب في استمالة المخاطب، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع، وحروف النداء ثمانية أهمها (يا) وهي أكثر حروف النداء استعمالا في القرآن الكريم [531] واستقلال القرآن الكريم بهذه الطريقة في النداء يرجع إل ى أمور فقد نوَّه إليها الزمخشري (ت:٤٦٧هـ) في كتابه الكشّاف حيث قال: (فإن قلت : لم كثر في كتاب الله النداء عل ى هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره ؟ قلت : لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكدالأبلغ)[532].

حيث ورد الخطاب هنا في السورة المباركة بـ (يا أيها النبي) ، ففيه تخصيص الخطاب بالنبي، وعمومه لأمته، وهو تشريف له واظهار لجلالة منصبه فهو بمثابة الرئيس لهم وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه (صلى الله عليه واله وسلم) اياهم وتغليبه عليهم وسادا مسدهم لا لأن نداءه كندائهم ولهذا السبب اختار الله تعالى لفظ (النبي) بدل عن غيره ا لما فيها من الدلالة على علو مرتبته، والخطاب له هنا كالنداء إلّا أنه اختير ضمير الجمع للتعظيم، وتقدير الكلام يا أيها النبي قل لامتك إذا طلقتم النساء، وقيل انه بعدما خاطبه

---

(٥٢٩) سورة الطلاق: الآية ١.
(٥٣٠)الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: ١٤٢٥/١.
(٥٣١) ينظر : ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٣٩/١ ، السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو ١٠٠/٢-١٠١.
(٥٣٢) الزمخشري، الكشّاف : ٤٦/١.

(صلى الله عليه واله وسلم) بالنداء صرف سبحانه الخطاب عنه لأمته تكريما له، لما في الطلاق من الكراهة فلم يخاطبه به تعظيما اي نزل القرآن بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، فيكون الخطاب للنبي والمراد به الامة من ذلك [533]، من خلال اسلوب النداء استفاد المفسرون معرفة دلالة الآية القرآنية، بأنها تفيد تشريع بأحكام متعددة تخص طلاق المرآة وتفيد التنبيه للمؤمنين من خلال خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

كما أنّ موضوع التقديم والتأخير من الموضوعات الواردةفي سورة الطلاق حيث له الأثر العميق في تغيير المعنى تبعاً لتغيير موقع الكلمة في بنية التركيب، فإنّ بروزه في القرآن الكريم له خصوصية فريدة فلكل تعبير معناه ولكل تبدل هدفه ومغزاه، فالكلمة القرآنية تختلف عن سائر الكلمات لأنها تحمل معها أفكاراً ورؤى ومعانٍ متدفقة ومخصوصة تضفي على النص جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، فكان هذا المكان وهذا الموقع خلقت له تلك اللفظة بعينها وفي ذات الموقع بعينه، وإن أي كلمة أخرى أو الكلمة نفسها في غير الموقع نفسه لا تستطيع توفية المعنى، فكل كلمة وضعت في موضعها لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء[534].

ويتنوّع هذا الأسلوب وتتغير دلالته تبعًا لتغيّر السياق وحاجة المقام، فما كان لكلمة أن تتقدم من مكانها دون غاية معنوية وهدف دلالي تريد أن تبثّه في الجملة. والقرآن الكريم كلام الله المعجز وبيانه المحكم يشتمل على هذه الأساليب التي ينبغي الوقوف مع أسرارها ودلائلها فهو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه، إلا أنّه ينبغي أن يعرف في كل شيء قدّم فيه موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسّر وجه العناية فيه هذا التفسير [535]

أما أنواعه في القرآن الكريم فقد حصرها الزركشي (ت: ٧٤٩هـ) في كتابه البرهان بثلاث نقاط[536]

النوع الأول : ما قُدِم والمعنى عليه؛ أي إنّ اللفظ والمعنى كلاهما مقصود تقدمهما

([٥٣٣]) ينظر : الطوسي ، التبيان في علوم القرآن : ٢٦/١٠، الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥٩/٢١.

([٥٣٤]) ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص٢٠٥، فاضل السامرائيالدكتور ، التعبير القرآني : ص٧٤.

([٥٣٥]) ينظر : الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الاعجاز : ص ١٤٢ .

([٥٣٦]) ينظر :الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢٣٨/٣.

النوع الثاني : ما قُدِم والنية به التأخير أي لفظه مقدم ومعناه مؤخر

النوع الثالث: ما قُدِمَ في آية وأُخِّر في أخرى

وأما أسبابه فهي كثيرة منها ما يكون اصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، ومنها ان يكون في التأخير اخلال ببيان المعنى ، ومنها ان يكون في التأخير اخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة ، ومنها للعظمة ومنها للاهتمام ومنها للاختصاص ومنها للالتصاق أي نسبة الحدث الى محدثه وغيرها من الاسباب [537] .

وقد نجده في سورة الطلاق بمواطن عديدة منها في قوله تعالى : ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [538]ففي هذه الآية تقدم الظرف (بعد ذلك) على المفعول به (أمراً) وسببه للاهتمام به ورفع ارادة التوجه عن الأمر إلى التوجه نحو ذلك بعد ذلك الشي المتقدم ، وهو رجعة الزوجة بعد تطليقها ، وهو صاحب الأهمية في مناط الموضوع لأن الزوج قد يندم على فعلته، وينقلب الغضب الى الحب لديه ، ومن النفور عن زوجته الى الرغبة فيها فوجب احصاء العدة لعل الله يجعل الرجعة لنسائكم إن شعرتم بالندم وعدم الصبر لفراقهن قبل خروجهن من مدة العدة[539]، لذا قدم الله تعالى ما فيه الإصلاح للأسرة وكان حقه التقديم.

كما أنّ من أمثلة التقديم والتأخير تقديم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿ . .وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [540]ففي الآية الخطاب موجه لمن يتق الله تعالى بالالتزام بأوامره التي أمره بها بشكل عام وهنا في هذه السورة بشكل خاص فعندما يقترب انتهاء العدة للزوج خياران : إما الامساك وإرجاع زوجته بالمعروف ، أو المفارقة وتطليقها بالمعروف وعدم إلحاقها بالضرر والأذى هذه أوامره تعالى له ، فإذا ندم الزوج على طلاق زوجته وتوكل على الله بأن يخلصه من هذا الأذى والتعب والضيق الذي أصابه وأتق ى فإنه تعالى يهيء له المخرج ويرزقه من حيث لا يحتسب فقدم (له) ، للانشغال بالبحث عن المخرج

([٥٣٧]) ينظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن: ٢٤٥/٣.

([٥٣٨]) سورة الطلاق: الآية ١.

([٥٣٩]) ينظر : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ٣٦٩/٦.

([٥٤٠]) سورة الطلاق : الآية ٢.

وهو تواق الى تلقي الخبر وهو الفرج والمخرج للإشارة إلى عسر الأمر وحجمه لا إلى المخرج ذاته[541].

ومن الأمثلة الأخرى في التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[542]كذلك التقديم هنا للجار والمجرور(عنه) على المفعول به (سيئاته) فهنا في

هذه الآية ايحاء الى ثقل السيئات وعظيم همَّها على الانسان الأمر الذي قدم فيه النسبة وهي نسبة السيئات إليه فكلما كانت النسبة ملتصقة بالشي كان دفعها ورفعها وإزالتها أكثر بلاغاً واعجازاً وتحقيقاً ، فيكون ذلك بالتقوى والمغفرة فيمحو عنه ذنوبه ويدفع عنه المحذور ويحصل له المطلوب [543]ومن خلال تقديم الجار والمجرور استفدنا معرفة نسبة الحدث وهو عظم السيئات الى محدثها وفاعلها أي الانسان فهو من يرتكبها وكان حقه التقديم هنا.

وايضا تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[544] فكان التقديم هنا سببه الاهتمام حيث أوجب الله تعالى النفقة والمعيشة على الاب

فإن طلّق الزوج زوجته وتعاسر كلاهما ولم يتفقا في ارضاع الطفل لم يك ن من واجب الزوجة رضاعته بل من واجب الزوج تدبير مرضعة له اخرى وكما قال ابن عاشور في التحرير والتنوير:(هذا الخبر مستعمل كناية أيضاً عن أمر الأب باستئجار ظئر للطفل بقرينة تعليق له)[545]، اي فللأب أن يسترضع لولده مرضعة أخرى لأن هذا الأمر في غاية الاهتمام فلا يترك الطفل بدون رضاعة.

فيتبين للبحث أنَّ التقديم والتأخير له فائدة كبيرة في تحليل النص وتفسيره ومعرفة الغرض الذي من أجله جرى التقديم في النص القرآني، كما وانّ هناك الكثير من الموضوعات النحوية

---

(٥٤١) ينظر : الشيرازي ، تفسير الأمثل : ٤١٤/١٨.
(٥٤٢) سورة الطلاق : الآية ٥.
(٥٤٣) ينظر : الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن :٤٥٦/٢٣
(٥٤٤) سورة الطلاق: الآية ٦
(٥٤٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير : ٣٥٣/٢.

في السورة كما في اسلوب التوكيد والاستثناء والشرط وغيرها التي تكون من واجبات المفسر للنص القرآني الإطلاع عليها حال تحليله للنص ومعرفة الغاية من مجيئها بهكذا صيغة لأن الله تعالى من دون شك أراد بكل لفظة وتركيب للجملة دلالة م عينة من ورائها أهداف مقصودة وفوائد يستفاد منها لبيان تشريع حكم ،أو موعظة للإنسان ، أو تهديد وتخويف إلى آخره من الأمور المستفادة من صياغات النص القرآني المتعددة .

المقصد الثاني : المعنى البلاغي

إنَّ كتاب الله تعالى الذي شغل العالم منذ نزوله إلى يومنا الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو مصباح الهدى ومنهل البيان الذي وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين،وهم الذين طالما خاضوا معارك البلاغة والبيان، وتباروا في فنون القول وأسراره حتى أسروا القلوب والأذهان بسحر بيانهم وتبيينهم، وهاهم يقفون أمام البيان الأعظم مأسورين عاجزين! وقد جاء أسلوب القرآن الكريم في الغاية العظمى من البلاغة والفصاحة، وخرج عن جميع وجوه النظم المتعارف عليها في كلام العرب فتوافر العلماء على البحث في أسراره واستخراج دره.

من هنا كانت دراسة علم التفسير بالاعتماد على علم البلاغة ينشط الحركة اللغوية في ذهن المفسر من خلال تنشيط صور المعاني وتحسسها في النفس كأنها جزء منها.

فنجد أبا هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) قد بيّنَ ذلك في مقدمة كتاب الصناعتين فقال: (أنّ أحقّ العلوم بالتعّلم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يع رف إعجاز كتاب الله تعالى)[546]، وأيضا قول الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات في اصول الشريعة: (لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجر ي في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار

([٥٤٦]) ابو هلال العسكري، الصناعتين :١/١.

في المعاني والألفاظ والأساليب)[547]، وغيرهم من العلماء الذين بينوا علاقة البلاغة وأهميتها بالتفسير التحليلي للنص القرآني.

فلو تتبعنا الآيات القرآنية في سورة الطلاق لوجدنا هناك كثير اً من المواضيع البلاغية في علم البيان كما في الكناية بعدة مواطن، وقد عرّفها السكاكي (ت:٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم بأنها : (ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك كما نقول فلان طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة)[548]، وقيل: (هي اللّفظ المستعمل فيما وضِع له في اصطلاح التخاطب للدّلالة به على معنىً آخر لازمٍ له، أو مصاحبٍ له، أو يُشار به عادةً إليه، لما بينهما من الملابسة بوجهٍ من الوجوه)[549]أو هو ما استتر معناه فيعبر عن شيء سواء باللفظ او المعنى بلفظ غير صريح وذلك لغرض معين كالإبهام على السامع او لنوع فصاح ة[550] ، ومن خلال التعريفات يتبين أنّ الكناية كل تعبير يستعمل في غير المعنى الاصلي الذي وضع له مع جواز ارادة المعنى الحقيقي ولكن ترك التصريح بالمعنى الحقيقي لعدم نصب قرينة له .

تقسم الكناية على ثلاثة أقسام [551]:

1 - الكناية عن الصفة كما يقال لشخص طويل النجاد فهي صفة لطول قامته

2 -الكناية عن الموصوف كما يقال جاء قابض يده هنا كناية عن موصوف وهو البخل.

3 -الكناية عن النسبة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا . . ﴾[552]كناية عن نسبة امتداده لها .

وتنقسم الكناية إلى الكناية القريبة وهي (التي قلّت لوازمها الذهنيّة، أو كانت فيها العلاقة أو الملابسة بيْنَ المكَنَّى بِه والمكَنَّى عَنْه أمراً لا تتدخل فيه وسائِطُ ذوات عَدد، وهذه الكناية تكون

([٥٤٧])الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة :١٣١/٢.

([٥٤٨]) السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٧٦/١.

([٥٤٩]) عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : ٥٦٣/١.

([٥٥٠]) ينظر : الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات : ص ١٥٣.

([٥٥١]) ينظر : التفتازاني ، مختصر المعاني: ٢٤٤/١، علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة : ١٤٤/١

([٥٥٢]) سورة فاطر : الآية ٤١.

في العادة وفي معظم الأمثلة واضحة ظاهرة، يَسْهُل على معظم الناس إدراكُ المقصود منها)[553]؛ وإلى الكناية البعيدة (هي الكناية الّتي كثرت لوازمها الذهنية، أو كانت فيها العلاقة أو الملابسة بَيْن المكنَّى به والمكنَّى عنه تتدخلُ فيه وسائط متعدّدة)[554].

فمن الأمثلة التطبيقية على الكناية كثير منها في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ.. ﴾[555]أستعمل الباري عزوجل العدة والمقصود بها هي الأطهار دون الحيض

لأنها حينئذ تستقبل عدتها و لو طلقت حائضا لم تكن مستقبلة اي طلقوهن في طهر لم يُجامعن فيه فقد كُني بالعدة عن الطهر وذلك لأن المطلقة تعتد بالأطهار [556] فالكناية مفادها بيان أبعد من لزوم العدة ألا وهو أن يكون اللزوم في الوقت الصحيح.

أما في قوله : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ .. ﴾[557]فاليأس هنا هو عدم الأمل

سواء كان اليأس منه بعد تعدده أو كان بعدم ظهوره، أي لم يكن انقطاعه لمرض أو إرضاع ، أي إنَّ اليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضا للكبر فلفظ يئسن كناية عن وصفها بأنها صارت عجوزا [558] والغاية من الكناية هو أنْ يُراد امرٌ ابعد من المعنى المذكور باليأس ألا هو الحكم المترتب عليها حال الطلاق.

ومن الموضوعات الواردة في السورة المباركة المجاز في آيات متعددة، والمجاز عند عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ): (بأنه كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع الواضع الى ما لم توضع له من غير ان تستأنف فيه وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليها وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها)[559] وقيل هو: (الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له

---

(٥٥٣) عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : ٥٦٨/١.
(٥٥٤) المصدر نفسه :٥٦٩/١.
(٥٥٥) سورة الطلاق : الآية ١.
(٥٥٦) ينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٢٨/١٠، الطبرسي ، مجمع البيان :٨٦/٢.
(٥٥٧) سورة الطلاق : الآية ٤.
(٥٥٨) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان :٣٦/١٠،
(٥٥٩)الجرجاني ، عبد القاهر، اسرار البلاغة : ص٣٢٥، ٣٢٦.

بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع)[560].

فيقع المجاز لأغراض بلاغية لثلاث معانٍ هي الاتساع والتوكيد والتشبيه [561].

ويقسم المجاز على قسمين [562]:

1 -المجاز اللفظي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة اي مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يكون الاستعمال لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي قد تكون لفظيّة، وقد تكون حاليّة، وكلّما أطلق المجاز، انصرف إلى هذا المجاز وهو المجاز اللغوي.

2 -المجاز العقلي : وهو يجري في الإسناد، بمعنى أن يكون الإسناد إلى غير من هو له، نحو: (شفى الطبيب المريض) فإن الشفاء من الله تعالى، فإسناده إلى الطبيب مجاز، ويتمّ ذلك بوجود علاقة مع قرينة مانعة من جريان الإسناد إلى من هو له ،اي تتوصل إليه بحكم العقل ، وضرورة الفطرة ، وسلامة الذائقة ، فيخلصنا من الالتباس وشبهات التعبير.

فيقسم المجاز اللغوي الى المجاز المرسل وهو اللفظ المستعمل بقرينة لعلاقة غير المشابهة وعلاقاته كثيرة كالسببية والمسببيةواللازمية والملزومية والكلية والجزئية والمحلية ؛ والى المجاز الاستعاري الذي يكون بعلاقة التشبيه ويقسم المجاز العقلي الى المجاز في الاسناد الذي هو إسناد الفعل ، أو ما في معنى الفعل إلى غير من هو له ، والى المجاز بالنسبة غير الاسنادية .

إنَّ من أمثلة المجاز التطبيقية في السورة قوله تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ . . ﴾[563]ففي لفظ (بلغن أجلهن) استعمل البلوغ لمقاربة ذلك الانتهاء لأنه يعني الوصول الى المراد، فهنا أطلق الكل على الجزء الاكبر من المدة أي انقضت من المدة جزء وهو الاكبر لكن لم تنقضِ كلها ؛ لأنه لو انقضت كلها لما جاز للزوج ارجاع

([٥٦٠]) السكاكي ، مفتاح العلوم : ص١٧٠.

([٥٦١]) ينظر : ابن جني ، الخصائص :٤٤٢/٢.

([٥٦٢]) ينظر : أبو عبيدة، مجاز القرآن : ١٢/٨، السيد جعفر باقر الحسيني ، أساليب البيان في القرآن ، ص٣٨٦-٤١٥

([٥٦٣]) سورة الطلاق: الآية ٢.

زوجته وهو مبالغة في عدم التسامح عند الوصول اليه والتلبس فيه فهنا مجاز في لفظ البلوغ وفي لفظ الأجل ايضا مجاز فشبه الأجل المعين بالمكان المسير إليه[564].

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً ﴾ [565]مجاز مرسل علاقته المحليّة في إطلاق المحل وإرادة الحال، فالمقصود بالقرية هو أهلها ولفظ القرية اعم من المدينة وهو مكان اجتماع الناس ، فالخطاب كان لأهل القرية ؛ فهم الذين عتوا وليست للقرية اي نسب الفعل لغير الفاعل الحقيقي [566].

أما موضوع الاستعارة فقد توافر ذكره في السورة، وهو أيضا من البيان في البلاغة والتي قال فيها القاضي علي عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢هـ)في كتابه الوساطة :(ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر)[567] ، أما عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) في كتابه قال : (فالاستعارة أن تريدَ تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فَتُعيرُه المشبه وتجريه عليه)[568]، و أركانه ثلاثة هي مستعار منه وهو المشبه به ، ومستعار له وهو المشبه، ومستعار وهو اللفظ المنقول وانوع الاستعارة هي [569]:

1 -الاستعارة التصريحية : وهي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به.

2 -الاستعارة المكنية : وهي التي يحذف منها المشبه به ويذكر المشبه أي لم يُصَرَّح فيها باللّفظ المستعار، فيذكر شي من صفاته او خصائصه او لوازمه القريبة منه فيكون كناية عنه.

فالاستعارة التصريحية لها عدة تقسيمات فنجد السكاكي (ت:٦٢٦هـ) قد فصَّل ذلك بوضوح في كتابه مفتاح العلوم بقوله : (والمصرح بها تنقسم على تحقيقية وتخييلية، والمراد

([٥٦٤]) ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٤٦/١٥.
([٥٦٥]) سورة الطلاق: الآية ٨.
([٥٦٦]) ينظر :الشيرازي ، تفسير الأمثل : ٤٢٩/١٨.
([٥٦٧])الجرجاني، علي عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٣/١.
([٥٦٨])الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الاعجاز :ص٦٧.
([٥٦٩])ينظر:عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : ٦٤٥/١.

بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً إما حسياً وإما عقلياً، والمراد بالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم، ثم تقسم كل واحدة منهما على قطعية وهي أن يكون المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي، أو على ما لا تحقق له البتة إلا في الوهم وعلى احتمالية وهي أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما له تحقق، وأخرى على ما لا تحقق له .... ثم إن الاستعارة، ربما قسمت على أصلية وتبعية، والمراد بالأصلية أن يكون معنى التشبيه داخلاً في المستعار دخولاً أوليا، والمراد بالتبعية أن لا يكون داخلاً دخولاً أولياً، وربما لحقها التجريد فسميت مجردة أو الترشيح فسميت مرشحة)[570].

ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾ [571]هنا في الآية المباركة

استعارةصريحة فالمشبه به موجود وهو المخرج وحذف المشبه مكان المتقين لله ، وشمل المَخْرَج ما يحف من اللطف بالمتقين في الآخرة أيضاً ويكون ذلك فضلاً من الله بأن يخلصهم من الحساب والانتظار وينجيهم من أهوال يوم القيامة فالمخرج لهم في الآخرة هو أن يسرع بهم الى النعيم الدائم وايضا في قوله تعالى : ﴿ . . لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . ﴾[572]شبَّه سبحانه وتعالى الكفر بالظلمات،ثم حذف المشبه، وأبقى المشبه به ، وشبه الإيمان بالنور، وحذف المشبه أيضا، وأبقى المشبّه به، (فإن قلت كيف يخرج الكفّار من النور مع أنهم لم يكونوا في نور فهذا فن عجيب من فنون البلاغة و هو نفي الشي ء بإيجابه و فحواه أن المتكلم يثبت شيئا في كلامه و ينفي ما هو من سببه مجازا، و المنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته) [573] وهذه الاستعارة نوعها تصريحية بحذف المشبه وبقاء المشبه به .

([٥٧٠]) السكاكي، مفتاح العلوم : ١٦٨/١.
([٥٧١]) سورة الطلاق: الآية ٢.
([٥٧٢]) سورة الطلاق : الآية ١١.
([٥٧٣]) صافى محمود بن عبد الرحيم، الجدول في اعراب القران : ٢٣/٣، ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٤٨/١٥.

أما الاستعارة المكنية فنجدها في قوله تعالى : ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. .﴾[574]فإن أحد أسباب خلاف الزوجين فيما بينهم وينتهي بالطلاق هو التقتير والفقر في الرزق ويكون عارضاً مهماً في ارجاع الزوجة بعد تطليقها بالنسبة للناس لكنّ الله تعالى عندما أنزل هذه الآية المباركة كانت باباً للمساعدة لهم والحرص بأن لا يتوهموا أنّ طرق الرزق معطلة فيمسكون عن المراجعة ، فمن الأ لطاف الإلهية أنه يهئ الرزق للإنسان بأسباب غير مرتقبة ومحددة بمكان، فقوله (من حيث لا يح تسب) أي من المكان الذي لا يظن أن يُرتزق منه، (من) هنا للابتداء المجازي أما (حيث) استعملت مجازاً فشبهت بالمكان الذي يحصل منه الوارد مقارنة للرزق[575]فعندما يأتي المفسر للنص ويحلله ويبين دلالته ، ولماذا استعمل الباري هذا الأسلوب يكون قد أستطاع أن يعطي إفادة للمجتمع في مسألة ارجاع المطلقة مثلا من باب التنبيه بأنّ الله لا يترك أحداً أتقاه وتاب وندم على فعلته فإنّه يهيء له المخرج والرزق بأي طريقة كانت .

وكذلك من الأمور البلاغية المتوافرة في السورة والتي للمفسر حال التحليل للنص القرآني الوقوف عليها والتأمل فيها وبيان دلالتها الإعجازية أنَّ أغلب فواصل السورة على نسق واحد والفاصلة في القرآن هي ما تنتهي به الآية القرآنية فقد عرَّفها الرماني (ت: ٣٨٤هـ) بأنَّها:(حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة) [576]وتابعه الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) في ذلك [577]،في حين حدّها الداني (ت ٤٤٤هـ) بأنها: كلمة آخر الجملة [578] فهي عنده كل كلمة ختمت بها جملة قرآنية سواء في ذلك أكانت رأس آية أم لم تكن رأس آية بينما نجد السيوطي (ت:٩١١هـ) حدَّ الفاصلة بأنّها الكلمة التي تقع في آخر الآية القرآنية[579] .

---

(٥٧٤) سورة الطلاق : الآية ٣.
(٥٧٥) ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير : ١٤٩/١٥.
(٥٧٦) الرماني ، النكت في اعجاز القرآن: ص ٩٧.
(٥٧٧) الباقلاني ، اعجاز القرآن : ص ٢٧٠.
(٥٧٨) ابو عمرو الداني ، المكتفى في الوقف والابتداء : ص٨.
(٥٧٩) ينظر: السيوطي، التحبير في علم التفسير :ص ٤٩٩.

ويرجح البحث رأي من يقول بأنَّ الفاصلة هي آخر كلمة في الآية وذلك لأنه ليس في كل الجمل يتم المعنى والغرض الذي نزلت به الآية بل قد تحتاج إلى ذكر كل الجمل الموجودة في الآية لكي يفهم المعنى لمراد الله تعالى منها وكذلك نعرف من خلال هذه الفاصلة أنَّ الآية قد انتهت وبدأت آية جديدة قد تحمل معنى آخر سواء أكان متمماً للمعنى السابق أم لا .

ففي سورة الطلاق جاءت فواصلَها على شكل كلمة تامة مثل(أمْراً ، قَدْرا ، يُسْرا، أجْرا، أخرى، نُكْرا، خُسْرا، ذِكْرا، رِزْقا، عِلْما) إلا الآية الثانية فكانت (مخرجا)، وهذه الكلمات بفواصلها المنونةبتنوين النصب لها الأثر الكبير في النفوس وجعل وصف الجنة في السورة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ [580] ينتهي بـ (رزقا)، واختصر بهذه الكلمة وصف الجنة ونعيمها، وكانت نغمتها مناسبة للسورة، فضلا على أنَّ دلالة الفاصلة تكون معنوية تحمل فكرة المعنى المناسب للطلاق وذكر نفقة الرجل على المطلقة وضرورة تقوى الله سبحانه في ذلك لأن في التقوى المخرج واليسر و الرزق الوفير الدائم الذي لا ينتهي ،أي إنها تأتي متناسبة مع المعنى تماماً بحيث لا يستطيع أنسان مهما بلغ من الفصاحة أن يحركها من مكانها ويأتي بغيرها وهذه ظاهرة بلاغية لابد من الالتفات إليها لما لها من الأهمية في بيان اعجاز القرآن الكريم[581]

فمن خلال بيان موجز لأهمية اللغة العربية وتأثيرها الواسع في فهم النص القرآني ، لذا اعتبرت آليةً يلجأ إليها المفسر في التفسير التحليلي للنص القرآني ، ومن هنا أصحبت اللغة بعلومها ومباحثها في اعداد المناهج المعول عليها في تفسير النص القرآني وتحديد مقاصده وبيان معانيه.

([٥٨٠]) سورة الطلاق: الآية ١١.

([٥٨١]) ينظر : كمال الدين عبد الغني المرسي الدكتور ، فواصل الآيات القرآنية : ص٦٠ ، زينب بيرة جكلي الدكتورة ، بحث نشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان الاعجاز بالانسجام الصوتي في القرآن الكريم (رابطة ادباء الشام) *http://www.odabasham.net*.

المبحث الثاني

آليات التفسير التحليلي الأصولية في سورة الطلاق

توطئة:

لقد أجهد المفسرون أنفسهم في محاولة توظيف قواعد أصولالفقه أثناء تحليلهم للنص القرآني الأمر الذي نرى فيه سعة لعملهم من خلال التوقف توظيف منطلقات الأصوليين لتفسير النص القرآني فقهياً ، وذلك على اعتبار أنّ منهجية الأصوليين في توظيف النص القرآني منهجية متداولة وأساسية في عملية استنباط الحكم الشرعي وكل ما يترتب إثْرَه وما يؤوي إليه أيضاً من طراز التخصيص والتعميم والتقييد والاطلاق .....الخ من الأمور التي يترتب عليها الاستنباط للحكم الشرعي.

ومن هنا نراهم في تفسير القرآن يستدلّون بالآيات القرآنية، على المنهج المتداول بينهم في اجتهاداتهم واستنباط فتاواهم، فيُخصّصون عمومات القرآن بمخصّصاته، ويقيدون مطلقاته بمقيّداته، ويجعلون الآيات المحكمة المبيّنة قرينة على بيان المقصود من مجملاتها[582] .

ومن دون شك أن علماء الأصول يوظفون الألفاظ ودلالاتها في استخراج القواعد والاحكام الشرعية ، فعند تفسير سورة الطلاق تحليلياً نجدها تتضمن مباحث الألفاظ التي أستفاد منها المفسرون في بيان دلالة اللفظة القرآنية والمراد منها من أجل الكشف عن ما أراده الباري عزوجل، وعليه سينتظم المبحث على المطالب الآتية .

ومن هنا سوف نبدأ بدراسة علاقة الأصول بالتفسير التحليليفي سورة الطلاق وهو على النحو الآتي :

المطلب الأول: صيغة الامر والنهي

المقصد الأول : دلالة الأمر على الوجوب

([582]) ينظر : المازندراني ، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية : ١٦٥/١

إنَّ صيغة الأمر من المباحث المهمة التي أولاها الأصوليون اهتماما بالغاً، وذلك لارتباطها بمعرفة التكاليف الشرعية المستفادة من الكتاب والسنة .

أولاً : تعريف الأمر

عَرَّف أبو بكر الباقلاني(ت:٤٠٢هـ) الأمر هو (القول المقتضى طاعة المأمور بفعل المأموربه)[583] ، وقال الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)هو: (عبارة عن قول القائل لمن هو دونه افعل والفعل لا يسمى امرا الا على وجه المجاز والاستعارة وهو مذهب أكثر المتكلمين والفقهاء)[584]، ووافقه العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) بأنه لفظ يدل على طلب الفعل من جهة الاستعلاء [585]وما يتعلق بتوظيفه في الاستعمال فإن الشيخ الطوسي قد أورد أنه لا يسمى أمراً إلّا على وجه المجاز [586] وتابعه كثير فقيل هو (حقيقة في القول المخصوص ومجاز في غيره"[587] وايضا هو "حقيقة في القول المخصوص، أي اللفظ الدال على طلب الفعل من الغير، لأن الأمر من الخاص الذي هو لفظ مقابل للعام والمشترك)[588].

أما مادة الأمر فهي تدل بالوضع على الطلب التشريعي من العالي سواء كان مستعليا – أي متظاهراً بعلوه – أم لا ، فهي لا تنحصر على لغة الطلب فقط بل ذُكِرَت لها معانٍ أخرى كالشيء والحادثة والغرض فهي إذن مشترك لفظي بين الطلب وغيره[589].

ثانيا: دلالة صيغة الأمر (افعل) ونحوها :

وهي هيئة يضعها الواضع؛ لتكون دالة على معنى خاص والفائدة هو ايجاد النسبة الطلبية بين الطالب والمطلوب منه والمطلوب وان اختلفت مادتها او لتكون لغرض البعث

---

(٥٨٣)الباقلاني ، التقريب والارشاد :٥/٢.
(٥٨٤)الطوسي ، العدة في أصول الفقه : ٦٢/٢
(٥٨٥) ينظر : العلامة الحلي ، مبادئ الوصول الى علم الاصول : ص٩٠
(٥٨٦) ينظر : الطوسي ، العدة في أصول الفقه : ٦٢/٢.
(٥٨٧)الجزائري ، منتهى الدراية : ١/ ٣٦٤ .
(٥٨٨) محمد مصطفى شبلي ، اصول الفقه الإسلامي :٣٨٩/١.
(٥٨٩) ينظر : ابن الطيب ، المعتمد في أصول الفقه :٣٩/١ ، العلامة الحلي ،نهاية الوصول الى علم الأصول: ٣٥٩/١، الطهراني ،الذريعة الى تصانيف الشيعة :٤٠/١.

والتحريك والارسال نحو المطلوب فدلالة (افعل) فإنها تدل على النسبة الطلبية مع اختلاف مادتها[590] .

تطرّق البحث الأصولي إلى دلالة صيغة الأمر، وقد نُقلت معانٍ عديدة في دلالة الصيغة منها الطلب والتعجيز والتهديد وغير ذلك ، ثم أتّسع البحث في هذه الدلالة هل إنَّها على نحو الاشتراك اللفظي أي إنَّ صيغة الأمر قد وضعت لكل معنى من هذه المعاني على حدة، أو أنها على نحو الاشتراك المعنوي أي إنها قد وضعت لمعنى واحد يجمع كل هذه المعاني؟ [591] .

والذي يذهب إليه المحقق النائيني أن لا دلالة للصيغة على أي معنى من هذه المعاني إنما تدل الهيئة على نسبة المادة إلى الفاعل في زمن من الأزمنة الثلاث. إلّا أنَّ الداعي لإنشاء الطلب قد يكون لغرض التهديد أو التعجيز أو الترجي وغيرها [592]

ثالثاً: نماذج تطبيقية لهذه الصيغة

- فقد وردت هذه الصيغة في سورة الطلاق باستعمالات عديدة لمجموعة من النصوص كما في قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ . . ﴾ [593]نجد أن الآية المباركة اشتملت على عملية ربط وتعليق بين قضيتين القضية الأولى (إنْ أرضعن لكم) والمراد

([٥٩٠]) ينظر : المظفر ،اصول الفقه :٦١/١، الدكتور بلاسم عزيز شبيب ،الجهد الأصولي عند العلامة الحلي :ص٥٧.
([٥٩١]) ينظر : الكاظمي ، فوائد الأصول (تقريرات بحث النائيني) : ١-١٢٩/٢.
([٥٩٢]) ينظر : المصدر نفسه : ١-٢/ ١٣٠ .
([٥٩٣]) سورة الطلاق: الآية ٦

الإرضاع بعد انقضاء العدة ويستفاد ذلك من إطلاق المرأة اي لم يحدد من تكون هل الأم أو غيرها اي هذا الإطلاق للمرأة سواء كانت الأم نفسها أو أية مرضعة أخرى للطفل ، فإنْ أرضعت هذه المرأة هنا يأتي الربط مع القضية الأخرى (فآتوهن أجورهنّ) فالتعبير هنا كان بصيغة الأمر الصادرة من العالي إلى الداني فأمر النص بوجوب إيتاء الاجر لهنّ[594]

وبعملية التعليق بين الأمرين يكون مفاد الآية كالآتي:

إنْ أرضعت لكم المرأة (الأم أو غيرها) فعليكم إعطائها الأجر على الإرضاع وهذا الأجر يقدر بالمثل أي بما تطلبه المرضعة الأجنبية فيعطى للأم في حال قبولها إرضاع ولدها أما في حال عدم القبول يُعطى للمرضعة [595]، ومن خلال ذلك يتبين لنا أنّ جواز استئجار المرأة للإرضاع أمر مفروغ منه ومن صحته ولذلك نجد بعض الفقهاء أفتوا بذلك حيث قسّموا عملية الإرضاع على نحويين[596]:

الأول : أن تؤجر المرأة نفسها للإرضاع وهو عمل محترم ومرغوب عند العقلاء ويكون في قباله اتخاذ الأجرة .

الثاني : تؤجر نفسها في الإنتفاع بلبنها بغير الارتضاع بأن يحلب اللبن فيشربه الطفل .

كما أنَّ المفسرين ومنهم الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في كتابه التبيان أستفادوا من صيغة الأمر هنا ليس فقط وجوب دفع الأجرة للمرضعة بل تحديد المدة التي يكون دفع الأجرة فيها واجباً[597]ووافقهالسيد الراوندي(ت: ٥٧٣هـ) في كتابه فقه القرآن حيث قال :(إنّ مدة الحولين التي تستحق المرضعة الأجر فيها ولا تستحق فيما زاد عليه وهو الذي بينه الله تعالى

([٥٩٤]) ينظر : الزمخشري، الكشّاف : ٨٤/٧، عبد الأمير كاظم زاهدالدكتور ، الجامع المفصل لآيات الأحكام في القرآن الكريم : ٣٧٣/٤.

([٥٩٥]) ينظر : الطوسي ، التبيان في علوم القرآن : ٣٥/١٠ ، الطبرسي ، تفسير مجمع البيان : ٣٩/١٠، السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان : ١٩/ ٣٢١/١٩.

([٥٩٦]) ينظر : البروجردي ، المستند في شرح العروة الوثقى (تقريرات السيد الخوئي) : ص ٣٥٧/٣٠-٣٥٨.

([٥٩٧]) ينظر : الطوسي ، التبيان في علوم القرآن: ٢٤٥/٢

بقوله: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ . . ﴾ فتثبت المدة التي يستحق فيها الأجرة على ما أوجبه الله تعالى في هذه الآية)[598].

- **أمّا في قوله تعالى** : ﴿ . . وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ . . ﴾ [599] فقد ورد في تفسير الآية المباركة لزوم إحصاء العدة أي عدّ القروء التي تعتد بها المرأة في أثناء الطلاق على اختلاف حالات المطلقة وأقسام الطلاق فاستفاد الفقهاء من تفسير الآية بلزوم احصاء العدة – الوجوب- اي يجب أنْ تحصىإذ يترتب حقوق للزوجة من نفقة وسكن وإرث في حال وفاة الزوج وعلى الزوج بالرجوع إذا شاء لذلك نجد الدقة في قوله تعالى حيث قال (واحصوا) إذ ورد بواو الجماعة لتغليب المذكر على المؤنث فالأمر يتعلق بهما كليهما معاً [600] ، لكن هناك من المفسرين كالبغويقال بوجوب إحصاء العدة وذلك؛(لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثًا. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة)[601].

ويذكر الفقهاء في هذا المورد أنَّ طلاق العدَّة ينبغي أنْ يقع في طهر لم يواقعها فيه مع وجود شهود عدول على ذلك وتبقى في بيت الزوجية حتى انتهاء العدة وخلال هذه الفترة يجوز له ارجاعها متى شاء لذا أوجب الله الاحصاء للعدة لكي يطمئن كلاهما أن المواقعة بينهما حصلت ضمن المدة المتاحة لهم ولم تخرج فيقعا في المحرم، فإن لم يراجعها وانتهت مدة العدة بانت منه بينونة صغرى أو كبرى بحسب الحالة [602] .

ويظهر للبحث أنّ عملية الإحصاء الواجبة في هذه الآية يترتب عليها كثير من الآثار الشرعية المتعلقة بالإنفاق والمصاهرة والأنساب وغيرها وعليه جاءت بنحو صيغة فعل الأمر فضلاً عن استفادة التجديد في الفعل بمعنى أنّ الإحصاء واجب كلما تكرر الطلاق لأيام العدة ولعددها أيضا .

([598])الراوندي ، فقه القرآن :١١٣/٢.
([599]) سورة الطلاق: الآية ١
([600]) ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القران : ٣٢٧/٢٨، الشيرازي ، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل : ٤١٩/١٨ ،عادل عباس النصراوي الدكتور ، التوجيه الدلالي لآيات الاحكام : ص ٢٣٩.
([601]) البغوي ، معالم التنزيل : ١٤٥/٨.
([602]) ينظر : الشهيد الثاني ، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الاسلام : ١٢٦/٩.

- **كذلك قوله تعالى :** ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ . . ﴾[603]

تتعرض الآية الكريمة إلى مسألة مهمة تضمن حقوق الزوجة المطلقة بالتخصيص وفي هذه الآية حكم شرعي لموضوع النفقة للمطلّقة كالسكنى مثلاً ولكن يحصل تساؤل هل الإسكان الوارد في الآية الكريمة يشمل عموم المطلّقة حاملاً أو حائلاً ، رجعيةً أو بائنةً؟.

اختلف الفقهاء في هذا المورد فيرى بعضهم أنَّ الإسكان واجب على الزوج لمطلقته بجميع الحالات والى هذا يذهب البغوي(ت:٥١٦هـ) في كتابه معالم التنزيل بقوله:(أعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة. ونعني بالسكنى: مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكًا للزوج يجب على الزوج أن يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة، وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها دارًا تسكنها)[604].

بينما يرى قسم آخر من الفقهاء بالتفصيل بعضهم قال بأنَّه لا سكنى لها إلّا أن تكون حاملا كما روي عن ابن عباس أنَّه قال: (لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا)[605] اي انه اشترط الحمل فقط والبعض الآخر قال لا إذا كانت غير حامل فلا تجب النفقة إلا للرجعية فقط وإن كانت حاملاً فتجب لها لحين وضع الحمل[606]ولعل الفقهاء استفادوا من الروايات التي تتحدث عن هذا الموضوع كما في رواية محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن سعد بن ابى خلفقال : (سألت ابا الحسن موسى عليه السلام عن شئ من الطلاق ، فقال : اذا طلق الرجل امراتهطلاقا لا يملك فيه الرجعة فقد بانت منه ساعة طلقها وملكت نفسها ولا سبيل عليها ، وتعتد حيث شاءت ولا نفقة لها ، قال : قلت : أليسَ الله عزوجل يقول : ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ﴾ ؟ قال : فقال : انما عنى بذلك التى تطلق تطليقة بعد تطليقة فتلك التى لا تخرج ولا تخرج حتى تطلق الثالثة ، فاذا طلقت الثالثة فقد بانت منه ولا نفقة لها) [607].

([٦٠٣]) سورة الطلاق: الآية ٦
([٦٠٤])البغوي، معالم التنزيل : ٨/ ١٥٤
([٦٠٥]) المصدر نفسة: ١٣٥/٨.
([٦٠٦]) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القران :٣٣/١٠، الشهيد الثاني ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٧٩/٦
([٦٠٧]) العاملي، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة ١٥:٢٣١، الباب ٨ من ابواب النفقات : الحديث ١

إذإنَّ هذا القول (وجوب النفقة على المطلقة) مستمر إلى وقتنا الحالي فقد ذكره الشيخ باقر الإيرواني في كتابه دروس تمهيديه في تفسير آيات الأحكام وغيره [608]فنجد أنه تعالى عبّر عن حيثية القدرة بالوجد ، يقال : وَجْد بتثليث الواو والمراد واحد، وهو القدرة والتمكن والسعة للمطلق فلا بدَّ أن يلائم حالته المعيشية [609] .

فيتبين للبحث وجوب الإنفاق من قبل المطلّق على مطلقته الرجعية والبائن في حالة حملها منه وهذا ما سنُبيّنه في تطبيق موضوع الشرط إن شاء الله تعالى .

- **قوله تعالى:** ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ . . ﴾[610]ففي هذه الآية دلالة

(اشهدوا واقيموا) تتعين بالامتثال لله تعالى بموضع الوجوب ذهب علماء الامامية إلى وجوب الإشهاد في الطلاق [611]مستفيدين من الروايةِ الواردة عن طريق زرارة (عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : كلّ طلاق لا يكون على السنة أو طلاق العدة فليس بشيء، قال زرارة : قلت لأبي جعفر عليه السلام : فسّر لي طلاق السنة وطلاق العدة، فقال : أما طلاق السنة ..... إلى أن قال : ويشهد شاهدين على ذلك ...)[612].

وقد وقع البحث فيما بينهم في أنّ الإشهاد أ هو للطلاق أم للرجعة ؟

فينقل مغنية هذا الاختلاف في كتابه (الفقه على المذاهب الخمسة) ويرجح أنَّ الإشهاد للطلاق فيقول :(إنّ الطلاق لا يقع من غير إشهاد عدلين لقوله تعالى في أحكام الطلاق وإنشائه في سورة الطلاق : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾ ، فهذا الأمر بالشهادة جاء بعد ذكر إنشاء الطلاق وجواز الرجعة، فكان المناسب أن يكون راجعاً إليه، وأنّ تعليل الإشهاد

([٦٠٨]) ينظر : الايرواني ، دروس تمهيدية في تفسير آيات الاحكام : ٣٦٥/١-٣٦٦ ، عبد الأمير كاظم زاهدالدكتور ، الجامع المفصل لآيات الأحكام في القرآن الكريم : ٣٧١/٤ .

([٦٠٩]) ينظر : الطريحي ، مجمع البحرين: ١٥٥/٣.

([٦١٠]) سورة الطلاق: الآية ٢

([٦١١]) ينظر : الشهيد الثاني، مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام : ١١٣/٩.

([٦١٢])العاملي ،محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ج ١٥ ، باب ١ من أبواب أقسام الطلاق: الحديث ١.

بأنه يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يرشّح ذلك ويقوّيه، لأنّ حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يزجونها إلى الزوجين فيكون لهما مخرج من الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله سبحانه وتعالى، وإنه لو كان لنا أن نختار للمعمول به في مصر لاخترنا هذا الرأي فيشترط لوقوع الطلاق حضور شاهدين عدلين)[٦١٣].

وسواء كان الإشهاد للطلاق أم للرجعة ففي كلتا الحالتينأفاد العلماء توظيف صيغة الأمر (وأشهدوا) لأستخراج حكم وجوب الشهادة .

ثم تحول الخطاب لهؤلاء الشهود (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) فأمرهم الله تعالى بأن تكون شهادتهم لله تعالى فأقيموها لطلب رضا الله كونها اتباعاً للحق ولأجل إظهاره وإحيائه لا لأجل إرضاء المشهود له والإشفاق من المشهود عليه [614] اي يجب أن تكون شهادتكم لله لا لغيره .

أما في مفهوم دلالة الأمر هنا لهذه الآية (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) فقد أمر الله تعالى الوالدين إلزاماً بضرورة التشاور في أمر أولادهم حال الانفصال بينهما لأن من أكثر الاشخاص ضررا في الطلاق هو الأولاد فقد أوضح القرآن الكريم هذا الحكم عليهم بشكل قاطع ولائق حيث قال (وأتمروا بالمعروف) أي تشاوروا بينكم في مصير الأولاد ومستقبلهم ، بينما نجد هناك من فسّرها بقول وليأتمر بعضكم بعضاً بجميل الرضاعة أو في الأجر بلا افراط ولا تفريط أما في حالة العسر عن الرضاعة فتُرضعه أخرى [615]

المقصد الثاني : دلالة النهي على الحرمة

أولاً : النهي في الاصطلاح

عرَّف السيد المرتضى النهي بأنه: (هو قول القائل لغيره (لا تفعل) على جهة الأستعلاء اذا كره ذلك الفعل)[616]ووافقه من المتقدمين في ذلك القول الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) و من المتأخرين الخراساني (ت:١٣٢٩هـ) [617] ،أماالمقداد السيوري(ت:٨٢٦هـ) فقال هو :(والنهي

([٦١٣])مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة : ٤١٥/٢.
([٦١٤]) ينظر : الطوسي، التبيان في تفسير القران : ٣٥/١٠، ابن كثير ، تفسير القران العظيم : ١٤٥/٨ ، الطباطبائي ، تفسير الميزان:٦٢/٥
([٦١٥]) ينظر : الكاشاني، التفسير الصافي : ١٨٩/٦، أبو بكر الجزائري ، أيسر التفاسير : ٢٧٧/٤.
([٦١٦]) الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى :٣٨٧/٢
([٦١٧]) ينظر : الطوسي ، عدة الأصول : ٩٦/٢ ، الخراساني ، كفاية الأصول :١٨٢.

طلبه كفاً من غيره)[618]ووافقه في ذلك التعريف الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ) بقوله(القول الإنشائي الدال على طلب كفٌّ عن فعل على جهة الاستعلاء، فخرج الأمر؛ لأنه طلب فعل غير كفٌّ، وخرج الالتماس والدعاء؛ لأنه لا استعلاء فيهما)[619]، بينما نجد أنَّ المتأخرين قالوا بأنَّ النهي قد وضع للدلالة على الزجر ولازمه طلب الترك كما قال الشيخ المظفر (ت: ١٣٨٣هـ) في أصول الفقه : (زجر العالي للداني عن الفعل وردعه عنه، ولازم ذلك طلب الترك)[620]، فالمتقدمون والمتأخرون كلاهما متفقان على أنَّ الأمر هو الطلب بالفعل والنهي هو الطلب بترك الفعل، [621].

والراجح للبحث أنَّ النهي هو الكف والزجر عن إتيان الفعل ويلزم من هذا طلب الترك وليس دلالة النهي بالمعنى المطابقي هو طلب الترك وإنما اللازم منه .

ثانيا: دلالة صيغة النهي

إنَّ لصيغة النهي عدَّة معانٍ كالتحريم والدعاء والتهديد والالتماس والتيئيس والإرشاد وغيرها، بينما الهيئة في النواهي وضعت للزجر .

يرى بعض العلماء أنَّ صيغة النهي دالة على طلب الترك واقتضائه فقط كما هو عليه الآمدي(ت:٦٣١هـ) في الأحكام [622] بينما يرى البعض الآخرالعلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) في كتابه نهاية الوصول أنَّ النهي حقيقة في التحريمواستدل بقوله تعالى : (..وما نهاكم فانتهوا..)[623] فيستفاد من الفعل (فانتهوا) وجوب الانتهاء عن الفعل ووجوب تركه لأن فيه مفسدة وكل ما فيه مفسدة ومضرة فهو محرم فالنهي حقيقة في التحريم [624].

([٦١٨])السيوري ، كنز العرفان :٥٧٧/١

([٦١٩])الشوكاني ، الفتح الرباني من فتاوى الامام الشوكاني ، مج ١ / ٢٣٧٩

([٦٢٠])المظفر، اصول الفقه : ١٤٨/١.

([٦٢١]) ينظر : الحائري ، مباحث الأصول (تقريراً لأبحاث السيد محمد باقر الصدر) : ٣/ ٣٣٩

([٦٢٢]) ينظر : الآمدي ، الاحكام في اصول الاحكام :٢٧٥/٢.

([٦٢٣]) سورة الحشر : الآية ٧ .

([٦٢٤]) ينظر: العلامة الحلي ، نهاية الوصول الى علم الاصول :٦٩/٢.

ويضيف القرطبي(ت: ٦٧١هـ) أنَّ دلالته على التحريم حقيقة مرتبطة بكون النهي مجرد عن القرينةالصارفة إلى الجواز كما في قوله تعالى :﴿ولا تنكحوا المشركات . . ﴾[625]فهنا

يدل على تحريم زواج المسلم من المشركة وبطلان العقد وضعاً لان الاية خالية من القرائن فدلت على الحرمة بالحقيقة ، وتارة أخرى مقتضى الآية يدل على التحريم لكن بوجود القرينة ينصرف الى الكراهة [626] كما هو في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [627] فدلت الآية على حرمة أكل مال الغير بغير حق أما إذا وجدت قرينة

تصرف النهي الى غير الحرمة فهذا للقرينة كما هو في البيع في قوله تعالى مثلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ [628] فالنهي هنا لم يرد عن

البيع لحقيقته وذاته بل للخوف من الانشغال عن أداء واجبات يوم الجمعة أي أنّ الامر لا يشمل الكل الا من وجبت عليه الجمعة فهنا الدلالة صُرِفَت من الحرمة الى الكراهة بالقرينة[629].

ومن هنا يرى البحث أنَّ الإلزام بالترك المستفاد من صيغة (لاتفعل) هو إلزام عقلي وليس وضعياً لفظياً حيث أنَّ العقل يحكم بهذا الإلزام كلَّما كانت رتبة الناهي رتبة عُليا ورتبة المولى تعالى هي أعلى من كل المراتب فيوجب العقل الإلزام بترك ما ينهى عنه .

- مما تقدَّم يمكن تطبيق القاعدة على الآية بأنها اشتملت على نهي المطلّق عن إخراج مطلقته من البيت كما في قوله تعالى :﴿ . .لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ . . ﴾[630]ففي الآية

([٦٢٥]) سورة البقرة :الآية : ٢٢١.
([٦٢٦]) ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القران : ١٠٨/٨.
([٦٢٧]) سورة النساء: الآية :٢٨.
([٦٢٨]) سورة الجمعة : الآية ٨.
([٦٢٩]) ينظر : عبد الأمير كاظم زاهدالدكتور ، قضايا لغوية قرآنية : ص ٨٠-٨١.
([٦٣٠]) سورة الطلاق : الآية ١

المباركة نهي الله عزوجل عن عدم إخراج الزوجة من بيتها من قبل الزوج بل وأمرها هي بعدم الخروج حتى وإن أتفقت مع الزوج وذلك لمعانٍ يعلمها هو سبحانه لعلها تنتهي بأهداف تساعد على اصلاح علاقتهما فقد حدد الله تعالى في قوله (بيوتهن) فنسب البيت لهن وهذا فيه دلالة على أنها الزوجة الرجعية لأنه من حقوقها المتفق عليها هو السكن والنفقة فهنا السياق يبين حرمة موجبة على كليهما في (لا تخرجوهنّ ولا يخرجن) وقد بيّن الفقهاء اشتراط إذن الزوج في الطلاق الرجعي في الخروج للحج المندوب والواجب الموسع مادامت في العدة عكس البائنة لا تحتاج للإذن لانقطاع عصمتها منه (وأما في الحج المندوب فيشترط إذنه، وكذا في الواجب الموسع قبل تضيقه على الأقوى، بل في حجة الإسلام يجوز له منعها من الخروج مع أول الرفقة الأخرى قبل تضيق الوقت ، والمطلقة الرجعية كالزوجة في اشتراط إذن الزوج مادامت في العدة بخلاف البائنة لانقطاع عصمتها منه)[631] فاستعمال النهي بعدم الخروج أفادنا بحرمة ذلك العمل وذلك لأن الله تعالى عندما قال واحصو ا العدة واتقو ا الله استعمل الواو العاطفة لكن عندما بدأ بالنهي لم يربط الكلام بالواو كأنه ابتدأ كلاماً جديداً لبيان أهمية ما سيأتي بعده فوجب بقاءها حتى وإن استثقلت البقاء في بيت الزوج لعدم استمرار سيادتها فيه ولربما الحكمة من ذلك من البقاء في البيت لعله يحصل التلائم بين الزوجين فيرجع لها لكن مع هذا هناك الكثير من الجهلة لا يلتزمون بهذا الحكم حال طلاقهم للزوجة فنجدهم مجرد إجراء صيغة الطلاق يخرج زوجته او هي تخرج بالرغم من الحكمة البالغة التي أرادها الله بعدم الخروج وذلك من باب احترام المرأة وتهيئة أرضية للانصراف والإعراض عن الطلاق فتقوى الأواصر الزوجية وعليه فكثرة حالات الطلاق الدائم هو بسبب عدم الالتزام بهذا الحكم الإسلامي الذي نصه القرآن الكريم عليه[632] .

- وأيضا نجد صيغة النهي في قوله تعالى: ﴿. . .وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ. . ﴾فقد حذّر الله تعالى الزوج أن يخضع لكلام البعض الذي يحاول أن يزرع بينهم البغض والعداوة والنفور

([631])الخلخالي ، المعتمد في شرح العروة الوثقى – تقرير لأبحاث السيد الخوئي: ٢٢٣/٢٦-٢٢٤

([632]) ينظر : القمي ، تفسير القمي : ٢/٧٤ ،ابن عاشور ، التحرير والتنوير: ١٣٩/١٥ ، الشيرازي ، الأمثل : ٤٠٢/١٨.

مما يؤدي إلى إخراجه عن جادة الحق فيحرم زوجته حقوقها الواجبة فتضطر الى الهرب منه والخروج بسبب الضيق والحاجة لذا نهى الله تعالى ذلك الأمر لحرمته[633].

المطلب الثاني : صيغة المطلق والمقيد

المقصد الأول : تعريف المطلق

عرَّفَ الآمدي (ت: ٦٣١هـ) المطلق بأنَّه:(هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه)[634]أما صاحب المعالم (ت:٩٦٥هـ) يذكره بأنه:(مادلَّ على شايع في جنسه، بمعنى كونه حصة محتملة لحصص كثيرة مما يندرج تحت أمر مشترك)[635]وهناك تعريفات استبدلت معنى الشياع في الجنس بلفظ المعنى الكلي كما عند السبحاني والحيدري [636] أي ما يدل على المعنى الكلي فهو قابل للصدق على أفراده وحصصه [637] في حين عرفه السبكي (٧١١هـ) هو : (المطلق الدال على الماهية بلا قيد من وحدة أو غيرها ، كلفظ : شاهد ، جريمة ، وحيوان *)[638] بينما عرفه الشهيد محمد باقر الصدر(ت: ١٤٠٠هـ) في كتابه دروس في علم الأصول هو: (الاستيعاب والشمول غير المدلول عليه باللفظ)[639]بل يستفاد من مقدمات الحكمة والتي تعني أنَّ عدم ذكر القيد مع كون المتكلم في مقام بيان مراده بخطابه [640].

وهنا يرى البحث أنّ اطلاق لفظ مفرد مثل شاهد انما يدل بحسب الوضع على المفرد ودلالته على العموم والشياع إنما جاءت بقرينة عقلية وذلك لأن المتكلم لمّا لم يقيّد اللفظ المفرد بقيد امكن استفادت سمة الشمولية البدلية ، وأما إذا قيّده بقيدٍ فإنَّ دائرة الشمول ستضيق بحسب القيد المذكور.

المقصد الثاني : تعريف المقيَّد

---

(٦٣٣) ينظر : الشيرازي ، الأمثل :٤٢٣/١٨.
(٦٣٤) الآمدي، الأحكام في أصول الاحكام: ٣/٣
(٦٣٥) ابو منصور ، معالم الدين وملاذ المجتهدين : ص٣٨٦
(٦٣٦) ينظر : السبحاني ، الموجز في أصول الفقه :ص ٢١٤، الحيدري ، اصول الاستنباط في أصول الفقه: ص ١٤٣.
(٦٣٧) ينظر : محمد صنقور علي، المعجم الأصولي :ص٢٢٢
(٦٣٨) السبكي ، جمع الجوامع وشرحه :٦٦/٢ .
(٦٣٩) محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول : ٩٤/٢
(٦٤٠) ينظر : المصدر نفسه : ٢١٠/١.

عرَّفَ السمرقندي(ت: ٥٥٣هـ) المقيد في ميزان الأصول هو: (ما يتعرض للذات الموصفة بصفة) [641]، أما الآمدي (ت:٦٣١هـ) في الأحكام فقد نظر له باعتبارين [642]:

الأول : هو من الألفاظ التي تدل على مدلولات معينة .

الثاني : هو من الألفاظ التي تدل على وصف المدلول بصفة زائدة

بينما عرفه الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) في ارشاد الفحول هو (هو ما دلَّ على شائع في جنسه)[643] على عكس ما قاله ابو منصور (ت:١٠١١هـ) في معالم الدين (ما يدل لا على شايع في جنسه، وقد يطلق المقيد على معنى آخر، وهو ما أخرج عن شياع، مثل رقبة مؤمنة، فإنها وإن كانت شايعة بين الرقبات المؤمنات، لكنها اخرجت من الشياع بوجه ما)[644]، أما المتأخرون فقد نفوا دلالته على الشيوع[645].

وعليه فإن الطبيعة الواقعة موضوعة للحكم ان كانت تمام الموضوع له بحيث كان الملحوظ في مقام الموضوعية هو نفس حيثية الطبيعة من دون أن تؤخذ معها حيثية أخرى سميت مطلقة ؛وإن لم تكن كذلك بل ان ضم اليها أمر آخر ، وكان كلّ منهما دخيلاً في الموضوعية سميت مقيّدة[646].

- ومن الأمثلة القرآنية لهذا المطلب في سورة الطلاق قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[647] فإن الله تبارك وتعالى أطلق اللفظ (النساء) فشملت أنواع متعددة ممن كنّ حوامل أو مطلقات أو دخل بهن ولم يحملنْ وهو ظاهر في الأمر وذلك لغرض توسيع الدلالة فيقيدها فيما بعد بأمور تحدد من خلالها زمن العدة كما في قوله " واللائي يئسن من

([٦٤١]) السمرقندي ، ميزان الأصول : ٥٦٣/١.
([٦٤٢]) ينظر: الآمدي، الاحكام في اصول الاحكام:٣/٣ .
([٦٤٣])الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: ٦/٢.
([٦٤٤]) ابو منصور، معالم الدين وملاذ المجتهدين:ص٣٨٦.
([٦٤٥]) ينظر : الحيدري ، اصول الاستنباط :ص١٤٣.
([٦٤٦])لجنة تأليف القواعد الفقهية والأصولية التابعة لمجمع فقه أهل البيت(ع)، قواعد أصول الفقه عند مذهب الامامية ،: ص ٢٥٨-٢٥٩.
([٦٤٧]) سورة الطلاق : الآية ١

المحيض.." فعدتها تختلف عن قوله " وأولات الأحمال .." وهكذا ويقيدها بالإضافة للوقت بعدد الطلقات فهي نص في بيان المراعاة لوقت السنة عند إطلاق الطلاق [648].

- وكذلك قوله تعالى: ﴿ . .فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ . . ﴾[649]فلفظ (طلقوهنّ) مطلققُيِّد في

(عدتهنّ) أي في العدة واللام في (عدتهنّ) دلت على الوقت فهي بمعنى (عند) فيكون المعنى طلقوهن لوقت عدتهنّ وأيضا لفظ العدة هنا جاء مجملاً يحتمل معانٍ مشتركة تُفَصَل في نوع العدة للحامل والمطلقة وغيرها[650].

المطلب الثالث : العام والخاص

إنّ علم العام والخاص هما من العلوم التي لقيت من العلماء اهتماماً، ومن الفقهاء والاصوليين تأصيلاً، وتدويناً حتى بات يدخل بعلم الأصول، فضمنوه كتبهم، و أصبح مبحثا من مباحث أصول الفقه.

المقصد الأول: تعريف العام

وردت تعريفات عدّة للعام فقالوا هو (اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد)[651] ، وعرّفه الجرجاني(ت :٨١٢هـ) في التعريفات فبين أنّ يكون اللفظ موضوعاً بالوضع الواحد لكثير وبذلك يخرج المشترك؛ وذلك لأنّه بأوضاع الجمع المنكر أمّا قوله لكثير هنا؛ ليُخَرِج ما يوضع لكثير كزيد وعمر [652].

([٦٤٨]) ينظر : محمد أديب صالح الدكتور ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي : مج١/ ١٤٥-١٤٦، عادل النصراوي الدكتور ، التوجيه الدلالي لآيات الأحكام :ص٢٣٧.
([٦٤٩]) سورة الطلاق: الآية ١.
([٦٥٠]) ينظر : عادل النصراوي الدكتور، التوجيه الدلالي لآيات الاحكام : ص٢٣٧.
([٦٥١]) الطوسي ، العدة في أصول الفقه :٢٧٣/١ ، الحلي ،المعارج : ص١٢١، ينظر : المظفر ، أصول الفقه :١٢٩/١.
([٦٥٢])الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات :ص١١٩.

ويبدو أنَّ الآمدي(ت:٦٣١هـ) في الأحكام اختلف معهم في المثنى حيث عدَّه من صيغ الجميع فعرَّفه بأنه (اللفظ الدال على مسميين فصاعداً معاً)[653]. وهذه التعريفات فيها نظر إذ لا ينحصر العام باللفظ فحسب، فقد يدل عليه غير اللفظ.

بينما عرّفه السيد الصدر(ت :١٤٠٠هـ) في كتابه دروس في علم الأصول بأنَّه الاستيعاب والشمول وسريان اللفظ في افراده ولكن هذا الاستيعاب عند الشهيد مرة يثبت دون أن يكون مدلولاً وأخرى يكون مدلولاً له فالأول كما في أستيعاب الحكم الوارد على المطلق لأفراده فعند القول (أكرم العالم) هنا يكون الاستيعاب شاملاً لكل أفراد العالم وهذا الشمول ليس مدلولاً عليه بلفظ اما المدلول عليه باللفظ كما هو في العموم عندما نقول (كل رجل) فلفظ (كل) يدل على الاستيعاب[654]، وبما أنّ لفظة (كل) تدل على العموم فيما تضاف له إلّا أنّ العموم يوجب شمول الأفراد على الإحاطة [655]وإنَّ من الألفاظ الدالة على العام كل وجميع وقاطبة وكافة والفرد المعرف بأل الاستغراقية والجمع المعرف والنكرة الواقعة في سياق النفي او النهي او الشرط وغيرها[656].

ومن أمثلة العام في سورة الطلاق قوله تعالى :﴿ . .لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. . ﴾[657]ففي الآية المباركة دلالة لفظ(كل) في العموم وهي واضحة المعنى بأن الله تبارك وتعالى هو القادر لذاته والمدبر لما صنعه فهو بعلمه وقدرته شامل ومستوعب كل شي[658].

المقصد الثاني :أقسام العام

لقد قسّم المتأخرين[659] من علماء الأصول العام إلى ثلاثة أقسام وذلك حسب تعلق الحكم بالعام لا بلحاظ العام بنفسه[660] وهي :

([٦٥٣]) الامدي ، الاحكام في اصول الفقه :١٨٢/٢.
([٦٥٤]) ينظر : محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول الحلقة الأولى والثانية:ص٢٥١، محمد محمدهوبدي ، المعجم المعين (الأصول) :ص١٨٨ ، ، حسن الربيعي الشيخ ،علم أصول الفقه الاسلامي: ص٧٣.
([٦٥٥]) ينظر: حمد بن حمدي الصاعدي الدكتور ، المطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء : ص ٥٦
([٦٥٦]) ينظر : الرازي ، المحصول في أصول الفقه : ٥١٣/١، مصطفى سعيد الخن ، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء : ص١٥٦.
([٦٥٧]) سورة الطلاق: الآية ١٢.
([٦٥٨]) ينظر : الطبرسي ،مجمع البيان : ٤١/١٠.

أولا: العام الاستغراقي : وهو ما سيكون الحكم فيه لجميع الأفراد في عرض واحد شاملاً على نحو الاستقلال كما في أكرم جميع العلماء ويقصد ان الإكرام لكل فرد من افراد العلماء الموجودين .

ثانيا : العام المجموعي : وهو ما يثبت فيه الحكم للمجموع كموضوع واحد مركب وله حكم واحد فلا يتحقق الامتثال ببعض الافراد كالإيمان بجميع الأنبياء فلا يكفي الإيمان ببعضهم.

ثالثاً : العام البدلي : وهو ما يثب الحكم فيه على جميع الافراد لكن على البدل في عرض واحد بمعنى أنّ موضوع الحكم هو فرد واحد من افراد العام ومثاله : اعتق أية رقبة شئت .

المقصد الثالث: تعريف الخاص

بعد التعرف على العام واقسامه نتعرف الان على الخاص لأن العموم في القران والسنة له مخصص لذا يقال ما من عام إلا وقد خصَّ فلا يجوز العمل بالخاص إلا بعد الفحص عن المخصص فقالوا بأنه هو (كل لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد)[661]، وكذلك ذكر تعريفه بأنَّه:(الحكم الذي لا يشمل إلّا بعض أفراد موضوعه أو المتعلق أو المكلّف)[662] فنقول في الموضوع (أكرم كل فقير عادل) يكون موضوع الحكم هو الفقير العادل فقط أي شمل كل الفقراء العدول ليس كل فقير بل خُصِّصَ بالعدل، اما المتعلق كما في (أكرم العلماء بإهدائهم كتباً نحوية) فالمتعلق هو الاكرام لكن خصص بنوع معين ، اما المكلف فمثاله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [663] فالحج واجب على كل مكلف مستطيع[664].

المقصد الرابع : أنواع الخاص

([659]) ينظر : الخراساني ، كفاية الأصول :ص٢٥٣، المظفر ، اصول الفقه : ١٩١/١، احمد البهادلي ، مفتاح الوصول إلى علم الأصول :٣٩٠/١.

([660]) بنظر :السيد الشارهرودي ، بحوث في علم الأصول (مباحث الدليل اللفظي) :٢٢٢/٣، بلاسم عزيز شبيبالدكتور ، الجهد الأصولي عند العلامة الحلي :٦٩.

([661])البزودي ، اصول البزودي :٣٠/١،ابي بكر محمد بن احمد السرخسي ،أصول السرخسي:٢٤/١.

([662])الشهركاني ، المفيد في شرح أصول الفقه :ص٢٦٨.

([663]) سورة آلعمران :الآية ٩٧ .

([664]) ينظر : الشهركاني ، المفيد في شرح أصول الفقه :ص٢٦٨.

أولاً : الخاص المتصل : وهو نوع يكون التخصيص وارد اً في النص الذي ورد فيه العام نفسه مثل (أشهد أن لا الله إلا الله) فهو جزء من الكلام المشتملعلى العام [665] فذهب العلامة الحلي(ت:٧٢٦هـ) إلى أنه حقيقة في العموم إذ قال :(العام المخصوص بالمتصل ليس مجازاً؛ لأنه غير مفيد للبعض ، وإلّا لم يفد المتصل شيئا، فلا يكون مجازاً في البعض، بل المجموع منه ومن المتصل يفيد البعض حقيقة)[666]

ثانيا : الخاص المنفصل : وهو (ألّا يقترن به مخصصه في نفس الكلام بل يرد في كلام آخر مستقل قبله أو بعده)[667] ويكون إمّا لفظياً كما هو عليه في (الآية أو الرواية) او غير لفظي كما في حكم العقل بتخصيص عموم اللفظ[668].

فنأخذ من سورة البقرة مثالاً تطبيقيًّا لهيان دلالة العام والخاص فيهايتعلق بموضوع المطلقة كذلك وذلك للربط بين السورتين من أجل الحصول على حكم شرعي مشترك وهو وجوب أخذ القرار من قبل المطلق إذا قاربت عدة المطلقة من الانتهاء فعليه أنْ يرجعها او يفارقها .

فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[669]فلفظ النساء في السورة هنا عام بالنساء المطلقات وخصص الحكم لهنَّ ببلوغ الأجل وهو قرب انتهاء العدة أي إذا طلقتم النساء طلاق فيه أجل وشارف على الانتهاء فإمّا الإمساك وإما التسريح فخصص الحكم بذلك [670].

([٦٦٥]) ينظر : صدر الدين فضل الله ، التمهيد في أصول الفقه :ص ٤٠.
([٦٦٦])الحلي، تهذيب الوصول الى علم الاصول ، ص ١٣٦.
([٦٦٧])الشهركاني ، المفيد في شرح أصول الفقه :ص٢٧٤.
([٦٦٨]) ينظر : بلاسم عزيز شبيب الدكتور، الجهد الاصولي عند العلامة الحلي : ص ٧٥.
[١] سورة البقرة : الآية ٢٣١.
[٢] ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٣٤٦/٢.

المطلب الخامس : مفهوم المخالفة وأنواعه في سورة الطلاق

المقصد الأول : مفهوم الوصف

أولا : تعريفة

عَرَّف الجرجاني (ت:٨١٦هـ) الوصف بأنه(عبارة عما دلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل على الذات بصفة، كأحمر، فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود، وهو الحمرة، فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة، والمتكلمون فرّقوا بينهما، فقالوا : الوصف يقوم بالواصف ، والصفة تقوم بالموصوف)[671]، فيُقصد بالوصف هنا هو بأن يتقيد موضوع الحكم أو متعلقه بالصفة وهي ليست مقصورة على النعت فحسب بل تشمل التمييز والحال والجار والمجرور والظرف، أي بمعنى كل ما يصلح أنْ يكون مقيّداً لموضوع الحكم يتعلق الحكم على الذات بأحد الأوصاف كما في (أكرم العالِمَ العادل) فيتقيد موضوع الحكم او المتعلق هنا بوصف العدالة ،فالقيد يوجب تضيق في دائرة الموضوع [672]، وعَرَّفوهبأنَّه (دلالة اللفظ على ثبوت الحكم للمسكوت عنه مخالف لما دلَّ عليه المنطوق المقيد بالوصف عند انتفاء الوصف)[673] ، ومن هنا يتضح للبحث أنّ الأصوليين لم يعرفوا مفهوم الوصف بشكل خاص مميز غير تعريفهم لمفهوم المخالفة بإضافة الوصف إليه.

ثانياً: شروط الوصف

([٦٧١]) الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات : ص ٢٠٢ .
([٦٧٢]) ينظر : الشوكاني، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول : ٢٦٦/١ ، محمد باقر الصدر ، دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى والثانية) : ص ٢٥٨، محمد محمد هويدي ، المعجم المعين –الاصول- : ص٢٠٩ .
([٦٧٣])بلاسم عزيز شبيب الدكتور، الجهد الاصولي عند العلامة الحلي : ص ١١٦.

يشترط في الوصف شرائط هي [674]:

أولاً: أنْ يكون الوصف معتمداً على موضوعٍ وعارضٍ عليه لا أن يكون الوصف هو موضوع الحكم هنا يدخل في اللقب فعندما ينتفي الوصف ينتفي الموضوع كما في قوله تعالى : "والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما" [675] فعند انتفاء السارق ينتفي القطع فلا مفهوم لمثلها هنا.

ثانيا: أنْ يكون اخص من الموصوف مطلقاً أو من وجه، أما أذا كان مساويا للموصوف أو أعم منه فلا يوجب تقييد الموضوع كما في (أكرم الإنسان الفقير) فإنّ الفقير أخص مطلقا من الإنسان، ومثال الاخص من وجه كما في (في الغنم السائمة زكاة) فوجوب الزكاة ظاهر هنا في جزء من الموصوف بالسائمة .

ثالثاً: أقسام الوصف

إنَّ للوصف قسمين هما [676] :

أولا: الوصف التوضيحي : إنّ هذا الوصف إذا وُجِدَ في الجملة يكون هدفة ليس التضييق على الحكم ونفيه عن غيره وإنما لغرض التوضيح وزيادة البيان كما في (أكرم العالِم العظيم) فمن المعلوم أن العظمة صفة ملازمة للعالِم ولكن ذكرها هنا لغرض زيادة الفضل.

ثانيا : الوصف الاحترازي: وهذا الوصف إذا وُجِدَ في الجملة يكون غرضه بيان التضييق وتقسيم الموضوع او الحكم إلى قسمين قسم يثبت مع الوصف وآخر لا كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [677] فالحرمة هنا مقيدة احترازيا بكل أكل يأتي بالظلم والعدوان ليس فقط أكل مال اليتيم .

([٦٧٤]) ينظر : المصدر نفسة: ص ١١٦.
([٦٧٥]) سورة المائدة : الآية ٣٨.
([٦٧٦]) ينظر : فاضل الصفار الشيخ، أصول الفقه وقواعد الاستنباط ، ص١١٢.
([٦٧٧]) سورة النساء : الآية ١٠.

ومن تطبيقات لمفهوم الوصف في السورة المباركة قوله تعالى ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . .﴾[٦٧٨] ففي الآية بيّن الله تبارك وتعالى أوقات العدة بوصفه لحالات النساء المختلفة فقد عبّر تعالى بلفظ (من) التبعيضية أي بعضهن يائسة وبعضهن لم تحضْ وبعضهن حوامل وغيرها فهذا الوصف بيّن لنا حكم عدة كل واحدة منهن[679].

وكذلك للوصف الأحترازي تطبيقاً في قوله تعالى :﴿. .وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . .﴾[68o]فيجب على المطلق الإنفاق على المطلّقة (احترازاً) بوجود الحمل لأن النفقة تكون واجبة عليه أما إذا لم تكن حامل فلا يجب عليه الانفاق بعد انتهاء العدة لها .

المقصد الثاني : مفهوم الغاية

جاء تعريف مفهوم الغاية بأنه :(دلالة النص الذي قُيِّد بغاية على انتفاء ما جاء به من حكم بعد هذه الغاية وثبوت نقيضه عند ذلك)[681]، وعرفه الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ) في ارشاد الفحول:(وهو مد الحكم بإلى أو حتى)[682]، وهو مفهوم تدل عليه الجملة التي تشتمل على أحد

([٦٧٨]) سورة الطلاق : الآية ٤

([٦٧٩]) ينظر : عادل النصراوي الدكتور ، التوجيه الدلالي لآيات الأحكام: ص ٢٤٤-٢٤٥.

([٤]) سورة الطلاق : الآية ٦

([٦٨١]) عبد الله بن صالح الفوزان ، شرح كتاب تيسير الوصول الى قواعد الأصول للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: ٤٠٠/١ .

([٦٨٢]) الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: ٢٦٦/١.

حروف الانتهاء (إلى –حتى) من نقيض الحكم السابق على حرف الغاية وغاية الشئ آخره [683] وقيل أنَّ النص المغيّى بغاية يدلُّ على انتهاء الحكم وإثبات النقيض بعد تلك الغاية [684].

إنَّ لمفهوم الغاية عدة معانٍ هي[685]:

أولا: ما يفيد المسافة كما نقول سافرت من البصرة الى بغداد" فيستفاد منه أن مسافة السفر تبتدئ من البصرة لغاية بغداد .

ثانياً:ما يفيد الفائدة كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[686]فيستفاد أنّ القتال إنّما أُبيح لفائدة وهي منع الفتنة في الدين.

ثالثاً: الانتهاء مقابل الابتداء نحو قوله تعالى: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[687]وهو المعنى المراد بالبحث هنا.

- ومن تطبيقات هذا المفهوم في السورة المباركة قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ . .﴾

مرّ بنا سابقاً دلالة صيغة الأمر على وجوب النفقة على المطلقة في قوله تعالى "وأنفقوا عليهن" وفيها دلالة صيغة أخرى وهي الشرط في هذه الآية نفس هاوبيان مفاد هذه الدلالة للمفسرين وغيرهم ، حيث نجد أن الله تعالى أوجب النفقة للزوجة المطلقة طلاقاً بائناً في حال كونها ذات حمل منه وذلك لوجوب نفقة الأب على و لده فنجد أنّ التركيب الشرطي في الآية (إن كنّ أولات حمل) هو تخصيص للقول بعدم وجوب النفقة على المطلقة طلاق اً بائناً فيكون مفهوم الآية لا تنفقوا على البائن إلّا إذا كانت حاملاً ويستمر بوضع الحمل فنجد أنّ الراوندي (ت:٥٧٣هـ) في

([٦٨٣]) ينظر : احمد البهادليالشيخ ، مفتاح الوصول إلى علم الأصول: ٣٧٣/١.
([٦٨٤]) ينظر : عبد الرؤوف خرابشة ، منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية : ص٥٧٩.
([٦٨٥]) ينظر :المظفر ،اصول الفقه :١٧٥/١.
([٦٨٦]) سورة البقرة :الآية ١٩٣.
([٦٨٧]) سورة البقرة : الآية ١٨٧.

كتابه فقه القرآن يذكر بعدم خلاف العلماء في هذا المضمون ﴿ وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾(أمر من الله بالانفاق على الحامل المطلقة إذا كانت مبتوتة ، ولا خلاف في ذلك . وانما يجب أن ينفق عليها بسبب ما في بطنها، وانما يسقط نفقتها بالوضع)[688] أي إن دلالة لفظ (حتى) أفاد منها المفسرون والفقهاءالحد الاخير التي تكون فيها النفقة واجبة على المطلّق أي تجب نفقة الزوجة المطلقة عليك أيها المطلق إلى أن تضع الولد[689].

المقصد الثالث : الشرط

عرف العلماء الشرط تعريفات عديدة تتقارب من بعضها في المعنى والمؤدى وتختلف بالألفاظ، فقد عرفه المرتضى(ت ٤٣٦هـ) بقوله: (ما يقف عليه وجود الشيء أو عدمه) [690]، فهو تعلق الشيء على غيره، وقال الراغب(ت ٥٠٢هـ): (كلّ حكم معلوم متعلّق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له) [691]، ولعل قول الراغب:(علامة له) مأخوذة من معناه اللغوي وهو العلامة[692]، فهو(يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ وُجُودٌ) [693]، ولعل عدم وجود المشروط بوجود الشر ط لعارضٍ ما، وقال الجرجاني(ت ٨١٦هـ): (تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقف وجود ه على وجود الشيء، ويكون خارجًا عن ماهيته، ولا يكون مؤثرًا في وجوده، وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه)[694]، فيكون متوقفًعليه تأثير المؤثر [695].

إذاً الشرط هو تعلق أمر بأمر أخر لكونه متعلقاً فيه ولا علاقة له في وجود المشرط من قبيل السبب . كما ان هناك احكام اً لا يصح بها الشرط فتكون بوجود الشرط باطلة مثل الزواج والطلاق[696] .

---

(٦٨٨)قطب الدين الراوندي ، فقه القرآن :١٦١/٢.
(٦٨٩) ينظر : الازهري ، تهذيب اللغة :٤٢٢/١.
(٦٩٠) المرتضى ، رسائل المرتضى:٢٧٣/٢ .
(٦٩١) الراغب الاصفهاني، المفردات: ص ٣٤٢ .
(٦٩٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: ص٥٣٣ .
(٦٩٣) القرافي ، أنوار البروق: ١/ ٦٠ ؛ الطوفي، شرح مختصر الروضة: ١/ ٤٣٥ ؛ السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج: ١/ ٣٨٠ ؛ الأسنوي، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ص٨٣ .
(٦٩٤) الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات: ١٢٩ .
(٦٩٥) ينظر: الغامدي، جزء من شرح تنقيح الفصول في علم الأصول:١/ ١٩٤ .
(٦٩٦) ينظر: الطوسي ، المبسوط: ٥/ ٤٣ .

ومن أمثلة الشرط في السورة المباركة قوله تعالى ﴿. . .وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ. .﴾[697]

جاء في قوله تعالى حرف الشرط (إنِ) وهو يستعمل في المحتمل الوقوع والمشكوك فيه[698]، فيكون تعلق الشرط على أمر محتمل الوقوع أو مشكوك فيه، أي {إِنِ ارْتَبْتُمْ} فقد وجد الشك، وإن اختلف في نسبة الشك كونه للنساء أو لمن يقيم عليهن وسبب الشك كونه حيض أو استحاضة، أو ارتبتم بالحكم [699]، وقد نقل الشريف المرتضى(ت ٤٣٦هـ) هذا القول عن جمهور المفسرين وأهل العلم [700]، إلا أنَّ المفسرين أفادوا من جملة الشرط وجود الشك مع احتمال وقوعه كونه من الممكن وليس من عدم الممكن، فجاء جواب الشرط المصدر بالفاء {فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ} لبيان العدة لمن كان أمرها مشكوكاً فيه، أي ان عدة ثلاثة أشهر بشرط الارتياب[701]، وهذا ما أفاده المفسرون من جملة الشرط وجوابها في الآية المباركة .

المقصد الرابع : الاستثناء

الاستثناء هو مبحث من مباحث الأصول ويتم فيه إخراج مجموعة من الحكم الشرعي، وقد اختلفت فيه تعريفات العلماء في الألفاظ واتفقت في المعنى، فقد عرفه الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ) بقوله: (اخراج الشيء عما يصح دخوله فيه وعما دخل فيه غيره)[702]، وقال الطوسي(ت٤٦٠هـ): (هو الذي يبين المراد باللفظ مما ليس بمراد فيخرج بعض ما تناوله اللفظ)[703]، واشار السرخسي(ت٤٨٣هـ) إلى أنه بمنزلة الخصوص في العموم فقال: (الِاسْتِثْنَاءُ يُخْرِجُ مِنْ الْكَلَامِ مَا لَوْلَاهُ لَكَانَ الْكَلَامُ مُتَنَاوِلًا لَهُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ دَلِيلِ الْخُصُوصِ فِي الْعُمُومِ) [704]، وقال الجرجاني(ت٨١٦هـ): (إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا

---

(٦٩٧) الطلاق : ٤ .
(٦٩٨) الزمخشري، المفصل: ٤٤٠ .
(٦٩٩)ينظر: الطوسي، التبيان: ١٠/ ٣٣ ؛ البغوي، تفسير البغوي: ٥/ ١١٠؛ الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٣٣ ؛ الرازي، مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٦٣ .
(٧٠٠)ينظر: المرتضى، الانتصار: ٣٣٥ .
(٧٠١)ينظر: الإيرواني، تفسير آيات الأحكام: ١/ ٤١٤ .
(٧٠٢) المرتضى، رسائل المرتضى: ٢/ ٢٦٣ .
(٧٠٣) الطوسي، المبسوط: ٥/ ٣٢ .
(٧٠٤) السرخسي، المبسوط: ٦/ ٩٢.

يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكما فقط)[705]، وبهذا يكون الاستثناء هو عدم شمول البعض بالحكم لأسباب ولولا هذا الاستثناء لكان مشمولاً في الحكم .

وَحُرُوفُ اَلِاسْتِثْنَاءِ ثَمَانِيَةٌ وَهِيَ إِلاَّ، وَغَيْرُ، وَسِوَى، وَسُوَى، وَسَوَاءٌ، وَخَلاَ، وَعَدَ ا، وَحَاشَا[706]

ومن أمثلة الاستثناء في سورة الطلاق قوله جل وعلا : ﴿ . . لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ . . ﴾ فبعدما نهى الله تعالى عن عدم إخراج المطلقة رجيعا من بيتها لضمان حقوقها من حيث النفقة والسكنى ولغرض زرع الود والتحابب بينهما لعله يحصل التوافق فيرجعا الى بعضهما إلا أنه تعالى أستثنى جواز إخراج المطلقة من بيتها فتقتضي بعض الظروف القوية التي تسمح بخروجها وعدم القدرة على الاحتفاظ بها لأنه سوف يؤدي إلى مشاكل قد تصل للقتل او غيرها وهذا في حالة إرتكابها المعاصي وهو الزنى برجل آخر وهنا اختلف المفسرون بالخروج بعضهم قال تخرج لإقامة الحد عليها والبعض قال تخرج وتحرم من حقوقها لفعلها الفاحش فالمعنى : إلا أن يأتين بفاحشة فأخرجوهن أو ليخرجْن ، أي يباح لكم إخراجهن وليس لهن الامتناع من الخروج وكذلك عكسه[707] .

المقصد الخامس : الحصر

عَرَّفَ العلماء مفهوم الحصر بتعريفات تتقارب فيما بينها فقد عرّفه العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) في نهاية الوصول بأنه: (انتفاء حكم المحصور عن غير ما حصر فيه، وثبوت نقيضه له)[708] بينما ذكر الشيخ المظفر(ت: ١٣٨٣هـ)[709]أنَّه معنيين :

---

(٧٠٥) الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات: ص ٢٧ .
(٧٠٦) ينظر : حسن حفظي، شرح الاجرومية : ٢٦٧/١ .
(٧٠٧) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٩/١٠ ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٣٩/١٥، ناصر مكارم الشيرازيالشيخ ، الأمثل : ٤٢٠/١٨.
(٧٠٨) العلامة الحلي ، نهاية الوصول الى علم الاصول : ٢٥٧/٢.
(٧٠٩) ينظر : المظفر : أصول الفقه : ١٣٦/١.

الأول: بمعنى القصر سواء قصر الصفة على الموصوف كما في (لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي) أو قصر الموصوف على الصفة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ . .﴾ [710].

الثاني :الاستثناء الذي ليس من القصر كما في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [711].

وقيل هو : (قصر الشئ واختصاصه بالمذكور واثبات نقيضه) [712]أما أدوات الحصر منها (إنما) كما في قوله تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) [713] فالحصر هنا بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة في حالة الركوع وقد اجمع مفسرو الامامية أنها نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه حصراً هو الوحيد الذي تصدق بالخاتم [714] ، ومنها(إلّا) الاستثنائية و(بل) الاضرابية التي تبطل ما قبلها وهيئة تقديم المفعول على الفاعل وهيئة المعرّف (بلام) الجنس على المسند إليه وغيرها[715] .

ومن أمثلة مفهوم الحصر في سورة الطلاق قوله تعالى : ﴿ . .لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ [716] فقد حصر الله تعالى تكليف المرء بالتكاليف بحسب ما بينه وأوضحه له أي لا تكليف على الإنسان بشي إذا لم يكنْ مبيناً له بأي طريق وقيل هو عدم تكليف الانسان بشي خارج عن قدرته وطاقته فمعنى (إلّا ما آتاها) أي إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة و في هذا دلالة على أنه سبحانه لا يكلف أحدا ما لا يقدر عليه و ما لا يطيقه ، وهذه الآية تخص

([٧١٠]) سورة آل عمران : الآية ١٤٤.
([٧١١]) سورة البقرة : الآية ٢٤٩.
([٧١٢]) محمد محمد هويدي ، المعجم المعين – الاصول : ص ٢٠٨.
([٧١٣]) سورة المائدة : الآية ٥٥.
([٧١٤]) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير علوم القران: ٣٦٢/٣، العياشي ، تفسير العياشي : ٣٢٨/١،
([٧١٥]) ينظر : الخراساني ، كفاية الاصول :ص ٢٤٧، الشهركاني ، المفيد في شرح أصول الفقه : ٢٥٢/١-٢٥٧، الفياض ، محاضرات في أصول الفقه (تقريرات السيد الخوئي) : ١٣٩/٥.
([٧١٦]) سورة الطلاق : الآية ٧.

أجرة نفقة إرضاع الطفل من قبل أمه فعندما أوجب الله على الزوج دفع أجرة الإرضاع للأم بالمثل أي بمثل ما تطلب المرضعة من أجر فإن وافقت الأم بذلك فهي أولى بإرضاع ولدها وإن لم ترض وطلبت أكثر من المثيل بالأجرة وكان الأب ذو ضيق ولا يستطع فلا يكلفه الله تعالى بوجوب الدفع الزائد فلا يكلف اللَّه الأب نفقة المرضع إلا بحسب المكنة وله الحق بمرضعة أخرى[717] ولكن الله تعالى يفرج بعد العسر باليسر بقوله ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[718]

المقصد السادس :المشتق

عُرِفَ المشتق عند الأصوليين بأنه رد اللفظ إلى آخر لموافقته له في الحروف الأصلية، ومناسبته في المعنى [719] وقيل هو (نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة)[720] هو العنوان المنتزع من الذات بلحاظ انضمام أمر خارج عنها لها[721] كما وعرّفه السبحاني في كتابه الموجز في أصول الفقه بأنه :(عبارة عمّا يجري على الذات باعتبار اتصافها بالمبدأ واتحادها معه بنحو من الاتحاد، فخرجت الأفعال قاطبة ماضيها ومضارعها وأمرها ونهيها ضرورة أنها تدل على قيام مبادئها بالذوات قيام صدور أو حلول أو طلب فعل او طلب ترك ، ولا تدل على وصف الذوات بها)[722] ومن هنا يتضح للبحث أن العلماء اتفقوا في معنى المشتق لكنهم اختلفوا بتعريفهم له من حيث الألفاظ .

أمّا أركان الاشتقاق فهي المشتق والمشتق منه والموافقة في الحروف الأصلية والمناسبة في المعنى مع التغيير[723] .

أما أقسام الاشتقاق يقع على ثلاثة أنواع :

---

(٧١٧) ينظر : الشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : ٤٥٢/٥، الماروردي ، النكت والعيون :٢٨٨/٤
(٧١٨) سورة الطلاق :الآية ٧ .
(٧١٩) ينظر : الرازي، المحصول في أصول الفقه :٣٢٥/١.
(٧٢٠)الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات : ص٢٢.
(٧٢١) ينظر : منير الكتاب السيد، الرافد في علم الأصول (تقريرات السيد السيستاني) : ص ٢١٠.
(٧٢٢)جعفر السبحانيالشيخ ، الموجز في أصول الفقه : ١/ ٤١-٤٢.
(٧٢٣)ينظر : شرح الكوكب المنير: ٩٧/١.

الأول : الاشتقاق الصغير وهو أنْ يكون هناك توافق بين اللفظين بالحروف الأصلية من دون اعتبار بالحروف الزائدة كما في (س ل م) تتوافق مع لفظ السلامة فيؤخذ منه سلمان وسالم وغيرها أي يشترط الترتيب والتوافق بالحروف[724].

الثاني : الاشتقاق الكبير وهو أن يؤخذ أصلاً واحداً من الأصول وتعقد عليه تراكيب متعدد تحمل نفس المعنى له كما في اصل (ك ل م) فتعقد تراكيب متعددة مثل (ك م ل) و (ل م ك) (م ك ل) و (م ل ك) وغيرها من التراكيب التي تؤدي معنى واحد اً وهو القوة والشدة فالاتفاق هنا يكون بين المشتق والمشتق منه بالحروف الأصلية لكن لا يشترط بالترتيب في الحروف[725].

الثالث: الاشتقاق الأكبر هو الذي يكون التناسب بين الألفاظ في مخرج الحرف كما في لفظ نعق ونهق فالاتفاق في مخرج العين والهاء كلاهما من حروف الحلق[726]

ويمكن أخذ مثالاً تطبيقيا لموضوع المشتق في السورة فإن الحكم على الفرد بأنه ظالم لنفسه يثبت لمن هو متلبس بتعدي حدود الله تعالى ، والبحث في المشتق الاصولي هنا هو هل ان الشخص الذي زال عنه التلبس بالتعدي فهو الآن ليس متعديا لحدود الله ، فهل يسمى هذا الشخص ظالماً او لا ؟

ففي السورة المباركة قوله تعالى : ﴿ . .وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [727] .

إنَّ الآية الكريمة تحكم على من يطبق على غير الضوابط الشرعية كأن يطلق لغير العدة أو يخرج المطلقة دون اتيانها بفاحشة فإن فعله هو تعدٍ لحدود الله وبالتالي هو ظالم لنفسه ([728]).

([٧٢٤]) ينظر : ابن جني ، الخصائص :١٣٤/٢.
([٧٢٥]) ينظر : الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات : ص ٢٢.
([٧٢٦]) المصدر نفسة : ص ٢٢
([٧٢٧]) سورة الطلاق : الآية١ .
([٢]) ينظر : الشنقيطي ،أضواء البيان في تفسير القرآن بالقران : ١٤٥/١.

المبحث الثالث

آليات التفسير التحليلي بعلوم القرآن في سورة الطلاق

توطئة:

إنَّ علوم القرآن من أجل وأشرف العلوم على الاطلاق، إذ أن كل علم يكتسب شرفه من المادة التي يبحث بها، وإنَّ علوم القرآن هي تبحث في القرآن الكريم، من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه إلى غير ذلك من العلوم والتي لها مدخلية في فهم النص القرآني، أو فهم مراد الله من خلال النص القرآني، والقرآن الكريم هو افضل كتاب على الاطلاق، لذا كانت علوم القرآن وما يتعلق بها هي أفضل العلوم على الإطلاق[729]، من حيث العلوم والمعارف التي يتضمنها والتي ليس لها حد تحد به إذ قال تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ

[٧٢٩] ينظر : السيوطي ، الاتقان: ١/ ٣٧ ، الزرقاني ، مناهل العرفان: ١/ ٥ .

الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [730]، وقال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [731]، وللخوض في علوم القرآن لابد من تعريف علوم القرآن في اللغة والاصطلاح .

علوم القرآن لغة واصطلاحا :

إنَّ علوم القرآن مركب من كلمتين (علوم) و (القرآن)، ولتعريف المركب اللفظي لابد من تعريف مفرداته، من ثم تعرف المركب .

العلم في اللغة والاصطلاح:

العلم لغةً : فهو من عَلِمَ وهو (نقيضُ الجهل عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نَفْسُه ورجل عالمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ) [732]، وقال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ): (عَلِمَهُ كسَمِعَهُ عِلْماً بالكسرِ : عَرَفَهُ وعَلِمَ هو في نفسِه ورَجُلٌ عالِمٌ وعَلِيمٌ : عُلَماءُ وعُلاَّمٌ كجُهَّالٍ) [733]، ومنه العلامة أي عالم جدا والهاء للمبالغة [734] .

ومن خلال ما تقدم يتضح أن معناه اللغوي هو العلم بالشيء وتعليمه وهو نقيض الجهل.

العلم اصطلاحاً: للعلم تعريفات مختلفة تختلف بحسب العلم الذي يدرسه فلعلماء الحكمة تعريفهم و كذلك المتكلمون والاصوليون والفقهاء، وكل تعريف ينظر من جهته وزاويته ومن هذه التعريفات الاتي :

1 - عرفه الحكماء : (صورة الشيء الحاصلة في العقل أو حصول الصورة في العقل أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه) [735] .

2 - عرفه المتكلمون : (صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به وهو مراد من قال منهم: إنه صفة توجب لمحلها تمييزا لا يحتمل النقيض ولو كان هذا التمييز بوساطة الحواس) [736]، وقيل إنَّه (انطباع صور الاشياء في نفسك) [737] .

([٧٣٠]) سورة النحل : الآية ٨٩ .
([٧٣١]) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .
([٧٣٢]) ابن منظور، لسان العرب : ١٢ / ٤١٦ .
([٧٣٣]) الفيروز بادي ، القاموس المحيط : ص ١٤٧١ .
([٧٣٤]) ينظر: الرازي، مختار الصحاح : ص٤٥٢ .
([٧٣٥]) الزرقاني ، مناهل العرفان: ١ / ١٢ . ينظر : الجرجانيعلي بن محمد، التعريفات :ص١٥٧ .

3 - عرفه الاصوليون : (هو الحكم الجازم الذي لا يقبل التشكيك)[738] .

4 - عرفه الفقهاء : (معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه)[739] .

فهو الإدراك الجازم المطابق للواقع، أو هو إدراك الشيء بحقيقته [740]، وأن العلم مطلقاً هو مطلق الادراك الذي يشمل التصور والتصديق [741]، أو اعتقد الشيء على سبيل الثقة[742] .

ومما تقدم يتضح أنه إدراك الشيء ومعرفته معرفة تامة .

القرآن في اللغة والاصطلاح :

القرآن لغةً: اختلف علماء اللغة في لفظ (القرآن) بين القول بأنه جامد: وهو اسم لكتاب الله كالتوراة والإنجيل[743]، وبين القول بأنه مشتق: وهو من (قرأت) أي جمعته وضممته، وهو من الجمع وضم الشيء بعضه إلى بعض، وسمي به لأنه يجمع السور بعضها إلى بعض [744]، أو هو من القراءة، كما تقول قرأت الكتاب قراءة وقرآناً[745].

فهو إمّا جامد أو مشتق واختلفوا في اشتقاقه: من الجمع، أو القراءة.

القرآن اصطلاحاً: ليس القصد من ذكر تعريف القرآن توضيحه لمن لا يعرفه، فهو أوضح من أن يوضحه أحد، بل عرفه العلماء من باب ذكر بعض حدوده ومناقبه وخصائصه، لأنه كلامٌ لا يدانيه كلام قط، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[746]، ولهذا قال الوليد [*] حين سمع القرآن: (سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ كَلَامًا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ

---

(٧٣٦) الزرقاني ، مناهل العرفان: ١ / ١٢ .
(٧٣٧) المظفر، المنطق : ص ١٦ .
(٧٣٨) ألقمي ، قوانين الأصول : ص ٤١١ .
(٧٣٩) الزرقاني ، مناهل العرفان: ١ / ١٢ .
(٧٤٠) ينظر : الراغب الأصفهاني، المفردات: ص ٤٥٣ .
(741) ينظر : داوود العطار ، موجز علوم القرآن: ص ١٣ .
(742) ينظر : العسكري ، الفروق اللغوية: ص٣٧١ .
(٧٤٣) ينظر : ابن منظور، لسان العرب:١/ ١٢٩.
(٧٤٤) ينظر : الرازي ، مختار الصحاح : ص٥٢٦،ابن منظور، لسان العرب: ١، ١٢٨ ،الفيروزابادي، القاموس المحيط : ١ / ٤٩.
(٧٤٥) ينظر :ابن منظور، لسان العرب: ١ / ١٢٩، ،الفيروزابادي، القاموس المحيط: ١ / ٤٩ ، الزبيدي ، تاج العروس:٣٦٤/١.
(٧٤٦) سورة البقرة: ص ٢٣.

الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَأَنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ) [747]، وأن الله تكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [748]، وكذلك تكفل ببيانه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [749]،وقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [750]، فالذي فصله حكيم خبير.

أما العلماء فقد عرفوه بعدة تعريفات متقاربة منها قولهم:

(هو المنزل على رسولنا (صلى الله عليه وآله وسلم) المكتوب بالمصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً)[751]، وقد اضاف إليه بعضهم (بلا شبهة) [752]، وفي هذا التعريف من الملاحظ أنه لا يصفه بالكتاب أو الكلام، ولا أنه معجز، فهو يتركه بلا قيود، وقد عُرِفَ بأنه (الكلام المعجز المنزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته)[753]، وهذا التعريف عده كلام الله من دون غيره، والمنزل على نبيه لإخراج ما نزل على غير النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، المكتوب بالمصاحف أخرج الحديث القدسي، المنقول بالتواتر أخرج القراءات الشاذة، ومنهم من قيده من سوره الفاتحة إلى سورة الناس[754]،ومنهم من قيده بالوحي [755]، ولعل التعريف الأشمل هو (كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) بواسطة الأمين جبرائيل (عليه السلام) المكتوب في المصاحف، المنقول الينا بالتواتر، المتعَّبد بتلاوة، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم

(*)الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت " جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. ينظر: الزركلي، الأعلام: ٨/ ١٢٠.

(٧٤٧) الرازي ، مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٧٠٧.

(٧٤٨) سورة الحجر: الآية ٩.

(٧٤٩) سورة القيامة: الآية ١٩.

(٧٥٠) سورة هود: الآية ١.

(٧٥١) عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٣ / ٦٤.

(٧٥٢) ينظر : الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات: ص١٧٥.

(٧٥٣) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١ / ٢١.

(٧٥٤) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٠.

(٧٥٥) ينظر : ، محمد سالم دكتور ، تاريخ القرآن: ص٥، الحكيم ، علوم القرآن: ص٤.

بسورة الناس)[756]، وقد ادُعِيَ أن هذا التعريف متفق عليه بين العلماء [757]، وهذا الإجماع لا وجود له لما تقدم من التعريفات، بل إن هذا التعريف أكثرها قيوداً وليس مُجمعاً عليه.

ولعل تقيده بالحصر بين سورتي الفاتحة والناس ليس من باب أن من لم يبدأ من غير الفاتحة ويختم بغير سورة الناس وهو منه ليس بقرآن، بل قيدوه بهذا لعدم دخول غيره فيه، فقد عدَّ المسلمون الآية الواحدة منه قرآن، كما جاء عَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: (كُنَّا نُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، إِذْ أَتَانَا آتٍ وَإِمَامُنَا رَاكِعٌ وَنَحْنُ رُكُوعٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ قُرْآنٌ قَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، أَلَا فَاسْتَقْبِلُوهَا قَالَ: فَانْحَرَفَ إِمَامُنَا وَهُوَ رَاكِعٌ، وَانْحَرَفَ الْقَوْمُ حَتَّى اسْتَقْبَلُوا الْكَعْبَةَ، فَصَلَّيْنَا بَعْضَ تِلْكَ الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْضَهَا إِلَى الْكَعْبَةِ)[758]، فإنَّ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [759]، فقد أمر الله تعالى نبيه بتغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بهذه الآية المباركة[760]، وقد عدَّ المسلمون هذه الآية قرآناً، فهو يطلق على كل ما كان بين سورة الفاتحة والناس، كثر أم قل، ولا يراد بإطلاقه على الكل دون الجزء.

أما علوم القرآن:

اختلف العلماء في عدد علوم القرآن فمنهم من قال خمسون علماً ومنهم من زاد على هذا ومنهم بلغ حد انه بقدر كلمات المصحف مضربة في اربعة ومنهم من قال ثلاث توحيدية وتذكيرية واحكام [761]، وقد عرفوها بعدة تعريفات منها ما عرفه الزرقاني (ت: ١٣٦٧ هـ) بقوله (مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره

---

(٧٥٦)محمد الصابوني، التبيان: ص ٨.
(٧٥٧) ينظر: لمصدر نفسه: ص٨.
(٧٥٨)ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة:١/ ٢٩٥.
(٧٥٩) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٧٦٠) ينظر :البغوي ، معالم التنزيل : ١/ ١٧٧.
(٧٦١) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٧ ، الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي: ٤/ ٣٧ .

واعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبهة عنه ونحو ذلك) [762]، وعرفها محمد باقر الحكيم بأنها: (جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم ، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم) [763]، أو أنها (مصطلح خاص لمجموعة مباحث حول مُختلف شؤون القرآن الكريم لغاية معرفة هذه الشؤون معرفة فنية وفق أصول وضوابط) [764]، ولم يبتعد عن ذلك مناع القطان حينما عرفها بقوله: (العلم الذي يتناول الأبحاث المُتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول ، وجمع القرآن وترتيبه ، ومعرفة المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، والمُحكم والمُتشابه ، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن) [765]، وقال داود العطار: (نقصد بها الأبحاث العلمية في القرآن الكريم) [766] .

ومما تقدم يتضح أن علوم القرآن هي علوم أو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من خلالها يتم التعرف على مراد الله بحسب الطاقة البشرية .

وأما تاريخ القرآن من العلوم حديثة الاستقلال، إذ انه كان يذكر ضمن علوم القران قبل قرن تقريبا وأول من جعله مستقلا هم المستشرقون [767]، ولعل هذا السبب جعل العلماء لم يعرفوه أو أنهم اكتفوا بتعريف علوم القران لشموله بها، حيث قالوا في نزول القرآن : (هذا مبحث مهم في علوم القرآن بل هو أهم مباحثه جميعاً .... ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعد في علوم القرآن)[768]، فهم يعدونه من أهم مباحث علوم القرآن ، و قيل في وصف كتاب تاريخ القران وما يتناوله (يبحث عن تعريف القرآن وما يتضمنه، وعن جمعه وكتابته وترتيب آياته وسوره وضبطه وتصحيحه، وعن غرائب رسم كلماته وهل رسمه توقيفي ام لا، وعن حكم اتباعه وسبب نقطه وتشكيله، وعن معرفة الصحابة للإملاء والكتابة، وعن مقارنة كتاباتنا برسمه)[769]، وهذا كما هو واضح يعرف بالكتاب وليس تعريفاً لتاريخ القرآن كمصطلح، وكذلك قال الرافعي : (تاريخ القرآن : جمعه وتدوينه، حكمة نزوله متفرقًا، البدء بقصار

---

(٧٦٢) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن :٢٧/١
(٧٦٣) الحكيم، علوم القران : ص٢٢ .
(٧٦٤) معرفة، التمهيد في علوم القرآن : ١ / ١٥ .
(٧٦٥) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن: ص ١٧ .
(٧٦٦) داود العطار ، موجز علوم : ص ١٨ .
(٧٦٧)ينظر: الزنجاني ، تاريخ القرآن :ص ٢٢.
(٧٦٨)الزرقاني ، مناهل العرفان : ١ / ٤١ .
(٧٦٩) محمد طاهر بن عبد القادر ، تاريخ القرآن الكريم: ١ / ١ .

السور، مدة نزول القرآن، كتبة القرآن، المشاورة في جمعه، الصحف الأولى، الاختلاف في القراءة وملاحظات القراء، كيفية جمعه، ترتيبه، المصاحف في الأمصار، رسم المصحف، رواية القرآن، هل سقط منه شيء؟. ما زعموه منسوخ التلاوة)(770)، ومن الملاحظ عليه انه يعدد موضوعاته وليس يعرفه، ولم يجعل الضوابط لمعرفة كيف فصل هذه الموضوعات عن غيرها من علوم القرآن، كما وصف صاحب (التمهيد في علوم القرآن) مهمته في تاريخ القرآن بقوله : (العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحف بين دفتين، والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف، وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير)(771)، ولعل سبب عدم تعريفه أن العلماء لم تهتم في تاريخ القرآن لانشغالهم بعلومه(772)، أو لأنه حديث الظهور ، أو لشموله بتعريف علوم القران.

ومن الممكن القول فيه هو علم يتناول الموضوعات التي تخص القرآن الكريم وليس نابعة منه كأسباب النزول والقراءات وغيرها وتتعلق بالتاريخ.

وقد تناول البحث علوم القرآن بوصفها تشمل تاريخ القرآن كما عدها علمائنا الأوائل ولم يفصل بينهما .

المطلب الأول : أسباب النزول في سورة الطلاق

المقصد الأول : أسباب النزول لغة واصطلاحاً

إنَّ سبب النزول هو مركب اضافي من كلمتين الأولى (سبب) والثانية (نزول).

أما في اللغة: فالسبب هو (الأمر الذي يُوصَل به، وكلُّ فَصلٍ يوصَلُ بشيءٍ فهو سَبَبُ)[773]، وأما النزول فهو من نزل وتعني (هُبوط شيءٍ ووُقوعه .... والتنزيل ترتيب الشَّيء ووضعُه منزِلَه)[774] وفي الاصطلاح فسبب النزول هو: (كل صفة أو قوة في شيء توجب صفة أخرى) [775]، أو أنه (عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه) [776]، اما

(٧٧٠) مصطفى صادق الرافعي ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص ٢٢٥ .
(٧٧١)معرفة ، التمهيد في علوم القرآن : ١ / ٢٧٧ .
(٧٧٢) ينظر: الزنجاني ، تاريخ القرآن :ص ١٦ .
(٧٧٣)الفراهيدي ، العين : ٧/ ٢٠٤ .
(٧٧٤)ابن فارس ، مقاييس اللغة: ص٩٨٦.
(٧٧٥) الشريف المرتضى، رسائل المرتضى: ٢/ ٢٧٣ .
(٧٧٦)الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات : ص ١٢٠ .

المركب اللفظي (سبب النزول) فعرفوه بانه: (ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه) [777]، وقيل فيه: (مناسبات شتى كانت تستدعي نزول آية او آيات تعالج شأنها)[778]، ويكون على قسمين [779]:

1 - وجود حادثة ونزول الآية بها .

2 - سؤال النبي عن شيء ومجيء الآية اجابة لذلك السؤال .

المقصد الثاني :أهمية اسباب النزول

أهمية سبب النزول وكما نص عليه العلماء في كتبهم بان له المدخلية في تحديد معنى الآية ومصداقها الخارجي ويكون سبباً رئيساً لذلك، كما ورد عن الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) قوله: (هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا) [780]، إلا أن هذا الكلام فيه نظر؛ لأن ليس كل آيات القرآن الكريم فيها سبب للنزول، فهو عامل وعنصر فعال في تفسير الآية القرآنيه، و من فوائده قال السيوطي (ت: ٩١١هـ): (الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال) [781]، وكذلك نقل الزركشي عن القشيري قوله: (بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى الكتاب العزيز)[782] ، فمن خلال سبب النزول يمكن ان نحدد معنى الآية الكريمة ومصداقها.

وقد منعوا الاجتهاد فيه بل جعلوه منحصراً بالمشاهدة والرواية فقال الواحدي(ت: ٤٦٨هـ): (وَلَا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَوَقَفُوا عَلَى الْأَسْبَابِ) [783]، فدخوله قطعي لا يمكن اخراجه بالاجتهاد وهذا ما ذهب اليه السيوطي(ت:٩١١هـ) في الاتقان بقوله: (ان دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد

---

(٧٧٧)الزرقاني ، مناهل العرفان : ١ / ١٠١ .

(٧٧٨) معرفة ، التمهيد : ١ / ٢٥٥ .

(٧٧٩)ينظر: الحكيم، علوم القرآن: ٨٣ .

(٧٨٠)الواحدي ، أسباب نزول الآيات: ص٤ .

(٧٨١)السيوطي ، الاتقان في علوم القران : ١ /٨٧ ، ينظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٢ ، الزرقاني ، مناهل العرفان: ١/ ١٠٤ .

(٧٨٢)الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١ /٢٢ .

(٧٨٣) الواحدي ، اسباب النزول ،

ممنوع)[784]، فيكون سبب النزول مساعداً في تحديد معنى الآية بعد التأكد من صحة صدوره فلصحة الصدور اهمية كبرى إذ من دونها تكون الرواية ساقطة واهية .

فالآية الثانية من سورة الطلاق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [785]، ورد في سبب نزولها أن

(عوف بن مالك الأشجعي أُسِر ابنُه عوف، فأتى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال إبلاً، فلما رآه أتى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فأخبره وسأله عن الإبل فقال: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك، فنزلت هذه الآية {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}) **[786]**.

فكان عوف بن مالك في ضيق من أمره فشكى إلى الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الضيق، فأمره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولهذا ذهب المفسرون إلى أن عوف مصداق من مصاديقها وأنها تشير إلى أن من تمسك بالله تعالى فأنه يجعل له فرجاً من أمره، وقالوا فيها بأنها تعني عدة أمور منها:

1 - مخرجاً من كل كرب في الدنيا والاخرة [787].
2 - مخرجاً من شبهات الدنيا[788] .
3 - مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة[789].
4 - مخرجاً من غمزات الموت[790] .
5 - مخرجاً بعلمه أنه من قبل اللَّه، فإن اللَّه هو الذي يعطي ويمنع [791].
6 - مخرجاً من شدائد يوم القيامة[792] .

---

(٧٨٤)السيوطي ، الاتقان : ١/ ١٠٧ .
(٧٨٥) سورة الطلاق : الآية ٢ .
(٧٨٦) الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ ، ينظر : الواحدي ، أسباب النزول: ص ٤٥٧ ، البغوي ، معالم التنزيل: ٥/ ١٠٩، الطبرسي ، مجمع البيان: ١٠ / ٣٢ ، الرازي، مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٦٢؛ القرطبي ، جامع الاحكام: ١٨/ ١٦٠ ، الطبأطبائي ، الميزان: ١٩/ ٣٣٤ .
(٧٨٧) ينظر: الطبري، جامع البيان: ٢٣/ ٤٤٦ ، الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ ، الطبرسي ، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .
(٧٨٨) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .
(٧٨٩) ينظر : الطبري، جامع البيان: ٢٣/ ٤٤٦ ، الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ .
(٧٩٠) ينظر : الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .
(٧٩١) ينظر : الطبري، جامع البيان: ٢٣/ ٤٤٥ ، الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ ، الطوسي، التبيان : ١٠/ ٣٢.

7 - مخرجاً هو أن يقنعه الله بما رزقه[793].

8 - مخرجاً من كل هم[794].

9 - مخرجاً لمن يتق الله بالصبر عند المصيبة، أن يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة[795].

10 - مخرجاً لمن يطلق زوجته بعد الطلاق [796] سواء أكان هذا المخرج بالرجعة في العدة، أو أن يكون أحد الخطاب بعد العدة[797].

وهذا كله مستفاد من خلال فهم معنى الآية ومقصدها وهو مأخوذ من سبب النزول من قصة عوف بن مالك الأشجعي وأسر أبنه .

فكان لسبب النزول الأثر الواضح في تعين دلالة الآية وتحديد معناها، وهو من خلال قصة رواها من شاهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع حديثه وهو جابر [•] بن عبد الله الأنصاري[798]، فهو لم يقل بالاجتهاد بسبب النزول، بل ممن رأى وشاهد وسمع سبب النزول .

المطلب الثاني : القراءات في سورة الطلاق:

المقصد الأول : القراءات لغة واصطلاحاً:

القراءات لغة: وهي جمع قراءة ، و(القِرَاءَةُ: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل، وليس يقال ذلك لكلّ جمع. لا يقال: قرأت القوم: إذا جمعتهم .... وتَقَرَّأْتُ: تفهّمت،

---

(٧٩٢) ينظر : الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .

(٧٩٣) ينظر : الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ .

(٧٩٤) ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .

(٧٩٥) ينظر : الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ .

(٧٩٦) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان: ١٠/ ٣٢ .

(٧٩٧) ينظر: الطبري، جامع البيان: ٢٣/ ٤٤٥ ، الماوردي ، النكت والعيون: ٦/ ٣١ .

(•)جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو عبد الله ويقال أبو محمد السلمي الأنصاري، له صحبة، روى عنه سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعطاء . ينظر: ابن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل: ٢/ ٤٩٢.

(٧٩٨) ينظر : الواحدي، أسباب النزول: ص٤٥٨ .

وقَارَأْتُهُ: دارسته) [799]، فتكون القراءات في اللغة هي ترتيل الحروف والكلمات مضمومة لبعضها، أي علم النطق بها مع بعضها .

القراءات اصطلاح: تعددت تعريفات العلماء للقراءات؛ إلا أن المعنى واحد، فقد عرفه القسطلاني بأنه: (علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والاثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيأة النطق والإبدال)[800]، وعرفها ابن الجزري: (القراءات علم بكيفية اداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله ولابد فيها من التلقي والمشافهة لان في القراءات اشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهه)[801]، وقيل: (هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما)[802].

فيكون علم القراءات هو علم يختص بكتاب الله من حيث طريقة النطق وما يتعلق بها .

وقد كانت القراءات شائعة منذ بواكير نزول النص، وكان المسلمون يتناقلونها إلا أنفي عصر الامام الصادق (عليه السلام) ظهر أول تأليف في القراءات بتوجيه من الإمام الصادق (عليه السلام) لتلميذه أبان بن تغلب (ت ١٤١هـ) لكتابة أول كتاب في القراءات القرآنية [803]، إذ كان إبان احد القراء المشهورين وكانت له قراءة، حيث ذكره النجاشي فقال (كان قارئاً من وجوه القراء .... وكان إبان (رحمه الله) مقدماً في كل فن من العلم في القرآن والفقه والحديث.. ولإبان قراءة مفرده مشهوره عند القراء)[804].

وبعد صنف حمزة بن حبيب (ت: ١٥٦هـ) [805]أحد القراء السبعة المشهورين [806]كتاب القراءة [807]قال ابن النديم: (كتاب القراءة لحمزة بن حبيب) [808]، ثم توالت بعد ذلك التصانيف في القراءات، وانقسمت بين المتواتر والمشهور والأحاد والشاذ[809].

---

[٧٩٩]الراغب الأصفهاني، المفردات:ص٥٢٤ ، ينظر: الرازي، مختار الصحاح: ص ٥٢٦، ابن منظور، لسان العرب: ١٢٨/١، الفيروز ابادي، القاموس المحيط: ١٨/١ ، الزبيدي، تاج العروس: ٩٠/١ ، الطريحي، مجمع البحرين: ٢٤٠/١ .

[٨٠٠]القسطلاني : لطائف الإشارات: ١٧٠/١ .

[٨٠١]ابن الجزري: منجد المقرئين: ص٢٣٢ .

[٨٠٢] الزركشي : البرهان، ٣١٨/١ .

[803]النجاشي، رجال النجاشي: ٧٣/١ ، الطوسي، رجال الطوسي: ص ١٦٤.

[804]النجاشي، رجال النجاشي: ص ١٢ .

[805]الطوسي، رجال الطوسي: ١٩٠ ،الذهبي، سير اعلام النبلاء: ٧ / ٩٠.

[806] الخوئي، البيان في تفسير القران: ص ١٣٦.

[807] الطهراني، الذريعة: ١٧ / ٥٣.

[808]ابن النديم، الفهرست: ص٤٦ .

المقصد الثاني : اختلاف القراءات واسبابها:

للباحثين بالقراءات القرآنية اقوال مختلفة في أسباب اختلاف القراءات منها.

1 زعم قوم أن سبب اختلاف القراءات هو اختلاف قراءه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[810]، وكذلك اختلاف تقرير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقراءة المسلمين [811].

2 اختلاف النزول: ومما ذكروا من الاسباب ما اختلف باختلاف النزول [812] .

3 اختلاف الرواية عن الصحابة: رويت الاخبار بالاختلاف في القراءات جاء عن طريق الصحابة والتابعين فقد ذكر الزرقاني قال: (ومعلوم أنَّ الصحابة كانوا قد اخذوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزعموا انهم أخذوا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) على حروف مختلفة ثم تفرقوا في البلاد وعنهم أخذ من جاء بعدهم)[813].

4 اختلاف اللهجات: ويعد هذا من أهم الاسباب في الاختلاف في القراءات[814].

5 عدم نقط المصاحف والتجريد عن الشكل وإسقاط الألفاظ [815] .

ففي قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [816]، قرئ: ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ ، بالغ من دون تنوين الضم وأمره بالكسر على الإضافة، وهي رواية حَفْص والمفضل عَن عَاصِم، وقرأها الباقون منونة[817].

---

[٨٠٩] الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٣٧٩ .
[٨١٠] الطبري، جامع البيان: ٢١ /١٢٧ ، النحاس، معاني القران: ٥/ ٣٠٦، الثعلبي، تفسير الثعلبي: ١١٤/١.
[٨١١]ابن قتيبة: تأويل مشكل القران: ٣٩ / ٤٠، ابن حجر: فتح الباري: ٩ / ٢٥
[812] ينظر، محمد حسين الصغير الدكتور، تاريخ القران: ص ١٠٤- ١٠٥.
[٨١٣] الزرقاني، مناهل العرفان: ١/ ٤٠٢.
[٨١٤] ينظر : السيوطي ، المزهر في علوم اللغة: ١/ ٢٥٥ .
[٨١٥] الخوئي: البيان في تفسير القران: ١١٦، معرفة، التمهيد: ٢/ ١٥ .
[816] سورة الطلاق : الآية ٣ .
[817] ينظر: ابن مجاهد ، السبعة في القراءات: ص٦٣٩ ، ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبعة: ص٣٤٧ ، الأزهري ، معاني القراءات: ٣/ ٧٥ ، ابن خلف المقرئ، العنوان في القراءات السبع: ص١٩٢ ، ابن الباذش ، : ٣٨٥ .

فتكون غير المنونة وبكسر ما بعدها محمولة على الإضافة وما بعدها مضافاً، وبهذا يكون اسم الفاعل غير عامل وما بعده ليس معموله أي مفعولاً لاسم الفاعل، وبهذه القراءة يكون اسم الفاعل دال على الماضي [818]، فتكون جملة (بالغُ أمرِهِ) في الماضي من الزمن، وفي هذه القراءة يكون البلوغ سابقاً عن زمن الكلام وهذا السبق لا يعني عدم البلوغ في هذا الزمن وما بعده لأن إثبات الشيء لا ينفي ما سواه، فيكون غاية الأمر التركيز على الماضي دون النظر للحاضر والمستقبل، كون من بلغ أمره في الماضي فهو قادر على بلوغه في الحال والاستقبال .

وأما المنونة والمفتوح ما بعدها محمولة على أن اسم الفاعل عامل عمل فعله وما بعده مفعولاً له، وبهذه القراءة يكون اسم الفاعل دال على الحال والاستقبال [819]، فتكون جملة (بالغٌ أمرَهُ) في الحال والمستقبل والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) عائد على لفظ الجلالة، وبهذه القراءة يكون المعنى المقصود : أن الله عز وجل بالغ أمره في الحال والاستقبال ولا يعجزه شيء عن ذلك .

كما وأن جملة (بالغ أمره) في القراءتين هي جملة اسمية، والجمل الاسمية تدل على الثبوت والجمل الفعلية تدل على الحدوث [820]، فيكون بالغ أمرة ثابتة لا لبس فيها .

وكذلك تقدم هذه الجملة الاسمية أحد أحرف التوكيد (أن) [821]،وهو مضاف إلى ما تقدم من ثبوت فقد جاء أحد أحرف التوكيد ليؤكد هذه الحقيقة التي لا لبس فيها .

أما قوله تعالى: ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [822]، قرئ: {يُدْخِلْهُ}، بالياء والنون، أي (يدخله وندخله) [823].

---

[818] ينظر: ابن عقيل ، شرح ابن عقيل: ٢/ ١٠٠ ، علي جازم ، النحو الواضح: ص١٩٣ .
[٨١٩] المصدر نفسه: ٢/ ١٠٠ ، المصدر نفسه: ص١٩٣ .
[٨٢٠] ينظر: القزويني ، الايضاح: ١/ ٩٩ .
[٨٢١] ينظر: ابن عقيل ، شرح ابن عقيل: ١/ ٣١٨ .
[٨٢٢] سورة الطلاق : الآية ١١ .

فتكون قراءة (يدخله) حكاية تبليغ عمن يبلغ عن الله عز وجل بأن الله يدخل من يؤمن به ويعمل صالحاً جنات في يوم القيامة [824].

وأما قراءة (ندخله) تبليغ عن الله بأنه يدخل من آمن وعمل صالحاً جنات يوم القيامة .

كما أن في القراءتين ان الفاعل هو الله تعالى وخالدين هو حالهم في تلك الجنان [825]، وهذه الاضافة للذات المقدسة اضافة تشريف وتكريم لهؤلاء العباد [826]، وهو من جملة ما خصهم به الله ، وكذلك في جمع (الجنات) لتعظيم جزائهم، بأن لهم جنات وليس جنة واحدة يكون حالهم فيها الخلود .

المطلب الثالث : الناسخ والمنسوخ في سورة الطلاق:

مبحث الناسخ والمنسوخ من المباحث المهمة لما له من التأثير المباشر في معرفة مراد الله تعالى في القرآن الكريم، ومعرفة غوامض النص القرآني المبارك، وحل التعارض الحاصل ظاهراً لعوام الناس بين آيات القرآن الكريم، حتى قيل لا يجوز الخوض في تفسير كتاب الله العزيز إلا بعد معرفة الناسخ والمنسوخ [827]، ولأهمية الناسخ والمنسوخ كثر تناوله في كتب العلماء إمَّا أصالةً، أو تعريضاً .

المقصد الأول: النسخ في اللغة والاصطلاح :

النسخ في لغة: للنسخ في اللغة معنيان:

الأول عمل نسخة ثانية من الأولى مطابقة لها وهو كما في نسخ الكتب وعمل نسخة ثانية منه[828]، وهذا غير معني بالبحث .

والثاني: إزالتك أمراً كان يعمل به ثم ينسخه بحادث أخرى، كالآية تنزل في أمر ثم يخفف فتنسخ بأخرى، فالأولى منسوخة، والثانية ناسخة[829]، وهو موضوع البحث .

---

[٨٢٣] ينظر: ابن مجاهد ، السبعة في القراءات: ص٦٣٩ ، ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبعة: ص٣٤٧ ، الأزهري ، معاني القراءات: ٣/ ٧٥ ، ابن خلف ، العنوان في القراءات السبع: ص١٩٢ ، ابن الباذش: ص ٣٨٥ .
[٨٢٤] الطبري، جامع البيان: ٢٣/ ٤٦٨ .
[٨٢٥] ينظر : النحاس، اعراب القرآن: ٤/ ٣٠٠ .
[٨٢٦] ينظر: الالوسي، روح المعاني: ١١/ ٣٦٨.
[٨٢٧] ينظر: الزركشي ، مناهل العرفان: ٢/ ٢٩ .
[٨٢٨] ينظر: ابن فارس ، مقاييس اللغة: ٩٨٩ .

فيكون معنى النسخ في اللغة هو إزالة أمر عُمِلَ به بأمر أخر جاء بعده، فالأول منسوخ، والثاني ناسخ .

النسخ إصطلاحاً : لم يختلف معناه في الإصطلاح عن معناه اللغوي من إزالة أمرٍ بأمر أخر إلا أنهم اختلفوا في السعة والضيق في تعريفاتهم فقد عرفه الطبري (ت ٣١٠هـ) بقوله: (نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره) [830]، وعرفه الطوسي (ت ٤٦٠هـ) بأنه (كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه) [831]، وهذا التعريف أكثر تفصيلاً من سابقه، وفصل به القول السيد الخوئي (ت:١٤١٣هـ) بقوله: (هو رفع امر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع امده وزمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الاحكام التكليفية أم الوضعية وسواء اكان من المناصب الالهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى)[832] .

وهناك من عرف الناسخ حتى أدخل فيه ما ليس داخلاً فيه فقال: (هو كل ما يطرأ على ظاهرة النص من تخصيص عمومه أو تقيد مطلقه أو بيان مجمله أو تدريج حكمه أو تخفيف أو الغاء الحكم أو نحو ذلك) [833]، وهذا فيه من السعة غير المبررة لشموله التخصيص والتقييد والمجمل وغره، وهو ما لا دخل له بالنسخ.

وبهذا يكون معناه الإصطلاحي مأخوذاً من المعنى اللغوي فهو إزالة أمر بأمر مع التراخي عنه في الزمان .

انقسم العلماء في النسخ من حيث الضيق والسعة والمنع إلى ثلاثة أقسام وهي:

الأول: الموسعون لمصطلح النسخ: وهؤلاء أطلقوا النسخ على أي تعارض يرونه في النص القرآني سواء كان عاماً وخاصاً أو مجملاً ومفصلاً أو مطلقاً ومقيداً أو أي اختلاف ظاهري يرونه[834] .

---

[٨٢٩] ينظر: الخليل ، العين: ٤/ ٢٠١ ؛ ابن فارس ، مقاييس اللغة: ص٩٨٩ .
[٨٣٠] الطبري ، جامع البيان: ١٠٤/١٠ .
[٨٣١] الطوسي ، التبيان: ٢٩٢/١ .
[٨٣٢] الخوئي ، البيان: ص ٢٩٤ .
[٨٣٣] مصطفى الزلمي الدكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن : ص١٧ .
[٨٣٤] ينظر: صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن: ص٢٦٤ .

الثاني: المنكرون للنسخ: إذجعلوه لا يجوز في الشريعة الواحدة وهو ما نسب إلى أبي مسلم الأصفهاني [835].

الثالث: المعتدلون: وهم جعلوه بين الإفراط والتفريط، ومنهم السيد الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) إذ جعله في آية واحدة فقط [836].

المقصد الثاني : شروط النسخ

هناك عدة شروط وضعها العلماء للنسخ، حتى لا يقع الاشتباه والالتباس بينه وبين العلوم الأخرى ومنها:

الأول : أن يكون النسخ في الأحكام الشرعية فلا نسخ في الأحكام العقلية ولا في الأمور التكوينية ، كما لا نسخ في أصول الدين ، وإنما في فروعه[837].

الثاني : أن يكون النسخ بدليل شرعي ثبت بالقرآن أو السنة[838] .

الثالث: أن يكون الدليل الناسخ ناظراً إلى الحكم المنسوخ ومعارضا له بالمعارضة الحقيقية، بحيث يمتنع الجمع بينهما[839] .

الرابع : أن يكون الدليل الناسخ متأخرا عن الحكم المنسوخ من حيث الحجية ووجوب العمل به[840] .

الخامس : أن يكون الدليل الناسخ أقوى من المنسوخ أو مساوياً له في العلم فلا يُنسخ الأقوى بالأدنى منه قوة[841] .

السادس: أن يكون الدليل الناسخ منفصلاً عن المنسوخ؛ لأن الدليل المتصل يكون قرينة على الظهور فلا يفيد النسخ بل يفيد التخصيص[842] .

---

(٨٣٥) الزركشي ، البرهان: ٢/ ٣٣ .
(٨٣٦) ينظر: الخوئي ، البيان :ص ٢٩٦ .
(٨٣٧) ينظر: الزرقاني ، مناهل العرفان: ٢/ ١٢٩ .
(٨٣٨) ينظر: المصدر نفسة: ٢/ ١٢٩ .
(٨٣٩) ينظر: الغزالي ،المستصفى :ص ٩٨ .
(٨٤٠) ينظر: الزرقاني ، مناهل العرفان: ٢/ ١٢٩ .
(٨٤١) ينظر: الغزالي ،المستصفى: ص٩٨ .

المقصد الثالث : أقسام النسخ

يقسم النسخ عدة تقسيمات بحسب الاعتبار وكما يلي :

أولاً: يقسم من حيث المنسوخ إلى:

١- نسخ التلاوة دون الحكم:تنسخ الآية من المصحف وحكمها لا زال قائماً يعمل به، كآية الرجم فإنَّ وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه، والآية كانت متضمنة له منسوخه بلا خلاف وهي قوله (والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البته، فانهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) [843]، وقد استشهد دعاة هذا النوع من النسخ بإخبار أحاد وأن أخبار الأحاد لا أثر لها في هذا المقام، فقد اجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به[844].

والقول بهذا النسخ يدعو إلى القول بالتحريف؛ إذ يكون وجود آيات من القرآن غير موجودة بين الدفتين من المصحف الشريف .

٢- نسخ التلاوة والحكم: تنسخ الآية و يزول حكمها وكتابتها من المصحف الشريف، ومثاله ما روى عمرة عن عائشة انها قالت: ((كان فيما انزل من القرآن عشررضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بـ: خمس معلومات، فتوفي رسول الله' وهن فيما يقرأ من القرآن)) [845]، وهذا خلط بين القرآن والسنة النبوية اضافة إلى ان الرواية المذكورة موجودة في الحديث الشريف ولو كان حكمها منسوخاً فلماذا وردت في صحيح مسلم[846].

وكذلك القول بهذا النسخ يدعو إلى القول بالتحريف؛ إذ يكون وجود آيات من القرآن غير موجودة بين الدفتين من المصحف الشريف .

---

[٨٤٢] ينظر: الصفار ، أصول الفقه: ٢/ ٥٧ ــ ٥٨ .
[٨٤٣] الطوسي ، التبيان: ١/ ١٣ ، مصطفى الزلمي الهكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن: ص ٨٣ .
[٨٤٤] الخوئي ، البيان: ص ٣٠٢ ، مصطفى الزلمي الهكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن:ص ٨٣.
[٨٤٥] مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم: ٤/ ١٦٧.
[٨٤٦]الطوسي، التبيان: ١/ ١٣ ، مصطفى الزلمي الهكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن: ص ٧٨ .

٣- نسخ الحكم دون التلاوة: وهذا القسم هو المشهور بين العلماء والمفسرين، فقد اتفق الجميع على أمكان وقوع هذا النوع من النسخ، وعلى وجود آيات في القرآن ناسخة لأحكام ثابتة في الشرائع السابقة ولأحكام ثابتة في صدر الإسلام[847].

ثانياً: يقسم النسخ من حيث الناسخ إلى:

١- نسخ القرآن بالقرآن: وتجويز القول في النسخ بهما لا خلاف بين أهل العلم أن نسخ الكتاب بالكتاب يجوز، والعلة في ذلك بينه وذلك لأنهما في وجوب العلم والعمل سواء، فكما يجوز تخصيص إحداهما بصاحبه فكذلك يجوز نسخ أحدهما بالأخر [848].

٢- نسخ القرآن بالسنة:اختلف العلماء في نسخ القرآن بالسنة على قولين:

القول الأوّل: الذي تزعمه الشافعي(ت: ٢٠٤هـ) هو عدم انفراد السنة النبوية بنسخ آية قرآنية سواء أكانت متواترة أو أحادية [849].

الاتجاه الثاني: الذي تزعمه ابن حزم الظاهري هو جواز نسخ القرآن بالسنة ووقوعه فعلاً[850]، وهو رأي السرخسي [851]، وقد وافقه السيد الخوئي بقوله: أن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنة المتواترة أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم عليه السلام وهذا القسم لا إشكال فيه عقلاً ونقلاً [852].

وردت عدة أقوال في آيات سورة الطلاق من حيث أنها ناسخة أو منسوخة ومن أشهر تلك الأقوال القول في الآية الثانية من السورة : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [853]، فأنها نسخت قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [854]، وبهذا (لَا يَرْضَى الْكُفَّارَ وَلَا يَكُونُونَ ذَوَيْ عَدْلٍ وَيُعَارَضُ بِالْإِجْمَاعِ لِأَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ شَهَادَةَ الْفُسَّاقِ لَا تَجُوزُ

---

[٨٤٧] الخوئي ، البيان: ص ٣٠٣ ، مصطفى الزلمي الهكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن: ص٨٠ .
[٨٤٨] الشريف المرتضى ، الذريعة: ١/ ٤٥٥ .
[٨٤٩]مصطفى الزلمي الهكتور ، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن: ص ٨٨ .
[٨٥٠] المصدر نفسه: ص ٨٩ .
[٨٥١] السرخسي ، أصول السرخسي: ٢/ ٦٧.
[٨٥٢] الخوئي ، البيان: ص ٣٠٣ .
[٨٥٣] سورة الطلاق : الآية ٢ .
[٨٥٤]سورة المائدة :الآية ١٠٦ .

وَالْكُفَّارُ فُسَّاقٌ وَأَجْمَعُوا أَيْضًا أَنَّ شَهَادَةَ الْكُفَّارِ لَا تَجُوزُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ) [855]، فسورة الطلاق بها ناسخ وليس بها منسوخ[856].

فتكون الآية من سورة المائدة لمن قال بنسخها أي الشهود من غير ملتكم أو من غير حيكم[857]، دون النظر لعدالة الشاهد .

أما الآية من سورة الطلاق فهي نسختها بعدم قبول شهادة من غير الملة وغير الحي، واشترطت بالشاهد أن يكون من أصحاب العدالة، أي من ترضون دينه وأمانته [858]، ومن دونها لا تقبل شهادته ، وهي تحصر الشهادة في الرجال دون النساء لدلالة (ذوي) على الذكورة دون الإناث[859].

فيكون المفسر للقرآن تفسيراً تحليلياً يفاد من علم الناسخ والمنسوخ فائدة مباشرة في توجيه دلالة الآية والوقوف على مراد الله بحسب الطاقة البشرية .

نتائج البحث وأهم توصياته

بعد الدراسة والبحث في طيّات المدونات التفسيرية وكتب اللغة ومدونات البلاغة والأصول والنحو وعلوم القرآن وبحمداللهأولاوأخرا وبفضله سبحانه استطاعت الباحثة في أنْ تتوصل إلى مجموعة من الثمرات التي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1 -إنَّ التفسير التحليلي يعد المسلك البياني للنص القرآني الذي لا غنى لأي مفسّرٍ منه قط ؛ فمن أراد فهم كلام الله ومراده من الآيات القرآنية لا بدَّ من أنْ يلجأ له ويتتبع خطواته فهو يزوّد المفسِّر بالوسائل المختلفة لأداء مهمته التفسيريةإذ يوظِّف فيه العلوم الأخرىكفقه اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأصول والقراءات و أسباب النزول وغيرها لبيان مراد الله تعالى، فتتفتح بذلك مداركه ويزداد تبحره بدقائق ألفاظ القرآن الكريم ،وعليه فإن التفسير التحليلي مسلك مهم لشموله وسعته وصحة نتائجه تفسيرياً .

---

[٨٥٥] النحاس ، الناسخ والمنسوخ: ص ٤٠٦ .
[٨٥٦] ينظر: ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ: ص ١٨٢ ، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ :ص ٢٦ و ٦١ ، ابن الجوزي ، المصفى: ص ٣٠ ، مرعي كرمي، قلائد المرجان: ص١٠١ و ٢١١ .
[857] ينظر: الطبري ، جامع البيان: ١١/ ١٦٠ -١٦٦ .
[٨٥٨] ينظر: الطبري ، جامع البيان: ٢٣ / ٤٤٤ .
[٨٥٩] ينظر: القرطبي، جامع الأحكام: ١٨/ ١٠٤ .

2 - تبيَّن للبحث بأنَّ الجذور الأولى للتفسير التحليلي تمتد إلى عصر نزول القرآن الكريم وأنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) همأصحاب الريادة فيه إذ لهم قصب السبق في هذا المنهج تأصيلاً ووجوداً واستعمالاً، ويظهر ذلك من خلال الموروث الضخم التي وصل إلينا .

3 -اتضح للبحث أنَّ التفسير التحليلي هو أحد مناهج تفسير القرآن الكريم ؛ لأنه يمثل طريقة المفسّروأسلوبه في تفسيره للنّصِّ القرآني، سواء كان جزءاً معيناً من السورة أو سورة كاملة أو المصحف بكامله، فيتتبع المفسِّر به الآيات ويتناول دراسة كل لفظة في النص ويبين دلالتها الخاصة ، ومن ثَمَّ يربطها بدلالة التركيب ومن ثم يربطها بدلالة السورة بصورة عامة، ويكون التفسير التحليلياتجاهاً تفسيرياً في حال كون هذ ا المنهج يمثّل الصبغة العامة للمفسرّ أو التفسير .

4 -إنَّ هناك علاقة وثيقة بين منهج التفسير التحليلي والمناهج التفسيرية الأخرى؛ وذلك للتداخل بينهما فهو يمثل آلة لكل منهج أي لا يخرج صاحب المنهج القرآني أو العقلي أو اللغوي وغيرهم بأي نتيجة تفسيرية دون أن يحلل الآيات القرآنية ويحصل على تفسيرها ، وهذه المناهج تدخل في المنهج التحليلي كذلك .

5 -إنَّ التفسير التحليلي يساعد على إبراز الهدف الكلي للسورة ؛ لأنه يعمل على تفسيرها بسياقات متعددة وكل سياق يعالج هدفاً قرآنيّاً معيناً يتعلق بما قبله وما بعده من الأهداف داخل السورة الواحدة وبالنتيجة نحصل على هدف السورة الأساس كليَّاً .

6 -الحصول على الهدف الأساس لآيات قرآن الكريم التي تحث على هداية البشر،وهذا عن طريق التفسير التحليلي ويستمد المفسِّر ذلك من واقع المحتوى القرآني نفسه سواء بتحليله لآيات العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق .

7 - يساعد التفسير التحليلي في ابراز جمالية النص القرآني فهو نص متدرّج في مقاطعه أيآياته، ولكنها مرتبطة بعضها مع البعض الآخر ،فتوجع بالنهاية لقصد وغرض إلهي واحد .،وهذا بخلاف ما يدَّعيه المحرفون والمشككون للنص القرآني من أنَّه نص مفكك، وكل جزء منه خصَّ بنفسه، فهذا الأمر غير صائب فللتفسير التحليلي هو عملية تفسير آيات النص القرآني تفصيليَّاً لمعرفة دلالة كل جزء من ثم ربط الأجراء مع بعضها فأُثبِت أنَّ النص القرآني ما

هو إلّا منظومة معرفية واحدة لا يمكن تجزئتها،لأنها تنتهي أخيراً إلى غرض وهدف واحد وهنا تبرز الجمالية له .

8 -إنّ التفسير التحليلي يطلق ذهن المتلقي في فضاءات المعرفة وينقله من المحدودية إلى اللامحدودية في عملية التلقي ، كما أنَّ هذه العملية تتراوح بين معرفة البعد الفكري والبعد التكويني لتنتج البعد التواصلي وهو فهم المتلقي للنص وطريقه ذلك الفهم، فهو متغير من متلقٍ لآخر.

9 -إنَّالتأويللهمدخليةفيالتحليل،فالتفسيرالتحليليلاينفكعنهذهالمدخلية،فلمَّا كان التأويل هوالانصرافعنالظاهربدليلالوصولإلىالمعنى النص،وكونهذاالانصرافعنالظاهرقديوقع أحياناًفيالفتنةأويوصلإلىبرالأمان،ولمَّا كان التفسيرالتحليلي بالمقابلهدفهالوصولإلىمراداللهفإنَّه لا محالة سيعمل على دراسة دليل ذلك التأويل وتحليلهلمعرفةمدىصلاحيته،وعليه فإنَّ التفسير التحليلي يرتبط بالتأويل من حيث أنَّه طريق موصل إلى صحة نتائج ذلك التأويل.

10 - إنَّ لكل تفسير آليات خاصة لا يبتعد عنها فآليات التفسير التحليلي متعددة منها الآليات اللغوية إذ لا يخرج المحلل التفسيري لكشف نصٍّ معين من دون أن يستعمل الصرف والبلاغة والنحو وغيرها، وكذلك الآليات الأصولية التي من خلاله يتعرف إلى دلالة الأحكام الفقهية من حيث الحرمة والحليّة وغيرها وذلك في مباحث الألفاظ، كما أنَّ لآليات علوم القرآن الجزء المهم في ذلك فالمفسر لابدَّ أن يتعرف على أسباب نزول الآية والناسخ والمنسوخ والقراءات وغيرها، فكل هذه تكون ركائز أساسية للتفسير التحليلي لا يمكنه الكشف عن مراد الله تعالى في السورة إلا من خلالها .

11 - إنّ أغلب الآيات في سورة الطلاق تحمل أحكاماً شرعية كما في الطلاق والعدة والنفقة والسكنى وغيرها فتفسيرها بالتحليل من الضروريات؛ لما يبرزه من الأمور الواجبة والمحرّمة والمستحبة والمكروهة والمباحة وغيرها.

12 - من خلال التفسير التحليلي نستطيع معرفة هل الأحكام ثابتة أم متغيرّة وذلك بتتبع الآيات وفرز الجمل الأسمية عن الفعلية ومعرفة السائد من غيره ففي سورة الطلاق نجد من أسلوب الأمر مواضع كثيرةتدل على الوجوب وكذلك للجملة الإسمية حضور في السورة والتي تدل على الثبات لأن أحكام الطلاق ومتعلقاته مفروضة وواجبة على المطلّق والمطلّقة لا بدَّ من تحققها ولا تتغير بل ثابتة كما في وجوب العدة ووجوب النفقة وغيرها.

أما أهم التوصيات التي توصي بها الباحثة في هذه الدراسة هي :

1 -ندعو أصحاب الأقلام البحثية الجادة إلى إيلاء العناية وزيادة الاهتمام بدراسة التفسير التحليلي وذلك لأنَّه المنهج الأعم والأكثر شيوعاً في نطاق بيان الدلالة التفسيرية للنص القرآني لذلك من الواجب الاهتمام به أكثر من غيره .

2 -نقترح دراسة آيات العقيدة في النص القرآني من خلال توظيف منهج التفسير التحليلي ذلك بأنَّ هذا المنهج إذا ما وظِّفَ التوظيف الصحيح وإذا ما وضع على مساره الأمثل فإنه سيعدّ الفيصل والوسيلة الأنجع في بيان الدلالة الأوضح بل الأحق من آيات العقيدة وبهذا سيظهر أنَّ التفسير التحليلي بوصفه منطقاً لحل الكثير من الإشكالات التي ترتبط بآيات العقيدة وفهمها تفسيرياً.

3 -ندعو إلى توظيف منهج التفسير التحليلي في نطاق دراسة النقد التفسيري ذلك بأنَّ الباحثة قد وقفت على جملة من الآراء غير السديدة عند المفسرين ما تدعو الحاجة إلى قراءة نقدية دقيقة ولا يؤدى هذه المهمة على أحقيتها سوى منهج التفسير التحليلي لذا أدعو بتوظيفه في النقد التفسيري عموماً.

4 -نوصي الكوادر الأكاديمية المختصة بوزارتي التعليم العالي والتربية باعتبار موضوع التفسير التحليلي مادة من المواد الدراسية التي تعدُّ منهجاً دراسياً يُجعل للطلبة في العلوم الإسلامية ،كما ولا بدَّ للمؤسسات العلمية والبحثية العناية به وبكل تفسير كونه مستمداً جذوره التأصيلية من أهل البيت (عليهم السلام) لذا يجب الأخذ به وتطويره.

5 -نوصي في هذه الدراسة إلى تنشيط ودعم الكوادر ذات الاختصاص بتحليل كلام الله بأدق تحليل ذلك من خلال إقامتهم لجلسات قرآنية أو دورات تعليمية تتخصص بالتفسير التحليلي وأن يصب اهتمامهم بشكل خاص بالآيات التي تحث على ترابط الأسرة وتبين أحكامها وواجبات كل من الزوجين على الآخر للتقليل من ظاهرة الطلاق الشائعة في وقتنا الحاضر .

Search results and key recommendations

After the study and research in the folds of interpretive codes and language books and codes of rhetoric and assets, grammar and science of the Koran and thank God first and last thanks to the Almighty was able to find a series of fruits that can be summarized as follows

1 - The analytical interpretation is the scriptural route of the Qur'anic text, which is indispensable to any interpreter. Whoever wants to understand the words of God and his will from the Quranic verses must resort to him and follow his footsteps. He provides the interpreter with

various means to perform his interpretive mission. Grammar, interpretation, grammar, fundamentals, readings, reasons of descent and others to show the meaning of God Almighty, so opens his mind and increases sailing in minutes minutes words of the Koran, and therefore the analytical interpretation is an important path to its comprehensiveness and validity and the results of interpretation.

2 - The research shows that the first roots of analytical interpretation extend to the era of the descent of the Holy Quran and that the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) and the people of his house infallibles (peace be upon them) are the leaders in it as they lead the way in this method of incorporation and food and use, Through the huge legacy that has come to us.

3 - It turns out that the analytical interpretation is one of the methods of interpretation of the Koran; because it represents the method of the interpreter and his method of interpretation of the Koran, whether it is a specific part of the sura or a complete surah or the entire Koran, follows the interpreter verses and deals with the study of each word in the text and shows its special significance , And then linked in terms of composition and then linked in terms of Sura in general, and the analytical interpretation is an interpretive trend in the case that this approach represents the general nature of the interpreter or interpretation.

4 - There is a close relationship between the method of analytical interpretation and other interpretative approaches; because of the overlap between them is a machine for each approach, which does not come out of the Koranic or mental or linguistic approach and others any explanatory result without analyzing the Koranic verses and get their interpretation, Analytical as well.

5 - The analytical interpretation helps to highlight the overall goal of the picture, because it works to interpret it in multiple contexts and each context addresses a particular Qur'anic goal relating to the preceding and beyond goals within the single surah and as a result we get the goal of the whole basis.

6 - Obtain the basic goal of the verses of the Koran, which urges the guidance of human beings, and this through an analytical interpretation and derives the interpreter from the reality of the Koran itself, whether analyzed by the verses of faith, law or morality.

7 - The analytical interpretation helps to highlight the aesthetic of the Quranic text is a gradual text in its sections any verses, but they are linked with each other, return to the end of the purpose and the purpose of the divine one .., This is contrary to what the characters and skeptics claim to the Quranic text that the text is dismantled, This is not true. The analytical interpretation is the process of interpreting the verses of the Qur'anic text in detail to find out the significance of each part, then linking the wage earners with each other, proving that the Qur'anic text is only one system of knowledge that can not be divided because it finally ends up with one purpose and purpose.

8 - The analytical interpretation opens the mind of the recipient in the spaces of knowledge and transfers it from the limit to the limitless in the receiving process, and this process ranges from the knowledge of the intellectual dimension and the formative dimension to produce the communicative dimension which is the recipient's understanding of the text and its way of understanding.

9 - Interpretation is an integral in the analysis, analytical interpretation does not stop this approach, when the interpretation is to depart from the apparent evidence to reach the meaning of the text, and that this departure from the apparent may sometimes occur in sedition or lead to safety, On the other hand, his goal is to reach Murad Allah. He will inevitably study the evidence of this interpretation and analyze it to determine its validity. Therefore, the analytical interpretation is related to the interpretation in that it is a path to the validity of the results of that interpretation.

10- Each interpretation has special mechanisms that do not depart from it. The mechanisms of analytical interpretation are many, such as the linguistic mechanisms. The interpretative analyst does not come out to reveal a particular text without using exchange, eloquence, grammar, etc., as well as the fundamental mechanisms through which he learns the meaning of jurisprudential rulings in terms of sanctity, And the mechanisms of science Quran is the important part in that the interpreter must recognize the reasons for the descent of the verse and the transcriber and copied and readings, etc., all these are the cornerstones of the analytical interpretation can not reveal the intention of God in the Sura only through them.

11 - Most of the verses in Surat al-Talaq have legitimate rulings, such as divorce, alimony, alimony, housing, and others, so it is interpreted as an essential necessity, because it highlights the due, haraam, desirable, objectionable, permissive, and other matters.
12 - Through the analytical interpretation we can know whether the provisions fixed or changing by tracking the verses and the separation of the nominal sentences from the actual and knowledge of the prevailing than others In the surah of divorce, we find the method of command many places indicate the obligatory and the nominal sentence presence in the Sura, which indicates stability because the provisions of divorce And its related obligations imposed on the absolute and absolute must be achieved and do not change, but fixed as in the necessity of kit and the need for maintenance and others.

The most important recommendations recommended by the researcher in this study are:

1. We call on serious research writers to pay attention to and interest in the study of analytical interpretation, because it is the most common and most common method in the context of the explanatory statement of the Qur'anic text.

2. We propose to study the verses of faith in the Qur'anic text by employing the method of analytical interpretation that if this approach is employed correctly and if it is put on its optimal path then it will be the best and the most effective method in the statement of the most obvious meaning, rather than the verses of faith. To solve many of the problems that are related to the verses of faith and their interpretation.
3. We call for the use of the method of analytical interpretation within the scope of the study of explanatory criticism that the researcher has stood on a number of opinions is not good interpreters what is needed for critical reading and accurate and this task is only entitled to the method of interpretation of the analytical so I call for the use of interpretive criticism in general .
4. We recommend the academic staff competent ministries of higher education and education as the subject of analytical interpretation material of the subjects of study which is a curriculum that makes students in the Islamic sciences, as well as the scientific and research institutions to take care of it and any explanation for being rooted roots of the people of the house (peace be upon them) Must be introduced and developed.
5. In this study we recommend activating and supporting cadres who are competent to analyze God's word with the most accurate analysis, through their stay for Quranic sessions or educational courses that specialize in analytical interpretation. Their attention is particularly focused on the verses that encourage family cohesion. The phenomenon of divorce is common in our time.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala / Faculty of Islamic Sciences

Analytical Interpretation Study in Curriculum and Mechanics - Surah Divorce Model -

letter from the student

(MaryamHadi Reza Al-Jaafari)

To the Council of the Faculty of Islamic Sciences at the University of Karbala

They are part of the requirements

Master Degree in Sharia and Islamic Sciences

supervision

D. NahidaJalil Al - Ghalbi

2018 AD1439 AH